



جامع الجامع

تالیف

أَمِينُ الْأَمَلَامِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ الطَّبْرَقِيِّ
ت ٥٤٨ هـ

تَحْقِيقِ

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاطِلُ الْحَكِيمِ

المجموع الثالث

سورة هود - سورة الانبياء

مراجعة واعتنى بنشره

فَمِنْ شَرِّهِمْ زَالِمٌ مُجْتَابٍ وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ



جَوَامِعُ الْجَامِعِ

تأليف

أَمِينُ الْإِسْلَامِ أَبِي عَلِيٍّ
الْفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ الطَّبْرَسِيِّ
ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاطِمُ الْجَكِيمِ
الجزء الثالث

سورة هود - سورة الانبياء

مراجعته واعتنى بنشره

فَسِرُّهُوَ الْمَخَافَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ





العتبة العباسية المقدسة
مركز شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

WWW.MK.IQ

E.mail: media@mk.iq

الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٧١١١٧٣١٠٨

الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، 468-548 هجري
جوامع الجامع / تأليف امين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ تحقيق جواد السيد
كاظم الحكيم.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف
الإسلامية والإنسانية، ١٤٣٩ هـ = ٢٠١٧.
٦ مجلد : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم
يتضمن نبذة مختصرة عن حياة المؤلف.
يتضمن مصادر وكشافات.
١. القرآن-تفاسير الشيعية-القرن ٦ هـ. الف. الحكيم، جواد كاظم-محقق. ب. العنوان.
BP130.4 .T33 2017
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: جوامع الجامع
تأليف: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم
راجعه واعتنى بنشره: قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
الطبعة: الأولى
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣٢١) لعام ٢٠١٧ م



سورة هود

مكية، مائة وإحدى وعشرون آية بصري، ثلاث كوفي، عدّ الكوفي: ﴿بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ﴿فِي قَوْمٍ لُّوطٍ﴾.

في حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة هود) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح وكذّب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى، وكان يوم القيامة من السعداء))^(١)، قال الباقر عليه السلام: ((من قرأها في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيّين، وحوسب حساباً يسيراً، ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَعَيْنِ أَكْمَلَتْهُ، ثُمَّ قُضِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْسِيُّهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُصْفِحْكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونِ صُدُورَهُمْ

(١) الكشف ج ٢: ٤٣٩ باختصار.

(٢) نواب الأفعال: ١٠٦.

لِيَسْتَخَفُّوْا مِنْهُ أَلَا جِنَّ يَسْتَعِشُوْنَ شِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُرْثُوْنَ وَمَا
يُعْلِنُوْنَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿٥﴾

﴿أَحْكَمْتَ أَيُّنَّهُ﴾ نظمت نظماً محكماً لا نقص فيه ولا خلل كالبناء المحكم،
أو جعلت آياته حكيمة، من حكم: إذا صار حكيماً، كقوله: ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ
الْحَكِيمِ﴾^(١)، أو منعت من الفساد، من أحكم الدابة: وضع عليها الحكمة ليمنعها
من الجراح، قال جرير:

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَعْصِبَا^(٢)

﴿ثُمَّ فَصَّلْتُ﴾ كما تفصل القلائد، بدلائل التوحيد والمواعظ والأحكام
والقصص، أو جعلت فصلاً: آية آية وسورة سورة، أو فرقت في التنزيل فلم تنزل
جملة واحدة. ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: التراخي في الحال لا في الوقت، كما تقول: هي محكمة
أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل. و﴿كَتَبْتُ﴾: خبر مبتدأ محذوف.

﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ﴾ أحكمها، و﴿خَيْرٍ﴾: عالم فصلها، أي: بيّنها وشرحها.
﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ مفعول له، أي: لأن لا تعبدوا، أو تكون (أن) مفسرة، لأن
في تفصيل الآيات معنى القول، كأنه قيل: قال: لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم أن لا
تعبدوا إلا الله، أي: أمركم بالتوحيد.

﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا﴾ أي: وأمركم بالاستغفار.

والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ الله، أي: إنني لكم نذير وبشير من جهته، كقوله:

(١) يونس: ١.

(٢) ديوان جرير: ٤٧.

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾^(١)، أو هي صلة لـ ﴿نَذِيرٌ﴾ أي: أنذركم ﴿مِّنْهُ﴾ ومن عذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم.

﴿ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ يعني: استغفروا من الشرك ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٢).

﴿يُنِيعُكُمْ﴾ في الدنيا بالنعم السابغة والمنافع المتتابعة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن يتوفاكم.

﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي: ويعطى في الآخرة كل ذي فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس، أو فضله في الثواب والدرجات ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تتولوا، فحذف إحدى التاءين.

﴿عَذَابٌ يَّوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يوم القيامة، ويبيّن العذاب بأنّ مرجعهم إلى القادر على ما يريد من عذابهم.

﴿يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ أي: يزورون عن الحقّ وينحرفون عنه، لأنّ من أقبل على الشيء استقبله بصدوره، ومن انحرف عنه ثنى عنه صدره.

﴿لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ﴾ أي: يريدون ليستخفوا من الله، فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم.

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ معناه: يتغطون بثيابهم كراهة لاستماع كلام الله، كقوله: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾^(٣)، ثم قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يُبْشِرُونَ وَمَا يَعْهَدُونَ﴾ يعني: أنّه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم. وفي

(١) البينة: ٢.

(٢) الأحقاف: ١٣.

(٣) نوح: ٧.

قراءة أهل البيت عليه السلام: يَتَنَوَّنِي صُدُورُهُمْ، على يفعلون، من الشئ وهو بناء مبالغة.
وقرى بالتاء والياء.

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ
مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ
﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا
يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾

﴿عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ لما ضمن سبحانه أن يتفضل بالرزق عليهم وتكفل به صار
التفضل واجباً، فلذلك جاء بلفظ الوجوب كالنذور الواجبة على العباد.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ موضع قرارها ومسكنها ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث كانت
مودعة فيه قبل الاستقرار من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، أو البيض.

﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحدة من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها ﴿فِي
كِتَابٍ﴾ في اللوح المحفوظ، يعني: إن ذكرها مكتوب فيه ظاهر.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ أي: ما كان تحته خلق إلا الماء، قبل خلق
السموات والأرض وارتفاعه فوقها، وفيه دلالة على أن العرش والماء كانا مخلوقين
قبل خلق السموات والأرض.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ يتعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾ أي: خلقهن لحكمة بالغة، وهي أن
يجعلها مساكن لعباده، وينعم عليهم فيها بفنون النعم، ويكلفهم ويعرضهم لثواب

الآخرة. ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليفعل بكم ما يفعل المبتي لأحوالكم كيف تعملون.

﴿إِنِّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ تعليق، لأن في الاختبار معنى العلم، وهو طريق إليه، والذين هم أحسن عملاً: هم المتقون، فخصهم بالذكر تشريفاً لهم وترغيباً في حيازة فضلهم.

﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ فتوقعوه، لقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي: أمر باطل، وأشاروا بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره، وقرئ: إلا ساحر، يريدون الرسول.

و﴿الْعَذَابَ﴾ عذاب الآخرة، وقيل: عذاب يوم بدر^(١).

﴿إِلَّا أَنتَ﴾ أي: حين، والمعنى: إلى جماعة من الأوقات.

﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ أي: ما يمنعه من النزول استعجالاً له.

و﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ منصوب بخبر ﴿لَيْسَ﴾، وفيه دليل على جواز تقديم خبر (ليس) على (ليس)، لأن المعمول لا يقع إلا حيث يجوز وقوع العامل فيه.

ووضع ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ موضع يستعجلون، لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ في معنى: يحيق، إلا أنه جاء على عادة الله في إخباره.

وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ﴿١﴾ وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ

ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
﴿الْإِنْسَنَ﴾ للجنس.

﴿رَحْمَةً﴾ أي: نعمة من صحة أو ثروة أو نحو ذلك ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا﴾ أي:
سلبناها منه ﴿لَئِنَّهُ لَيَبْغُوسُ﴾ شديد اليأس، قنوط من أن تعود إليه تلك النعمة
المنزوعة، قاطع رجاءه من سعة فضل الله ﴿كَفُورٌ﴾ عظيم الكفران لنعمة.

﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾ أي: المصائب التي ساءتني وحزنتني.
﴿لَئِنَّهُ لَفَرِحَ﴾ أي: أشر بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أنعم الله عليه، قد شغله
الفرح والفخر عن الشكر.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: قابلوا الشدة بالصبر، والنعمة بالشكر.
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ
يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا
بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحْسِبُونَ لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنْزِلَ
يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

كانوا يفترحون عليه أشياء تعنتاً، فقالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ
مَلَكٌ﴾، وكان يضيق صدره صلوات الله عليه وآله بما يقولونه.

﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ كراهة أن يقولوا: هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ ما اقترحناه من الكنوز
والملائكة؟ ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نفترحه؟.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ أي: ليس عليك إلا إنذارهم بما أوحى إليك.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يحفظ ما يقولون ثم يفعل بهم ما يجب أن يفعل، فكل أمرك إليه، وعلبك بتبليغ الوحي غير مبال بمقالاتهم ولا ملتفت إلى فعالهم من استكبارهم واستهزائهم.

﴿أَمْ﴾ منقطعة، والضمير في ﴿افْتَرَاهُ﴾ لـ ﴿مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾.

تحداهم ﴿بِعَشْرِ سُورٍ﴾ ثم تحداهم بسورة واحدة لما استبان عجزهم عن الإتيان بالعشر ﴿وَمِثْلِهِ﴾ بمعنى: أمثاله، لأنه أراد مماثلة كل واحدة منها له ﴿مُفْتَرَيْنِ﴾ صفة لـ ﴿بِعَشْرِ سُورٍ﴾. والمعنى: هبوا أني افتريته من عند نفسي كما زعمتم ﴿فَأَنذَرُ﴾ أنتم بكلام ﴿وَمِثْلِهِ﴾ في حسن النظم والفصاحة مفترى مختلف من عند أنفسكم، فأنتم فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام.

﴿فَإِنَّهُ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ﴾ أي: لك وللمؤمنين.

﴿فَاعْلَمُوا﴾ أيها المؤمنون، أي: اثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً.

﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي: أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز لجميع الخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه، واعلموا عند ذلك: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده، وأن توحيده هو الحق، والشرك به هو الظلم الصريح﴾ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون موقنون بعد قيام الحجة القاطعة؟.

ويجوز أن يكون الخطاب للكفار، فيكون المعنى: فإن لم يستجب لكم من تدعونهم إلى معارضته، فقد قامت عليكم الحجة، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ متابعون بالإسلام معتقدون للتوحيد.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ زَبَدٍ، وَتَلَوَهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْهَارَ مَوْعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ أَخْلَقُ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

﴿نُوفِّ إِلَيْهِمْ﴾ نوصل إليهم ونوفر عليهم أجور ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ من غير بخس في الدنيا، وهو ما يرزقون ﴿فِيهَا﴾ من الصحة والرزق، وقيل: هم أهل الرياء^(١).
﴿وَحِطَّ مَا صَنَعُوا﴾ أي: ما صنعوه، أو صنعهم ﴿فِيهَا﴾ في الآخرة. يعني: لم يكن لصنيعهم ثواب، لأنهم لم يريدوا به الآخرة، وإنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا.

﴿وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: كان عملهم في نفسه باطلاً، لأنه لم يعمل للوجه الصحيح الذي هو ابتغاء وجه الله، فلا ثواب يستحق عليه ولا أجر.

التقدير: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ زَبَدٍ﴾ كمن كان يريد الحياة الدنيا، أي: على برهان من الله وبيان وحجة على أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل. والمعنى: إنهم لا يقاربونهم في المنزلة، وبين الفريقين تفاوت شديد وبون بعيد ﴿وَتَلَوَهُ﴾ ويتبع ذلك البرهان ﴿شَاهِدٌ﴾ يشهد بصحته وهو القرآن ﴿مِنْهُ﴾ من الله، وقيل: البينة: القرآن، والشاهد: جبرئيل يتلو القرآن^(٢)، وقيل: أفمن كان

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٢: ٩.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٢: ١١.

على بيّنة هو النبي ﷺ، والشاهد منه: عليّ بن أبي طالب عليه السلام يشهد له وهو منه^(١)، وهو المروي عنهم عليه السلام^(٢).

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن ﴿كَتَبْتُ مُوسَى﴾ وهو التوراة يتلوه أيضاً في التصديق.

﴿وَأَمَّا﴾ مؤثماً به في الدين قدوة فيه ﴿وَرَحْمَةً﴾ ونعمة عظيمة على المنزل عليهم.

﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: من كان على بيّنة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ مِنَ الْأَحْزَابِ يعني: أهل مكة ومن وافقهم وضامهم من المتحزبين على رسول الله ﷺ ﴿فَأَلَنَّا مَوْعِدُهُ﴾.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي: شك من القرآن، أو من الموعد.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ ﴿٢٢﴾

(١) تفسير الطبري ج ١٢: ١١.

(٢) تفسير العياشي ج ٢: ١٤٢.

﴿تُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ أي: يجبسون ويوقفون موقفاً يراهم الخلائق للمطالبة بما عملوا ويشهد عليهم ﴿الْأَشْهَادُ﴾ من الملائكة الحفظة والأنبياء بأنهم الكاذبون ﴿عَلَى﴾ الله بأنه اتخذ ولداً وشريكاً، وأنهم أضافوا إليه ما لم ينزله، ويقولون: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يغوون الخلق ويصرفونهم عن دين الله.

﴿وَيَعْبُوهَا عِوَجًا﴾ أي: يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة، أو ييغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد، و﴿هُمْ﴾ الثانية: فصل أكد به كفرهم بالآخرة.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين الله ﴿فِي﴾ الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ﴾ من يتولاهم فينصرهم ويمنعهم منه، ولكنه أراد إظهارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم، وهو من كلام الأَشْهَاد. وقرئ: يُضَعَّفُ.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ المعنى: إنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق كأنهم لا يستطيعون السمع.

﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بأن اشترؤا عبادة الآلهة بعبادة الله.

﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: وضاع عنهم ما اشترؤوه، وهو ﴿مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ من شفاعة آلهتهم لهم.

﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾ أي: لا ينفعهم ذلك، كسب ذلك الفعل لهم الخسران، وقيل: معناه: حقاً إنهم أخسر الناس في الآخرة.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ
كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْبَحِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ اطمأنوا إليه وخشعوا له وانقطعوا إلى عبادته وذكره،
من الخبت وهو الأرض المستوية.

شبه فريق الكفار بـ ﴿الْأَعْمَىٰ وَالْأَصْبَحِ﴾ وفريق المؤمنين بالبصير ﴿وَالسَّمِيعِ﴾
وهو من اللف والطباق، وفيه معنيان: أن يشبه الفريق بشيئين، كما شبه امرؤ القيس
[قلوب الطير بالحشف والعناب في قوله] ^(١):

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَىٰ وَكْرِهَا الْعَنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي ^(٢)

وأن يشبّهه بالذي جمع بين العمى والصمم، وبالذي جمع بين السمع والبصر،
على أن يكون الواو في ﴿وَالْأَصْبَحِ﴾ وفي ﴿وَالسَّمِيعِ﴾ لعطف الصفة على الصفة.
﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ الفريقان ﴿مَثَلًا﴾ تشبيهاً.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن
لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتَعْلَك إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَاوًى
الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾

(١) ساقطة من ب.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٣٨.

قَالَ يَقْوَرُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنْتَهٍ مِنْ رَبِّي وَءَانْتَنِ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِهِ فَعُمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاهُمْ عَلَيْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾

قرئ: إني - بالفتح والكسر - فالفتح على أرسلناه بآني لكم نذير. والمعنى: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ بالكسر، فلما اتصل به الجار فتح كما فتح (كأن) وأصله الكسر في قولك: إن زيدا كالأسد. وأما كسر (إن) فعلى إرادة القول.

﴿إِنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ بدل من ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ أي: أرسلنا بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾، أو تكون (أن) مفسرة متعلقة بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ ﴿نَذِيرٌ﴾.

﴿الْيَمْرِ﴾ مجاز في صفة ﴿يَوْمٍ﴾ أو ﴿عَذَابٍ﴾، لأن الأليم في الحقيقة هو المعذب، ونظيره قولهم: نهاره صائم وليله قائم.

﴿الْمَلَأُ﴾ الأشراف، لأنهم يملؤون القلوب هيبة.

﴿مَا نَزَلْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ظنوا أَنَّ الرسول ينبغي أن يكون من غير جنس المرسل إليه. والأراذل: جمع الأردل.

و﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ قرئ بالهمز وغير الهمز، بمعنى: اتبعوك أول الرأي، أو ظاهر الرأي، وإنا انتصب على الظرف، وأصله: [وقت حدوث أول رأيهم أو^(١)] وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف المضاف، وأريد: إن اتباعهم لك إنما كان بديهة من غير روية ونظر، وإنا استرذلهم لفقرهم وقلة ذات يدهم.

﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: زيادة شرف تؤهلكم للنبوة.

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى﴾ برهان ﴿مِنْ رَبِّي﴾ وشاهد يشهد بصحة

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

نَبَوِي ﴿وَالنَّبِيُّ رَحْمَةٌ مِّنْ عِندِهِ﴾ بإتاء البينة، على أَنَّ البينة هي الرحمة بعينها. ويجوز أن يريد بالبينة: المعجزة، وبالرحمة: النبوة، فعميت عليكم أي: خفيت بعد البينة، وقرئ: ﴿فَعَمِيَّتْ﴾ أي: أخفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مِّمَّهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ أي: أنكرهم على قبولها، ونجبركم على الاهتداء بها ﴿وَأَنْتُمْ﴾ تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين.

وَيَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِن آجِرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرْتَكِرُ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُوا مَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِدتُّمْ أَفَلَا نَذْكُرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾

الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يرجع إلى قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿إِنَّهُمْ مُّلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ معناه: إنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم، أو يلاقونه فيجازيهم على ما يعتقدونه من الإخلاص في الإيثار كما ظهر لي منهم، أو على ما تقرّفونهم ^(١) به من خلاف ذلك.

﴿يَّجْهَلُونَ﴾ الحق وأهله، أو تسفهون على المؤمنين، أو تجهلون لقاء ربكم. ﴿مَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من يمنني من انتقام الله وعذابه ﴿إِن طُرِدتُّمْ﴾، وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا، أنفة من أن يكونوا معهم على سواء.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ فأدعي فضلاً عليكم في الدنيا حتى

(١) تقرّفونهم: تعييبنهم. (الصحاح: مادة قرف)

تجدوا فضلي بقولكم: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾، ﴿وَلَا أَدْعِي أَنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ حتى أطلع على نفوس أتباعي وضائر قلوبهم، ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتى تقولوا لي: ما أنت إلا بشر مثلنا، ولا أحكم على من تسترذلونه لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيراً كما تقولون هوأنهم عليه ﴿إِنِّي إِذَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن قلت شيئاً من ذلك.

والازدراء: افتعال من زرى عليه: إذا عابه.

قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفَرَّغْنَاهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَخَّرِثُونَ ﴿٣٥﴾

أي: حاججتنا وزدت في مجادلتنا على قدر الكفاية ﴿فَأَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا﴾ من العذاب فإننا لا نؤمن بك.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ وليس الإتيان به إليّ ﴿إِنْ شَاءَ﴾ تعجيله لكم. وقوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ شرط، جزاؤه ما دلّ عليه قوله: ﴿لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾، وهذا الدال في حكم ما دلّ عليه، فوصل بشرط كما يوصل الجزاء بالشرط في قولهم: إن أحسنت إليّ أحسنت إليك إن أمكنتني. وأما المعنى في قوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ فهو أن الكافر إذا علم الله منه الإصرار على الكفر فخلاه وشأنه ولم يقصره على الإيهان سمي ذلك إغواء وإضلالاً، كما أنه إذا عرف منه الإرعواء إلى الإيهان فلفظ به سمي إرشاداً وهداية.

﴿فَعَلَىٰ إِبْرَآئِيمَ﴾ معناه: إن صحَّ وثبت أنَّ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ فعلَيَّ عقوبة إجرامي أي: افتراضي، وكان حقِّي حينئذ أن تعرضوا عني. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ﴾ أي: ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه.

ومعنى ﴿وَمِمَّا تَحْجَرُونَ﴾: من إجرامكم في إسناد الافتراء عليّ، فلا وجه لإعراضكم عني.

وَأَرْحَمَ إِلَىٰ نَوْجٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِرَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا
تَبْتَسِرُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا
وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَصْنَعُ الْفُلْكَ
وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا
فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُوكَ مَنْ يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

أقنطه الله سبحانه من إيمانهم.

﴿إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من الإيمان، و﴿قَدْ﴾ للتوقع.

﴿فَلَا تَبْتَسِرُ﴾ أي: فلا تحزن حزن بائس مسكين، قال:

مَا يَقْسِمُ اللَّهُ فَأَقْبِلْ غَيْرَ مُبْتَسِرٍ مِنْهُ وَأَقْعُدْ كَرِيحًا نَاعِمٍ الْبَالِ^(١)

أي: فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك، فقد حان وقت الانتقام لك منهم وإنجائك.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ في موضع الحال، أي: ﴿أَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ ملتبساً ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، كأنَّ

من الله سبحانه معه أعيناً تكلّوه أن يزيع في صنعته عن الصواب ﴿وَوَحِينَا﴾ وأنا نوحى إليك ولنهلمك كيف تصنع. وعن ابن عباس: لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوجو الطائر^(١).

﴿وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك ﴿لَهُمْ﴾ محكوم عليهم بالإغراق، وقد وجب ذلك فلا سبيل إلى كفه.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية.

﴿سَخَّرُوا مِنْهُ﴾ ومن عمله السفينة، وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء، فكانوا يتصاحكون ويقولون: يا نوح، صرت نجاراً بعدما كنت نبياً.

﴿فَإِنَّا نَسْخَرُهُمْ مِنْكُمْ﴾ في المستقبل ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ منا الساعة إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة.

﴿مَنْ يَأْنِيهِ﴾ في محلّ النصب بـ ﴿تَعْلَمُونَ﴾، أي: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الذي ﴿يَأْنِيهِ عَذَابٌ مُخْتَرٍ﴾ وهو عذاب الدنيا ﴿وَيُحِلُّ عَلَيْهِ﴾ حلول الدين والحقّ اللازم ﴿عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ وهو عذاب الآخرة، ويجوز أن يكون ﴿مَنْ﴾ استفهامية ويكون تعليقاً.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ
أُنْثَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنُ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ
إِلَّا قَلِيلٌ ۖ ﴿١٠﴾ وَقَالَ آرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجْرُهَا وَمُرْسَتْهَا إِنْ
رَأَى لُغُورٌ رَجِيمٌ ﴿١١﴾ وَهُوَ يَجْرَىٰ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ

نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْتَغِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ
الْكَافِرِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ سَتَأُوذِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَفْصِلُكَ مِنْ الْمَاءِ قَالَ لَا
عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ الْمُعْرِضِينَ ﴿١٣﴾

﴿حَقَّقَ﴾ هذه هي التي يتبدأ بعدها الكلام، دخلت على الجملة من الشرط
والجزاء.

﴿وَقَارَ النَّتُورُ﴾ بالماء، أي: ارتفع الماء بشدة اندفاع، وهو تنور الخابزة، وكان
في ناحية الكوفة، وقيل: التنور: وجه الأرض^(١).

﴿وَأَهْلَكَ﴾ عطف على ﴿اِثْنَيْنِ﴾، وكذلك ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾، يعني: واحل
أهلك والمؤمنين من غيرهم، و﴿اِثْنَيْنِ﴾ مفعول ﴿أَحْمَلُ﴾، والمراد بـ﴿كُلِّ
زَوْجَيْنِ﴾: الشياخ، وقرئ: مِنْ كُلِّ - بالتنوين وحذف المضاف إليه من كل - والمراد:
من كل شيء زوجين، فعلى هذا يكون انتصاب ﴿اِثْنَيْنِ﴾ على أنه صفة لـ﴿زَوْجَيْنِ﴾.
واستثنى من أهله ﴿مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أنه من أهل النار للعلم بأنه يختار
الكفر.

﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ، إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانية^(٢)، وقيل: كانوا اثنين وسبعين
رجلاً وامرأة^(٣).

﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا﴾ نوح لمن معه: ﴿أَرْكَبُوا فِيهَا﴾. وقرئ: ﴿يَجْرِيهَا

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٢: ٢٤.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ١٢: ٢٦.

(٣) عن مقاتل. الكشف والبيان ج ٥: ١٦٩.

وَمُرْسَنَهَا ﴿ بضم الميم وفتحها، وانفقوا على ضم الميم في ﴿مُرْسَنَهَا﴾ إلا ما روي عن ابن محيصن: أنه فتح الميم فيهما، من جرى ورسا: إما مصدرين، أو وقتين، أو مكانين. والمعنى: اركبوا فيها مسمين الله، أو قائلين: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ وقت إجرائها ووقت إرسائها، أو وقت جريها ووقت رسوها، على القراءة الأخرى. ويجوز أن يكونا مصدرين حذف منهما الوقت المضاف، كقولهم: خفوق النجم ومقدم الحاج. ويجوز أن يكونا مكاني الإجراء والإرساء، وانتصابهما بما في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ من معنى الفعل، أو بما فيه من إرادة القول. وروي: أن نوحاً كان يقول إذا أراد أن تجري: بسم الله، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله^(١). ويجوز أن يراد: بالله إجرائها وإرساؤها، أي: بأمره ومشيتته، والاسم مقحم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ معناه: أن السفينة تجري بنوح ومن معه على الماء ﴿فِي﴾ أمواج ﴿كَالْجِبَالِ﴾ في عظمها وارتفاعها. وقرأ علي عليه السلام: ونادى نوح ابنه - بفتح الهاء - اكفني بالفتحة عن الألف، وروي أيضاً: ابنها، والضمير لامرأته. ﴿وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ﴾ وهو مَفْعِلٌ من عزله عنه: إذا نحاه وأبعده. يعني: وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين، وقيل: كان في معزل عن دين أبيه^(٢).

﴿يَنْبُئُ﴾ قرئ بفتح الياء وكسرها، فالكسر للاقتصار عليه من ياء الإضافة، والفتح للاقتصار عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك: يا بني، أو سقطت الياء والألف لالتقاء الساكنين، لأنّ الراء بعدها ساكنة. ﴿لَا عَاصِمَ آيَوْمَ مِنَ﴾ الطوفان ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ﴾ الله، أي: إلا مكان من

(١) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج ١٢: ٢٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٥٤.

رحم الله من المؤمنين، يعني: السفينة، أو لا عاصم اليوم إلا الراحم وهو الله تعالى، وقيل: لا عاصم بمعنى: لا ذا عصمة إلا من رحمه الله، كقوله: ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾^(١)، و﴿عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٢). وقيل: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ﴾ استثناء منقطع، كأنه قيل: ولكن من رحمه الله فهو معصوم.

وَقِيلَ يَتَّزِئُ آبَايَ مَاءٍ لَكَ وَنَسَمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُصِيَ
الْأَمْرُ وَأَسْوَتَ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾
وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ
وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ
غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتْلَنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْطَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ
عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١٤﴾ قِيلَ يَنْتُوخُ
أَهْطِ بِسَلَمٍ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ
سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ
الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾

نداء الأرض والسماء بما ينادى به العقلاء مما يدل على كمال العزة والافتدار، وأن هذه الأجرام العظيمة منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير متمتعة عليه، كأنها عقلاء مميّزون قد عرفوا جلالته وعظمته، فهم ينقادون له ويمثلون على الفور من غير ريث.

(١) الطارق: ٦.

(٢) القارة: ٧.

والبلع: عبارة عن النشف، والإقلاع: الإمساك.

﴿وَغِيَصُ الْمَاءِ﴾ من غاضه: إذا نقصه.

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأنجز الموعود في إهلاك القوم.

﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ أي: استقرت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ وهو جبل بالموصل.

﴿وَقِيلَ بَعْدًا﴾ يقال: بعد بَعْدًا وَبَعْدًا: إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك

والموت ونحو ذلك، ولذلك اختص بدعاء السوء، ومجيء إخباره عز اسمه عن الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والعظمة، وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل قاهر قادر لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن غيره يقول: يا أرض، ويا سماء، وأن أحداً سواه يقضي ذلك.

﴿إِنَّ أَبْنَىٰ مِنْ أَهْلِي﴾ أي: بعض أهلي، لأنه كان ابنه من صلبه، أو كان ربيباً

له فهو بعض أهله ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ لاشك في إنجازه، وقد وعدتني أن تنجي أهلي ﴿وَأَنْتَ أَكْهَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أي: أعلمهم وأعلمهم.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك بنجاتهم معك، لأنه ليس على دينك

﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ تعليل لانتفاء كونه من أهله، وفيه إيذان بأن قرابة الدين

غامرة لقرابة النسب، وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغة في ذمه، كقول الخنساء:

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارٌ^(١)

وقري: إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، وقري: فلا تسألن - بكسر النون - بالياء وبغير

ياء، وقري: فلا تسألن مشددة النون مفتوحة، ولا تسألني بالتشديد وإثبات الياء

وبغير ياء. والمعنى: فلا تلتمس مني التماساً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب

(١) ديوان الخنساء: ٤٨. وصدرة: ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت.

حتى تقف على كنهه. وذكر السؤال دليل على أنَّ النداء كان قبل أن يغرق، وجعل سبحانه سؤال مالا يعرف كنهه جهلاً، ثم وعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من فعل ﴿الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿أَنْ أَشْتَلَكَ﴾ أن أطلب منك في المستقبل ﴿مَا﴾ لا علم ﴿لِي﴾ بصحته، تأدباً بأدبك واتعاضاً بموعظتك.

﴿وَلَا تَعْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ قاله على سبيل الخضوع لله عز اسمه والتذلل له والاستكانة.

﴿سَلِّمْ مِنَّا﴾ أي: مسلماً محفوظاً من جهتنا، أو مسلماً عليك مكرماً ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ ومباركاً عليك، والبركات: الخيرات النامية.

﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْ مَّعَكَ﴾: (من) للبيان، يريد: الأمم الذين كانوا معه في السفينة، لأنهم كانوا جماعات، ولأنَّ الأمم تشعبت منهم. ويجوز أن تكون (من) لابتداء الغاية، أي: وعلى أُمَم ناشئة ممن معك، وهي الأمم إلى آخر الدهر، وهذا أوجه. و﴿أُمَمٍ﴾ رفع بالابتداء، و﴿سَمِعْتُهُمْ﴾ صفته، والخبر محذوف تقديره: وممن معك أُمَم سمنتهم. والمعنى: إنَّ السلام منا والبركات عليك وعلى أُمَم مؤمنين ينشؤون ممن معك، وممن معك أُمَم ممتعون بالدنيا صاثرون إلى النار، وكان نوح أبا الأنبياء، والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة.

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قصّة نوح، ومحلّها رفع بالابتداء، والجمل بعدها أخبار، أي: تلك القصة بعض ﴿أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ موحاة ﴿إِلَيْكَ﴾ مجهولة عندك وعند ﴿قَوْمِكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أي: من قبل إحيائي إليك، أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي، أو من قبل هذا الوقت.

﴿فَأَصْبِرْ﴾ على تبليغ الرسالة وعلى أذى قومك كما صبر نوح.

﴿إِنَّ الْعَقِبَةَ﴾ في الفوز والنصر والغلبة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وإلى عادِ أخاهم هوداً قال يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْقُورِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُورِ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِ هَارُونَ بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ربي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ ربي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ ربي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنْ ربي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّ آيَاتِ رَبِّهِمْ لَكُنُوزًا يَنْقُرُونَ ﴿٦٠﴾

﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب دون الدين، أي: واحداً منهم، عطف على ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾، و﴿هُودًا﴾ عطف بيان.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ على الله كذباً باتخاذكم الأوثان له شركاء.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجراً إلا من الله، ولا

شيء أنفى للتهمة من حسم المطامع.

المدرار: الكثير الدرور، كالغزار، رغبهم في الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة، لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين، وكانوا يدلون بالقوة والبطش والنجدة. وعن الحسن بن علي عليه السلام: أنه وفد على معاوية، فلما خرج تبعه بعض حجاجه وقال: إني رجل ذو مال ولا يولد لي، فعلمني شيئاً لعل الله يرزقني ولداً، فقال عليه السلام: ((عليك بالاستغفار))، فكان يكثر الاستغفار حتى ربه استغفر في اليوم سبعمائة مرة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية، فقال: هلا سألتهم مم قال ذلك؟ فوفد وفدة أخرى، فسأله الرجل، فقال: ((ألم تسمع قول الله عز اسمه في قصة هود: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ وفي قصة نوح: ﴿وَيُضِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ﴾^(١))).

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ ولا تعرضوا عني و عما أدعوكم إليه.

﴿مُجْرِمِينَ﴾ مصرين على إجرامكم وأثامكم.

﴿مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ كذب منهم وجحود، كما قالت قريش لرسول الله ﷺ: ﴿لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٢) مع كثرة آياته ومعجزاته.

﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ حال من الضمير في ﴿يَتَارِكِي آلَهُنَّ﴾ بمعنى: وما نترك

ألهتنا صادرين عن قولك.

﴿اعْتَرَيْنَاكَ﴾ مفعول ﴿نَقُولُ﴾، و ﴿إِلَّا﴾ لغو، والمعنى: ما نقول إلا قولنا:

اعتراك بعض آهتنا بسوء أي: خبتك ومسك بجنون، لسبتك إياها وعداوتك لها، مكافأة منها لك، فمن ثم تتكلم بكلام المجانين.

(١) نوح: ١٢.

(٢) الكشف ج ٢: ٤٠٢.

(٣) يونس: ٢٠.

﴿قَالَ﴾ هود: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ﴾ واجههم بهذا الكلام لثقتة بربه واعتصامه به، كما قال نوح لقومه: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾^(١).

﴿وَمَا تَنْشِرُكَونَ مِن دُونِهِ﴾ من إشراككم آلهة من دونه، أو مما تشركونه من آلهة من دونه، أي: أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء.

﴿تَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أنتم وألهتكم من غير إنظار، فإنّي لا أبالي بكم ولا بكيدكم. ولما ذكر توكله على الله ووثوقه به وبكلاءه، وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتغال ربوبيته عليه وعليهم، وكون كل ﴿دَابَّةٍ﴾ تحت ملكته وقهره، والأخذ ﴿بِرِصَاصِهَا﴾: تمثيل لذلك.

﴿وَإِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: على طريق الحق والعدل لا يفوته ظالم. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تتولوا، لم أعاتب على التفريط في الإبلاغ ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فأبیتم إلا تكذيب الرسالة.

﴿وَيَسْخَلِفُ رَبِّي﴾ كلام مستأنف، يريد: ويهلككم الله ويحيي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ﴿وَلَا تَصْرُوهُ﴾ بتوليكم ﴿شَيْئًا﴾ من ضرر قط، وإنّا تضرّون أنفسكم.

﴿وَإِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ أي: رقيب عليه مهيم، فما تخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مؤاخذتكم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا هُودًا وَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ حين أهلكنا عدوهم ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَبَنَيْنَاهُمْ مِن عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو السموم التي كانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أذبارهم فتقطعهم عضواً عضواً، وقيل: أراد بالتنجية الثانية إنجاءهم من عذاب

الآخرة^(١).

﴿وَلَكَ عَادٌ﴾ إشارة إلى آثامهم وقبورهم، ثم استأنف وصفهم فقال: ﴿جَحَدُوا بِمَا بَنَيْتَ رَبُّهُمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله. ﴿كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يريد رؤساءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل. ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكتبهم على وجوههم في عذاب الله، وتكرير ﴿آلَا﴾ مع الشهادة بكفرهم والدعاء عليهم تفتيح لأمرهم، وبعث على الاعتبار بهم، والحذر من مثل حالهم.

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ إِن رَّبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿١١﴾ قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٢﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَوْنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرَّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١٣﴾ وَيَتَقَوَّمُ هَذِهِ نَافَةٌ لَّكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوَهَا تَكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَذَابُ غَيْرَ مَكْدُوبٍ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٦﴾ وَأَخَذَ الذَّيْبَ الظَّالِمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ

جَحِيْمٌ ﴿١٧﴾ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ شَعْمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا

بَعْدَ إِشْمُودَ ﴿١٨﴾

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ معناه: ما أنشأكم من الأرض إلا هو ولا استعمركم ﴿فِيهَا﴾ غيره. وإنشأؤهم منها هو خلق آدم من تراب، واستعمارهم فيها هو: أمرهم بعمارته، والعمارة متنوعة إلى واجب، ومندوب، ومباح، ومكروه. وقيل: (استعمركم) من العمر^(١)، نحو: استبقاكم، من البقاء، وقيل: هو من العمرى^(٢)، فيكون (استعمركم) بمعنى: أعماركم، أي: أعماركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم إذا انقضت أعماركم، أو بمعنى: جعلكم معمرين دياركم فيها، لأن الرجل إذا ورث داره غيره من بعده فكأنها أعمارها إياها، لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره.

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ داني الرحمة ﴿مُجِيبٌ﴾ لمن دعاه.

﴿كُنْتُ فِيْنَا﴾ فيما بيننا ﴿مَرْجُؤًا﴾ نرجو منك الخير، لما كانت تلوح فيك من مخايله، فكنا نستشركك في تدابيرنا، ونشاورك في أمورنا، فالآن انقطع رجاؤنا عنك، وعلمنا أن لا خير فيك.

﴿يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ حكاية حال ماضية.

﴿مُرِيبٌ﴾ من أرابه: إذا أوقعه في الريبة، أو من أراب الرجل: إذا كان ذاربية.

﴿وَأَتَيْنِي مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ وهي النبوة.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بما تقولون ﴿غَيْرَ مَخْسِرٍ﴾ غير أن أخسركم، أي: أنسبكم إلى

(١) عن الضحاك. الكشف والبيان ج ٥: ١٧٦.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٢: ٣٨.

الخسران وأقول لكم: إنكم خاسرون.

﴿ءَايَةٌ﴾ نصب على الحال، والعامل [فيها معنى الإشارة، و﴿لَكُمْ﴾ حال أيضاً من ﴿ءَايَةٌ﴾ متقدمة عليها، لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها، فلما تقدمت انتصبت على الحال^(١).

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ أي: فاتركوها آكلة ﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ ولا تصيبوها ﴿بِسُوءِ فِعْلِكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل لا يستأخر.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾ صالح: ﴿تَمَتَّعُوا﴾ استمتعوا بالعيش ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ في بلدكم، ويسمى البلد الدار، لأنه يدار فيه بالتصرف، يقال: ديار بكر، لبلادهم. ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل: عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت^(٢)، ﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه، فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به، نحو قوله:

وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سَلِيماً وَعَامِراً^(٣)

أو ﴿مَكْذُوبٍ﴾ مصدر كالمعقول والمجلود، أي: غير كذب. ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يُؤَيِّدُ﴾ قرئ مفتوح الميم، لأنه مضاف إلى (إذ) وهو غير متمكن، كقوله:

عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصُّبَا^(٤)

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٢: ٣٥١.

(٣) الكتاب ج ١: ١٧٨ لرجل من بني عامر، وبقيته: قليل سوى الطعن النihal نوافله.

(٤) ديوان النابغة الذبياني: ٧٩، وبقيته: فقلت ألما أصح والشيب وازع.

وقرئ مكسور الميم، لأنه اسم معرب فانجر بالإضافة. والمعنى: ونجيناهم من خزي ذلك اليوم ومهانتة وذلتة وفضيحته، كما قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾^(١)، ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وبأسه.

وقرئ: ﴿إِنَّ نَعْمُونَ﴾ و﴿ثَمُودَ﴾ بمنع الصرف وبالتنوين في جميع القرآن، فالصرف لأنه اسم الحي أو الأب الأكبر، ومنع الصرف للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة.

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ
فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٧١﴾ فَلَمَّارَهُ آيِدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ
نَكْرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ
لُوطٍ ﴿٧٢﴾ وَأَمْرَانُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَتَبَسَّرْنَهَا بِإِسْحَاقٍ وَمِنْ وَرَاءِ
إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ﴿٧٣﴾ قَالَتْ يَنْوِلْنِي أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي
شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا
ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٧﴾ يَأْتِيهِمْ أَغْرَضٌ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنِيبٌ عَذَابٍ غَيْرِ مَرْدُودٍ ﴿٧٨﴾

﴿رُسُلُنَا﴾ يعني: الملائكة، وكانوا ثلاثة: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، الصادق عليه السلام ((كانوا أربعة ورابعهم ملك آخر))^(٢)، وقيل: كانوا تسعة^(٣)، وقيل:

(١) هود: ٥٨.

(٢) تفسير العياشي ج ٢: ١٥٣.

(٣) عن الضحاك. معالم التنزيل ج ٢: ١٣٥.

أحد عشر، وكانوا على صور الغلمان^(١).

﴿بِالْبُشْرَى﴾ هي البشارة بإسحاق. وعن الباقر عليه السلام: ((إِنَّ هَذِهِ الْبَشَارَةُ كَانَتْ بِإِسْمَاعِيلَ مِنْ هَاجِرَ))^(٢).

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: سَلَمْنَا عَلَيْكَ سَلَامًا، أَوْ أَصَبْتَ سَلَامًا أَي: سَلَامَةً.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلَامٌ﴾ أي: أَمْرُكُمْ سَلَامٌ، وَقُرئ: سَلِمٌ، وَهُوَ بِمَعْنَى: سَلَامٌ، مِثْلَ حَلٍّ وَحَلَالٍ وَحَرَمٍ وَحَرَامٍ، قَالَ الشَّاعِرُ:

مَرَزْنَا فَقُلْنَا إِلَيْهِ سَلِمٌ فَسَلِمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بِالْبَرْقِ الْغَمَامُ اللَّوَائِحُ^(٣)

﴿فَمَا لَيْكَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ﴾ أي: فَمَا لَيْتَ فِي الْمَجِيءِ بِلِ عَجَلٍ فِيهِ، أَوْ فَمَا لَيْتَ مَجِيئِهِ.

والحنيد: المشوي بالحجارة المحمأة في أخدود من الأرض، وقيل: هو المشوي يقطر دسمه^(٤)، ويدلّ عليه قوله: ﴿بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾^(٥).

﴿فَأَمَّا آءُ﴾ إبراهيم أيدي الملائكة ﴿لَا تَصِلُ﴾ إِلَى الْعَجَلِ الْحَنِيدِ، أَنْكَرَهُمْ، يُقَالُ: نَكَرَهُ وَأَنْكَرَهُ وَاسْتَنْكَرَهُ بِمَعْنَى، وَإِنَّمَا أَنْكَرَهُمْ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَكُونُوا نَزَلُوا لِأَمْرِ أَنْكَرَهُ اللَّهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَلِذَلِكَ ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿وَأَوْجَسَ﴾ أي: أَضْمَرَ ﴿مِنْهُمْ﴾ خَوْفًا.

(١) عن السدي. معالم التنزيل ج ٢: ١٣٥.

(٢) تفسير العياشي ج ٢: ١٥٢.

(٣) ديوان شعر ذي الرمة: ٦٦٤.

(٤) عن شمر بن عطية. تفسير الطبري ج ١٢: ٤٣.

(٥) الذاريات: ٢٦.

﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ﴾ وراء الستر تسمع تحاورهم، وقيل: كانت قائمة تخدمهم^(١)، ﴿فَضَحِكْتَ﴾ سروراً بزوال الخيفة، أو بهلاك أهل الخبائث، وقيل: ﴿فَضَحِكْتَ﴾: حاضت^(٢)، وهي سارة، وكانت ابنة عم إبراهيم.

﴿فَنَسَرْنَاهَا لِإِسْحَاقَ﴾ بنبي بين نبيين، والوراء: ولد الولد. وقرئ: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب، كأنه قال: ووهبنا لها إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، على طريقة قوله: مَسَائِمُ لَيْسُوا مُضْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٍ إِلَّا بِشُؤْمٍ غَرَابِهَا^(٣)

ومن قرأ: يعقوب - بالرفع - فارتفاهه بالابتداء أو بالظرف.

والألف في ﴿يَوَلَّيْ﴾ مبدلة من ياء الإضافة، وكذا في يا عجباً، ويا لهفاً. و﴿شَيْخًا﴾ نصب على الحال، والعامل فيه معنى الإشارة، وكان لها ثمان وسبعون سنة ولإبراهيم مائة سنة.

﴿إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد بين هرمين. ﴿رَحِمَتْهُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: إن هذه وأمثالها مما يكرمكم الله به يا أهل بيت النبوة، فليس هذا مكان عجب. وقيل: الرحمة: النبوة، والبركات: الأسباط من بني إسرائيل، لأن الأنبياء منهم.

﴿حَمِيدٌ﴾ فاعل لما يستحق به الحمد من عباده.

﴿مَجِيدٌ﴾ كريم كثير الإحسان إليهم.

و﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نصب على النداء، أو على المدح.

(١) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٣: ٣٣٩.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٢: ٤٤.

(٣) البيت للأحوص الرياحي. البيان والتبيين ج ٢: ٢٦١، وفيه: إلا بين غرابها.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾ أي: لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سروراً بسبب البشري بدل الغم، فرغ للمجادلة. وجواب (لما) محذوف تقديره: اجترأ على خطابنا، أو قال: كيت وكيت، ثم استأنف ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾، وقيل: إِنَّ ﴿يُجَادِلُنَا﴾ جواب (لما)، وإنما جيء به مضارعاً لحكاية الحال، وقيل: إِنَّ (لما) يرّد المضارع إلى معنى الماضي، كما أَنَّ (إن) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال، وقيل: معناه: أخذ يجادلنا، أو أقبل يجادلنا، أي: يجادل رسلنا.

﴿ فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ أي: في معاناهم، ومجادلته إيتاهم أنّه قال لهم: إن كان فيها خمسون من المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، فما زال ينقص حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا، قال: إِنَّ فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله^(١).

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ غير عجول على من أساء إليه ﴿أَوْهَ﴾ كثير الدعاء ﴿تُؤَيِّدُ﴾ راجع إلى الله تعالى بما يحب ويرضى، وفيه بيان: أَنَّ هذه الصفات مما حمّله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع العذاب عنهم.

﴿ يَأْتِرْهِمُ ﴾ على إرادة القول، أي: قالت له الملائكة: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدل وإن كانت الرحمة دأبك، فلا فائدة فيه.

﴿ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أي: قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن حكمة، والعذاب نازل بهم لا محالة لا مرد له بجدال ولا غيره.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ
هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا
 لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ
 لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنِي شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
 رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْهَيْكَ
 مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
 الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا
 سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾
 مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

يعني: ساء ﴿لُوطًا﴾ مجيء الرسل ﴿وَضَاقَ﴾ بمجيئهم ذرعه، وذلك لأنه
 حسب أنهم آدميون ورأى حسن صورتهم وجمال جملتهم، فخاف عليهم خبت
 قومه وسوء سيرتهم.

و﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ وعصيب: شديد، من عصبه: إذا شده.

وروي: أن لوطاً قد تقدمهم وهم يمشون خلفه إلى المنزل، فقال في نفسه:
 أي شيء صنعت؟! آتي بهم قومي وأنا أعرفهم، فالتفت إليهم وقال: إنكم لتأتون
 شرار خلق الله، وكان الله سبحانه قال لجبرئيل: لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث
 شهادات، فقال جبرئيل: هذه واحدة، ثم مشى لوط، ثم التفت إليهم ثانياً وقال
 ذلك، ثم التفت الثالثة عند باب المدينة وقال ذلك، فقال جبرئيل: هذه الثلاثة،
 فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد، فصعدت امرأته فوق السطح فصققت،
 فلم يسمعوا، فدخلت، فلما رأوا الدخان أقبلوا ﴿يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: يسرعون كما
 يدفعون دفعاً.

﴿وَمِنْ قَبْلُ ذَلِكَ الْوَقْتُ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ﴾ الفواحش ففرضوا بها ومرتوا عليها.

﴿قَالَ﴾ لوط ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهن، وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً، كما زوج رسول الله ﷺ ابنتيه من أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل أن يسلموا وهما كافران. وقيل: كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه^(١).

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي: هن أحل لكم من الرجال ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مواضع الذكور.

﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ أي: لا تفضحون، من الخزي، أو لا تحجلون، من الخزية وهي الحياء ﴿فِي ضَيْفِي﴾ في حق أضيافي، فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل، وذلك من الكرم.

﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ رجل واحد يهتدي إلى سبيل الرشد في الكف عن القبيح.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ لآنا لانتزوجهن، أو مالنا فيهن من حاجة لآنا نرغب عن نكاح الإناث، ﴿وَإِنَّكَ لَنَاصِرٌ لَّهُمْ﴾ عنوا إتيان الذكور.

وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، يعني: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ لفعلت بكم وصنعت، أي: لو قويت عليكم بنفسي ﴿أَوْ﴾ أويت ﴿إِلَّا﴾ قوي أمتنع به منكم لدفعتمكم عن أضيافي، فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته، ولذلك قال جبرئيل: إن ركنك لشديد، افتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب ودخلوا،

فضرب جبرئيل بجناحه وجوههم وطمس أعينهم فأعماهم.

قالت الملائكة: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أرسلنا لهلاكهم فلا تغتم ﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء أبدأ.

﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ قرئ بالقطع والوصل، أي: سر بأهلك ليلاً، والقطع: القطعة العظيمة من الليل، كأنها قطع بنصفين.

﴿وَلَا يَلْفَظْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: ولا يتخلف منكم أحد، أو لا ينظر أحد منكم وراءه، والأول أوجه.

﴿إِلَّا أَمَرَآنَكَ﴾ قرئ بالنصب والرفع. وروي: أنه قال: متى موعد إهلاكهم؟ قالوا: ﴿الصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أسرع من ذلك، لضيق صدره بهم، فقالوا: ﴿الْيَسَّ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ جعل جبرئيل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة، ثم قلبها عليهم، وأتبعوا الحجارة من فوقهم.

﴿مَنْ سِجِيلٍ﴾ هي كلمة معربة من: سنك كل، بدليل قوله: ﴿حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ﴾^(١).

﴿مَنْضُورٍ﴾ نضد في السماء نضداً معداً للعذاب، وقيل: أرسل بعضه في أثر بعض متتابعاً^(٢).

﴿مُسَوَّمَةٍ﴾ معلمة للعذاب.

(١) الذاريات: ٣٣.

(٢) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج ٢: ١٣٨.

﴿وَمَا هِيَ مِنْ﴾ كل ظالم ﴿يَبْعِدُ﴾. وفيه وعيد لكفار قريش.

وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ
يَحْيَرَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ ﴿٨٤﴾ وَيَتَقَوَّمُ
أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا
يَسْخَعِبُ أَصْلَوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ
تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾
قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا
حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ
إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ
﴿٨٨﴾ وَيَتَقَوَّمُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾
وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

﴿إِنِّي أَرَانَكُمْ يَحْيَرَ﴾ أي: برخص من السعر وثروة وسعة تغنيكم عن
التطفيف، أو أراكم بخير ونعمة من الله فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه.

﴿يَوْمٍ تُحِيطُ﴾ مهلك من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾^(١)، وأصله من إحاطة
العدو، ووصف اليوم به لأنَّ الزمان يشتمل على ما يحدث فيه. والبخس: النقص
والهضم.

﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ نهي عن السرقة والغارة وقطع السبيل.
 ﴿يَقِيْتُ اللَّهَ﴾ ما يقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: بشرط الإيمان لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب، أو يريد: إن كنتم مصدقين لي في نصيحتي لكم.
 ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أحفظ أعمالكم عليكم وأجازيكم عليها، إنما أنا نذير ناصح لكم.

كان شعيب كثير الصلوات فقصدوا بقولهم: ﴿أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الهزء، والمعنى: أصلاتك التي تداوم عليها تأمرك بتكليف ﴿أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تترك فعل﴾ ﴿مَا نَشْتَوِي﴾ في أموالنا؟ فحذف المضاف، لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره. وقرئ: أصلاتك على التوحيد.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ أرادوا بذلك نسبته إلى غاية السفه والغي، فعكسوا ليهتكموا به.

﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ﴾ أي: من لدنه ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ وهو ما رزقه من النبوة والحكمة، وقيل: أراد رزقاً حلالاً طيباً من غير بخس^(١). وجواب ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ محذوف، والمعنى: أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ وَيَقِينٌ مِّن رَّبِّي﴾ وكنت نبياً على الحقيقة: أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن القبائح، والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك؟!.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ﴾ معناه: وما أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم.

﴿إِنْ أَرِيدُ﴾ أي: ما أريد ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ وهو أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي.

﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ ظرف، أي: مدة استطاعتي للإصلاح ومادمت متمكناً منه، أو بدل من ﴿الْإِصْلَاحَ﴾ أي: المقدار الذي استطعت منه، ويجوز أن يكون مفعولاً ﴿الْإِصْلَاحَ﴾ كقوله:

صَعِيفُ النَّكَايَةِ أَعْدَاءُهُ^(١)

أي: ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم.
﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وما كوني موفقاً لإصابة الحق فيما آتي وأذر إلا بمعونته وتوفيقه، والمعنى: إنه استوفى ربه في إمضاء أمره على رضا الله، وطلب منه التأييد والنصر على عدوه، وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم منه.
﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسبنكم ﴿شِقَاقِي﴾ أي: خلافي وعداوتي إصابة العذاب.

﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْ طُرِدْتُمْ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ يعني: إنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب المالكين منكم.
﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ عظيم الرحمة متودد إلى عباده بكثرة الإنعام عليهم، مريد لمنافعهم.

قَالُوا يَدْعُبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا وَمَا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا
وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١١﴾ قَالَ يَبْقَومُ
أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ

(١) الكتاب ج ١: ١٩٢ دون نسبة، وبقيته: بحال الفرار يراخي الأجل.

رَبِّ يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢﴾ وَيَقْوِرَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ
 إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
 كَذِيبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا
 نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنَاحٍ ﴿١٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا
 بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿١٥﴾

﴿مَا نَفَقَهُ﴾ أي: ما نفهم ﴿كثيراً مِمَّا تَقُولُ﴾، وكانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه، فكأنهم لم يفقهوه.

﴿وَإِنَّا لَلرَّزَّاقِ فِينَا ضَعِيفًا﴾ لا قوة لك ولا عزّ فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروهاً.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ أي: قتلناك شرّ قتل، والرهط: من الثلاثة إلى العشرة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّيزٍ﴾ فندع قتلك لعزّتك علينا، ولكن لم نقتلك لأجل قومك، والمراد: ما أنت بعزيز علينا بل رهطك هم الأعزّة علينا، ولذلك قال في جوابهم: ﴿أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به. والظهري منسوب إلى الظهر، والكسر من تغييرات النسب.

﴿إِنِّي رَبِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ قد أحاط بأعمالكم علماً، فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ المكانة: إما مصدر من مكن مكانة فهو مكين، أو اسم المكان، يقال: مكان ومكانة، والمعنى: اعملوا قاريّن على مكانكم الذي أنتم

عليه من الشرك والعداوة لي، أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها.

﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ﴾ يجوز أن يكون ﴿مَنْ﴾ استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها، كأنه قال: سوف تعلمون أينا يأتيه ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ وأينا ﴿هُوَ كَذِبٌ﴾، ويجوز أن تكون موصولة، والمعنى: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب.

﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾ وانتظروا العاقبة ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر، والرقيب بمعنى الرقيب أو بمعنى المراقب أو بمعنى المرتقب.

الجاثم: اللازم لمكانه لا يريم. روي: أنَّ جبرئيل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم حيث هو^(١).

﴿كَأَن لَّيَقْنُوا﴾ كأن لم يقيموا ﴿فِي دِيَارِهِمْ﴾ أحياء متصرفين مترددين.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٢﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٣﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَتَابَعًا ﴿١٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنْكَ الْبَدَلَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ

أَخَذَهُ ۖ أَلَيْسَ شَدِيدٌ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ
 ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٧﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ ۚ
 إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ ﴿١٠٨﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ
 فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: بحججنا ومعجزاتنا.

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ وحجة ظاهرة مخلصه من التلبيس والتمويه.

﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: ما في أمره رشد، إنما هو غي وضلال.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه كما كان لهم قدوة في الضلال. ويجوز أن يريد بقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ وما أمره بصالح العاقبة حميدها، ويكون قوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ تفسيراً لذلك وإيضاحاً.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أتى بلفظ الماضي لأن الماضي يدلّ على أمر موجود مقطوع به، والمراد: يقدمهم فيوردهم النار لا محالة ﴿وَيَبْسُ أَلْوَرْدُ﴾ الذي يردونه النار، لأنّ الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده. والورد: الماء الذي يورد، والإبل الواردة أيضاً.

﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي: في الدنيا ﴿لَعْنَةً﴾ ويلعنون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.

﴿يَبْسُ أَلْوَرْدُ الْمَرْقُودُ﴾ رفدهم، أي: بسّ العون المعان، وذلك أنّ اللعنة في الدنيا رقد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة، وقيل: بسّ العطاء المعطى^(١).

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ أي: ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة.

(١) عن القتيبي. تفسير السمرقندي ج ٢: ١٦٩.

﴿نَفْسُهُ عَلَيْكَ﴾ خبر بعد خبر. ﴿مَتَّهَا﴾ الضمير للقري، أي: بعضها ﴿قَائِمٌ﴾ أي: باق وبعضها عافي الأثر، كالزراع القائم على ساقه والمحصول، وهذه جملة مستأنفة لا محل لها.

﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ﴾ ياهلاكنا ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ما به أهلكوا. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾ فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله ﴿الَّتِي يَدْعُونَ﴾ أي: يعبدونها، وهي حكاية حال ماضية.

﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: عذابه ونقمته، و﴿لَمَّا﴾ منصوب بـ ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾، والتتبيب: التخسير، ومنه تنبيه: أوقعه في الخسران.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ الكاف مرفوع المحلّ، أي: ومثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾، ﴿وَهِيَ ظِلْمَةٌ﴾ حال من ﴿الْقُرَى﴾.

﴿إِلَهُ سَدِيدٌ﴾ وجيع صعب على المأخوذ، حذر سبحانه من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة، بل لكل ظالم ظلم غيره أو نفسه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبها. ﴿لَايَةً﴾ لعبرة ﴿لَمَنْ خَافَ﴾ لأنه ينظر إلى ما أحلّ الله بالمجرمين في الدنيا، وهو أنموذج لما أعدّه لهم في الآخرة، [فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود في الآخرة]^(١) فيكون له لطفاً في زيادة الخشية، ونحوه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾^(٢).

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى يوم القيامة يدلّ عليه قوله: ﴿عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾.

(١) ساقطة من ج.

(٢) النازعات: ٢٦.

و﴿النَّاسُ﴾ رفع باسم المفعول الذي هو ﴿تَجْمَعُ﴾ كما يرفع بفعله إذا قلت: يجمع له الناس، أي: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ﴾ موصوف بأن يكون موعداً لجمع الناس له صفة لازمة.

﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي: مشهود فيه، يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد، قال الشاعر:

فِي مَحْفَلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٌ^(١)

الأجل يطلق على مدة التأجيل وعلى منتهاها، فيقولون: انتهى الأجل، وبلغ الأجل آخره، ويقولون: حلّ الأجل، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾^(٢) يراد آخر مدة التأجيل. والعدّ إنّما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها، فالمعنى: ما نؤخره إلا لانتهاؤ مدة معدودة فحذف المضاف.

وقرئ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ بغير ياء، ونحوه قولهم: لا أدر - بحذف الياء - للاجتماع بالكسرة عنها، وفاعل يأتي: (يأتي): الله عزّ وجل، لقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ^(٣)﴾، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ^(٤)﴾، ويدلّ عليه قراءة من قرأ: وما يؤخره - بالياء - وقوله: ﴿يَا ذُنُوبَكُمْ﴾. ويجوز أن يكون الفاعل ضميراً لـ ﴿يَوْمٌ﴾ كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ^(٥)﴾.

(١) البيت لأم قيس الضبية. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٣: ١٠٦٠، وصدرة: ومشهد قد كفيت الغائبين به في مجمع..

(٢) الأعراف: ٣٤.

(٣) البقرة: ٢١٠.

(٤) الفجر: ٢٢.

(٥) الزخرف: ٦٦.

وانتصب الظرف بـ ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ أي: لا تتكلم، والمراد بإتيان اليوم: إتيان هوله وشدائده.

﴿فَعِنَهُمْ﴾ الضمير لأهل الموقف، ولم يذكروا لأن ذلك معلوم.
فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِيدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ
لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ
فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِن
قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِّى
بَيْنَهُمْ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ شَكَّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴿١١٠﴾

الزفير: إخراج النفس، والشهيق: رده قال الشماخ:

بَعِيدٌ مَدَى التَّطَرُّيبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ زَفِيرٌ وَيَتْلُوهُ شَهِيقٌ مُحْشَرَجٌ^(١)

﴿مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ يعني: المبدلتين، أي: مادامت سماوات الآخرة وأرضها وهي مخلوقة للأبد، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء، ولا بد لأهل الآخرة مما يظلمهم ويقلهم، وقيل: إن ذلك عبارة عن التأييد^(٢) كقول العرب: ما لاح كوكب، وما أقام ثبير ورضوى، وغير ذلك من كلمات التأييد.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في

(١) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: ٨٨ باختلاف.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١٢: ٧٠.

نعيم الجنة، وذلك أن أهل النار لا يعذبون بالنار وحدها، بل يعذبون بأنواع من العذاب، وبما هو أغلظ من الجميع وهو سخط الله عليهم وإهانتة إياهم، وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة مما هو أكبر منها وهو رضوان الله وإكرامه وتبجيله، فهو المراد بالاستثناء.

وقيل: المراد بالاستثناء من ﴿الَّذِينَ سَقُوا﴾ وخلودهم، من شاء الله أن يخرجهم من النار بتوحيده وإيمانه، لإيصال الثواب الذي استحقوه بطاعتهم إليهم، ويكون (ما) بمعنى (من)، كما يروى عن العرب: سبحان ما سبحت له، يقولونه عند سماع الرعد، وكقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

والمراد بالاستثناء من ﴿الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ وخلودهم في الجنة أيضاً، هؤلاء الذين ينقلون إلى الجنة من النار، والمعنى: خالدين فيها إلا ما شاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنة، ف(ما) هاهنا على بابهِ والاستثناء في الثاني من الزمان، والاستثناء في الأول من الأعيان. وعن قتادة: الله أعلم بشيئه، ذكر لنا أنّ ناساً يصيبهم سفع^(٢) من النار بذنوبهم ثمّ يتفضل الله عليهم فيدخلهم الجنة، يسمّون الجهنّمين، وهم الذين أنفذ فيهم الوعيد ثمّ أخرجوا بالشفاعة^(٣).

وقرئ: ﴿سُعِدُوا﴾ بضم السين، ويكون على هذا أسعده الله فهو مسعود، وسعد الرجل فهو سعيد، ونحوه: حزن الرجل وحزنته.

﴿عَطَاةٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ أي: غير مقطوع، ولكنه تمتد إلى غير نهاية.

ولما قصّ قصص الكفار وما حلّ بهم من نعمة الله سبحانه قال: ﴿فَلَا تَكُ

(١) الحشر: ١.

(٢) السفع: اللفح اليسير الذي يغير لون البشرة. (الصحيح مادة: سفع).

(٣) تفسير الطبري ج ١٢: ٧٠.

فِي مَرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَتُولَاءُ ﴿١١١﴾ أي: فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم للأوثان، وتعترضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم، تسلياً لرسول الله ﷺ، ووعداً له بالانتقام منهم ووعداً لهم.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالتين، فسينزل بهم مثل ما نزل بآبائهم، وهو استئناف معناه: تعليل النهي عن المرية.

﴿وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ أي: حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم.

﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: آمن به قوم وكفر به قوم، كما اختلف في القرآن. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني: كلمة الإنظار إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ﴾ بين قوم موسى أو بين قومك. وهذا من جملة التسليية أيضاً.

وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٢﴾
فَأَسْتَفْتِمُ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٣﴾
لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿١١٤﴾

﴿وَإِنْ كَلَّا﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه، يعني: وإن كلهم أي: جميع المختلفين فيه ﴿لِيُوفِيَنَّهُمْ﴾ جواب قسم محذوف، واللام في ﴿لَمَّا﴾ موطئة للقسم و(ما) مزيدة، والمعنى: وإن جميعهم والله ليوفينهم ﴿رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ من حسن أو قبيح وإيمان وكفر. وقرئ: وإن كلاً - بالتخفيف - على إعمال المخففة عمل الثقيلة

[اعتباراً لأصلها الذي هو التثقيل] ^(١). وقرئ: لما - بالتشديد - مع (إن) الثقيلة والخفيفة، وكلاهما مشكل عند النحويين، إذ ليس يجوز أن يراد ب(لما) معنى الحين، ولا معنى (إلا) كالتي في قولهم: نشدتك الله لما فعلت وإلا فعلت، ولا معنى (لم). وأحسن ما يصرف إليه أن يقال: إنه أراد (لما) من قوله: ﴿أَكَلًا لَّمَّا﴾ ^(٢)، ثم وقف فقال: (لَمَّا)، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، ويكون المعنى: وإن كلاً ملمومين يعني: مجموعين، كأنه قال: وإن كلاً جميعاً، كقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ^(٣). ويجوز أن يكون (لما) مصدراً على زنة فعلی، مثل: الدعوى والشروى.

﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها.

﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ عطف على الضمير المستكن في استقم، وجاز ذلك من غير تأكيد بالضمير المنفصل، لأن الفاصل قام مقامه. والمعنى: فاستقم أنت وليستقم من تاب معك عن الكفر وآمن معك. ﴿وَلَا تَطْعَمُوا﴾ ولا تخرجوا عن حدود الله.

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عالم فهو مجازيكم به.

وعن الصادق عليه السلام: ((﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: افتقر إلى الله بصحة العزم) ^(٤). وعن ابن عباس: (ما نزلت آية كانت أشق على رسول الله ﷺ من هذه

(١) ساقطة من ج.

(٢) الفجر: ١٩.

(٣) الحجر: ٣٠.

(٤) الكشاف ٢: ٤٣٣.

الآية^(١)، ولهذا قال: ((شيتيني هود والواقعة وأخواتها))^(٢).

﴿وَلَا تَرْكُؤُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولا تميلوا إلى الذين وجد منهم الظلم، والنهي متناول للدخول معهم في ظلمهم، وإظهار الرضا بفعلهم، ومصاحبتهم، ومصادقتهم، ومداهنتهم. وعن الحسن: (جعل الله الدين بين لائين: ﴿لَا تَقْفُوا﴾ و﴿لَا تَرْكُؤُوا﴾^(٣). وفي الحديث: ((من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه))^(٤).

﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾ حال من قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ أي: فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال، ومعناه: ومالك من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه غيره ﴿ثُمَّ﴾ لا ينصركم هو.

وَأَمِرَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٦﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٧﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ غدوة وعشية.

﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وساعات من الليل، وهي ساعته القريبة من آخر النهار، من أزلفه: إذا قربه، وصلاة الغداة: صلاة الفجر، وصلاة العشية: المغرب، وصلاة

(١) معالم التنزيل ج ٢: ١٤١.

(٢) الخصال: ١٨٢، المستدرک علی الصحیحین ج ٢: ٣٤٣.

(٣) الكشف ج ٢: ٤٣٣.

(٤) إرشاد القلوب ج ١: ٧٦، إحياء علوم الدين ج ٢: ١٤٤.

الزلف: العشاء الآخرة، وترك ذكر الظهر والعصر، لأنهما مذكوران على التبع للطرف الأخير لأنهما بعد الزوال، وقد قال سبحانه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(١). والدلوك: الزوال. وقرئ: وَزُلْفًا. بضمتين..

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ قيل: معناه: إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب^(٢)، لأنَّ ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ معرفة باللام، وقد تقدّم ذكر الصلوات. وعن علي عليه السلام: ((إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ هَذِهِ الْآيَةُ))^(٣). وقيل: إن الحسنات يكن لطفاً في ترك السيئات.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿فَاسْتَقِمُّ﴾ وما بعده.

﴿ذَكَرَى لِلذَّكْرَيْنِ﴾ عظة للمتعطين.

﴿وَأَصْبِرْ﴾ على الامتثال بما أمرت به، والانتهاء عما نهيت عنه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. وهذه الآيات اشتملت على الاستقامة، وإقامة الصلوات، والانتهاء عن الطغيان والركون إلى الظلمة، وغير ذلك من الطاعات.

﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ أي: فهلا كان ﴿مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ﴾ أي: أولو فضل وخير، وسمى الفضل والجودة بقية، لأنَّ الرجل يستبقي مما يخرججه أجوده وأفضله، فصار مثلاً في الجودة والفضل، ويقال: فلان من بقية القوم أي: من خيارهم، وقد تكون البقية بمعنى: البقوى، وعلى ذلك فيكون معناه: فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم، وصيانة لها من سخط الله وعقابه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منقطع معناه: ولكن قليلاً ﴿مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾،

(١) الإسراء: ٧٨.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٢: ٧٩.

(٣) تفسير العياشي ج ٢: ١٦١.

و(من) للبيان.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ تاركي النهي عن المنكرات، أي: اتبعوا ما عودوا من التنعم وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا ما وراء ذلك.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿كَانَ﴾ بمعنى: صحَّ واستقام، واللام لتأكيد النفي، و﴿يُظْلِمُ﴾ حال عن الفاعل. والمعنى: استحال في الحكمة أن يهلك الله ﴿الْقُرَى﴾ ظلماً لها ﴿وَأَهْلُهَا﴾ قوم ﴿مُصْلِحُونَ﴾ تنزيهاً لذاته عن الظلم، وإيداناً بأن إهلاك المصلحين ظلم مستحيل عليه، وقيل: الظلم: الشرك^(١)، أي: لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم، ولا يضمنون إلى ظلمهم فساداً آخر.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ لا ضطر ﴿النَّاسَ﴾ إلى أن يكونوا أهل ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[أي: ملة واحدة]^(١) وهي ملة الإسلام، ولكنه مكنهم من الاختيار ليستحقوا الثواب، فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلّفوا ﴿وَلَا يَرَاوُنَّ مُخْتَلِفِينَ﴾. ﴿إِلَّا﴾ ناسأ هداهم الله ولطف بهم، فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه. ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: (ذلك) إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام الأول، يعني: ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف ﴿خَلَقَهُمْ﴾ ليشيب الذي يختار الحق بحسن اختياره.

﴿وَوَمَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ﴾ وهي قوله للملائكة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَكَلَّا﴾ أي: وكل نبأ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾، و﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ بيان ل(كل)، و﴿مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾. ويجوز أن يكون المعنى: وكل اقتصاص نقص، على معنى: وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك على الأساليب المختلفة، و﴿مَا نُنَبِّئُ﴾ مفعول ﴿نَقُصُّ﴾، ومعنى تنبئت فؤاده: زيادة يقينه وطمأنينة قلبه، لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب.

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ السورة، أو في هذه الأنباء المقصودة فيها ما هو حق ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ وتذكير.

﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم التي أنتم عليها ﴿إِنَّا عَمِلُونُ﴾. ﴿وَانظُرُوا﴾ بنا الدوائر ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحو ما قص الله من النقم النازلة بأمثالكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا تخفى عليه خافية، فلا يخفى عليه

أَعْمَالَكُمْ ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ﴾ فَيَنْتَقِمُ لَكَ مِنْهُمْ ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فَإِنَّهُ
يَنْصُرُكَ وَيَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ.

سورة يوسف

مكية، وهي مائة وإحدى عشرة آية بالإجماع.

في حديث أبي: ((علموا أرقاءكم (سورة يوسف)، فأتيا مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه، هوّن الله عليه سكرات الموت، وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل يوم أو في ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف، ولا يصيبه فزع، وكان من خيار عباد الله الصالحين))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾
قَالَ يَبْنَىٰ لَكَ بُيُوتٌ لَّآ نَقُصُّ عَلَيْكَ عَلَيْ إِخْوَتَكَ فَيُكَيِّدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ
الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾

(١) الكشف والبيان ج ٥: ١٩٦.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٦.

﴿الْكَتَبِ الثَّيْنِ﴾ الظاهر أمره في الإعجاز، أو المبين أنه من عند الله لا من عند البشر، أو المبين الواضح الذي لا تشبهه معانيه على العرب لنزوله بلسانهم.
﴿قُرْءَانَا عَرَبِيًّا﴾ حال. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه، ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لالتبس عليكم.

و﴿الْقَصَصِ﴾ يكون مصدراً، أو يكون بمعنى المقصوص، كالنقص والحسب، فإنَّ أريد المصدر فالمعنى: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص ﴿يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: بإيحائنا إليك هذه السورة، فيكون ﴿أَحْسَنَ﴾ نصباً على المصدر لإضافته إلى المصدر، والمراد بأحسن الاقتصاص: أنه اقتصص على أبداع أسلوب وأحسن طريقة وأعجب نظم.

وإنَّ أريد بـ﴿الْقَصَصِ﴾ المقصوص، فالمعنى: نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث في بابه، لما يتضمن من النكت والحكم والعبر التي ليست في غيرها.

﴿وَإِنْ كُنْتَ﴾ (إن) مخففة من الثقيلة، والضمير في ﴿قَبْلِهِ﴾ يعود إلى ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: وإنَّ الحديث وإن كنت من قبل إيحائنا إليك من ﴿الْعَفْلِيلِ﴾ عنه، ما كان لك به علم قط.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ بدل من ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ وهو من بدل الاشتغال، لأنَّ الوقت مشتمل على ما يقص فيه.

﴿وَتَأْتِ﴾ قرئ بكسر التاء وفتحها، وهي تاء التأنيث جعلت عوضاً من ياء الإضافة، وإنَّما صحَّ أن تكون عوضاً منها لأنَّ التأنيث والإضافة يتناسبان في أنَّ كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره. ومن فتح حذف الألف من ﴿وَتَأْتِ﴾ وأبقى الفتحة دليلاً عليها.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ من الرؤيا، وعن ابن عباس: (إن يوسف رأى في المنام ليلة القدر أحد عشر كوكباً نزلن من السماء فسجدن له، ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له، فالشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر)^(١)، وقيل: الشمس أبوه والقمر خالته، وذلك أن أمه راحيل قد ماتت^(٢).

ويجوز أن يكون الواو في ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ بمعنى (مع) أي: رأيت الكواكب مع الشمس والقمر.

و﴿رَأَيْنَهُمْ﴾ كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأنه قال له يعقوب: كيف رأيتهما؟ فقال: ﴿رَأَيْنَهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ خاف عليه حسد إخوته له وبغيهم عليه، لما عرف من دلالة رؤياه على أن الله يبلغه من شرف الدارين أمراً عظيماً.

﴿فَيَكِيدُوا﴾ منصوب بإضمار (أن)، والمعنى: إن قصصتها عليهم كادوك. ضمن قوله: ﴿يَكِيدُوا﴾ معنى (يحتالوا) فعذاه باللام ليفيد معنى الفعلين، ثم أكدّه بالمصدر فقال: ﴿كَيْدًا﴾.

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهر العداوة.

وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسِّرُ نِعَمَتَهُ
عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ
لِّلسَّالِفِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَحْنُ

(١) الكشف والبيان ج ٥: ١٩٨.

(٢) عن قتادة. الكشف والبيان ج ٥: ١٩٨.

عُصْبَةً إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْنُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ
أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾

الاجتماع: الاصطفاء.

و﴿الْأَحَادِيثُ﴾ الرؤى جمع الرؤيا، لأنَّ الرؤيا: إما حديث نفس، أو حديث ملك أو شيطان، وتأويلها: عبارتها وتفسيرها. وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحتهم عبارة لها. وقيل: هو معاني كتب الله تعالى وسنن الأنبياء وما غمض على الناس من مقاصدها، يفسر لها لهم ويشرحها، وهي اسم جمع للحديث.

ومعنى إتمام النعمة: أنه وصل نعمة الدنيا لهم بنعمة الآخرة فجعلهم أنبياء وملوكاً ثم نقلهم إلى نعيم الآخرة والدرجات العلى من الجنة.

و﴿إِلَ يَعْقُوبُ﴾ أهله ونسله، وأصل آل: أهل، بدليل أن تصغيره أهيل، إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر فيقال: آل النبي وآل الملك.

و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان ل﴿أَبَوَيْكَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بموضع الاجتناء ﴿حَكِيمٌ﴾ في إتمام الإنعام على من يستحقه.

﴿فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ في قصتهم وحديثهم ﴿مَآبِتٌ﴾ أي: علامات ودلائل على حكمته، أو عبر وأعاجيب ﴿لِلنَّاسِ الَّذِينَ﴾ عن قصتهم، أو آيات على نبوة محمد ﴿لِلنَّاسِ الَّذِينَ﴾ للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع ولا قراءة كتاب. فقد روي: أنهم قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف؟. وقرئ: آية.

﴿يُوسُفَ﴾ لام الابتداء، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا: أن

زيادة محبة ليوسف وأخيه بنيامين أمر ثابت لا شبهة فيه، وإنما قالوا: ﴿أَخُوهُ﴾ لأن أمهما كانت واحدة.

﴿وَنَحْنُ غُصْبَةٌ﴾ حال، والمراد: إنه يفضلها في المحبة علينا وهما ابنا صغيران لا كفاية فيهما، ونحن جماعة: عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَعَيٌّ﴾ ذهاب عن طريق الحق والثواب. والعصبة والعصابة: العشرة فصاعداً، سموا بذلك لأنهم تعصب بهم الأمور.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ مجهولة بعيدة من العمران، هذا هو المعنى في تنكيرها وإخلائها من الوصف، وإلهاهما من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المهمة.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ يقبل عليكم إقبالة واحدة ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وقيل: ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾: يفرغ لكم من الشغل بيوسف^(١).

﴿وَتَكُونُوا مِنْ﴾ بعد يوسف، أي: بعد قتله أو تغريبه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ تائبين إلى الله مما جنيتهم عليه، أو تصلح دنياكم وتنظم أموركم.

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ
بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَبْنَائَنَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا
عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ
وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا
بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا
لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾

القائل: يهوذا، وكان أحسن إخوته رأياً فيه، وهو الذي قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾^(١)، ﴿قَالَ﴾ لهم: القتل أمر عظيم.

﴿وَأَلْفَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ وهو غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله. وقرئ: غيابات في الموضعين على الجمع. والجب: البئر التي لم تطو.

﴿يَلْبِغُهُ﴾ يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ وهم الذين يسرون في الأرض ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَآئِنَ﴾ أي: إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي.

مَالِكَ لَا تَأْمَنَّا. بإظهار النونين. وقرئ: ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام بإشمام وغير إشمام. والمعنى: لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبّه، وما فعلنا في أمره ما يدلّ على خلاف النصيحة؟.

وقرئ: نرتع ونلعب بالنون فيهما، وبالياء فيهما، والجزم، وقرئ: الأوّل بالنون والثاني بالياء. وأصل الرتعة: الخصب والسعة. والمعنى: ننال ما نحتاج إليه ونتسع في أكل الفواكه وغيرها، وقرئ: يرتع - بكسر العين - ويلعب - بالياء فيهما وبالنون - من ارتعى يرتعي، يقال: رعى وارتعى، مثل: شوى واشتوى، وقد يستقيم أن يقال: نرتع وإنّما ترتع إبلهم، فيكون على حذف المضاف، وأرادوا به اللعب المباح مثل الرمي والاستباق بالأقدام.

﴿يَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ اعتذر إليهم بشيئين: أحدهما: أنّ مفارقتة إيّاه مما يحزنه لأنّه كان لا يصبر عنه ساعة، والآخر: خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم.

﴿لَيْنَ أَكَلَهُ الذَّئْبُ﴾ اللام موطئة للقسم، و﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ جواب

القسم وقد سدّ مسدّ جواب الشرط.

والواو في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ واو الحال. حلفوا له: لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم. وحالهم أنهم عشرة رجال، بمثلهم تعصب الأمور وتستكفي الخطوب. إنهم إذا لقوم هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً، أو مستحقّون أن يهلكوا لأنّه لا غناء عندهم، أو مستحقّون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار فيقال: خسرهم الله، حين أكل الذئب بعضهم وهم حضور.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَتِّنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَيَرْكُنَا يُوسُفُ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكْلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾ مفعول ﴿أَجْمَعُوا﴾ من أجمع الأمر وأزمعه، وجواب (لما) محذوف، والتقدير: فعلوا به ما فعلوا من الأذى. فقد روي: أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يضربونه، فلما أرادوا إلقاءه في الجب ربطوا يديه ونزعوا قميصه ودلوه في البئر، فلما بلغ نصفها ألقوه وكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم آوى إلى صخرة فقام عليها، وكان إبراهيم خليل الرحمن لما ألقى في النار عرياناً أتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب، وجعله يعقوب في تيممة علّقها في عنق يوسف، فجاء جبرئيل [فأخرجه وألبسه إياه، وهو القميص الذي وجد يعقوب] ^(١) ريحه لما فصلت العير

من مصر^(١).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أوحى إليه في الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى
﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾، وإنما أوحى إليه ليبشّر بما يؤول إليه أمره، والمعنى:
لتتخلصن مما أنت فيه، ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنك
يوسف، لعلو شأنك ولطول عهدهم بك، وقيل: يريد وهم لا يشعرون بإيحائنا
إليه وإزالتنا الوحشة عنه، ومحسون أنه مستوحش^(٢).

وجاء إخوته ﴿أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ آخر النهار، وأظهروا البكاء ليوهموه أنهم
صادقون.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾ أي: نتسابق في العدو أو في الرمي، وقيل:
في تفسيره: نتضل^(٣).

﴿وَمَا أَنْتَ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا﴾ من أهل الصدق عندك لشدة
محبتك ليوسف، فكيف وأنت سئى الظن بنا غير واثق بقولنا!.

﴿يَدْمِرُ كَذِبٍ﴾ أي: ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كقول الشاعر:

فَهَنَّ بِهِ جُودٌ وَأَتْنَمَ بِهِ بُخْلٌ^(٤)

وروي: إن يعقوب أخذ القميص وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب
وجهه بدم القميص وقال: تالله ما رأيت كالיום ذنباً أحلم من هذا، أكل ابني ولم

(١) تاريخ الطبري ج ١: ١٧٠.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٢: ٩٦.

(٣) معاني القرآن وإعراجه ج ٣: ٩٥.

(٤) أساس البلاغة ج ١: ١٤٠ دون نسبة، وصدرة: وفيهن فضل قد عرفنا مكانه.

يمزق عليه قميصه^(١).

﴿عَلَى قَمِيصِهِ﴾ محله نصب على الظرف، أي: ﴿وَجَاءُوا﴾ فوق ﴿قَمِيصِهِ﴾ يدمر كذب، ولا يجوز أن يكون حالاً متقدّمة، لأن الحال عن المجرور لا يتقدّم عليه. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي: سهّلت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ عظيماً ارتكبتموه من يوسف وهوّته في أعينكم. والسول: الاسترخاء.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فأمرى صبر جميل، أو فصبر جميل أمثل، وفي الحديث: ((إِنَّ الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه))^(٢) يعني: إلى الخلق، لقوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٣).

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى﴾ احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف.
وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ
وَأَسْرُوهُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١٢﴾

﴿سَيَّارَةٌ﴾ جماعة مارة تسير من قبل مدين إلى مصر، وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الحب، فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً منه.

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ والوارد: الذي يرد ليستقي للقوم، أي: بعثوا رجلاً يطلب لهم الماء، وهو مالك بن ذعر.

﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ في البئر، فتعلق يوسف بالخليل، فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان، ﴿قَالَ﴾ يا بشراي، أي: أضاف البشري إلى نفسه،

(١) الكشف والبيان ج ٥: ٢٠٣.

(٢) الكافي ج ٢: ٩٣، تفسير الطبري ج ١٢: ٩٩.

(٣) يوسف: ٨٦.

وقرى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكَ﴾ نادى: البشرى، كأنه قال: تعالي فهذا أوانك.

﴿وَأَسْرَوْهُ﴾ الضمير للوارد وأصحابه: أخفوه من الرفقة، وقيل: أخفوا أمره ووجدانهم له في الحب وقالوا لهم: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر^(١)، وعن ابن عباس: (أَنَّ الضمير لإخوة يوسف وأتهم قالوا للرفقة: هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه)^(٢).

وانتصب ﴿بِضْعَةٍ﴾ على الحال، أي: أخفوه متاعاً للتجارة، والبضاعة: ما يوضع من المال للتجارة، أي: يقطع.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه ﴿بِشَعْبٍ بَحْسٍ﴾ مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً.

﴿دَرَاهِمَ﴾ لا دنائير ﴿مَعْدُودَةً﴾ قليلة تعدّ عدّاً ولا توزن، وعن ابن عباس: (كانت عشرين درهماً)^(٣).

﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ممن يرغب عما في يده فيبيعه بها طف^(٤) من الثمن، لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء لا يبالي بمّ باعه. ويجوز أن يكون المعنى: واشتروه من إخوته يعني الرفقة وكانوا من الزاهدين في نفس يوسف.

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ١٢: ١٠٠.

(٢) تفسير الطبري ج ١٢: ١٠١.

(٣) تفسير الطبري ج ١٢: ١٠٣.

(٤) طف: قل، والطفيف: القليل. (الصحاح: مادة طف).

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ وَرَزَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا
عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَعَلَّقَتِ الْأُبُوبَ ۚ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۖ قَالَ مَعَادَ اللَّهِ
إِنَّهُ رَجِيءٌ أَحْسَنَ مَثْوًى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾

﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ هو العزيز الذي كان على خزائن مصر، واسمه
قطفير أو اطفير، والملك يومئذ: الريان بن الوليد، وعن ابن عباس: (العزيز ملك
مصر)، وقيل: اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، وأقام في منزله ثلاث عشرة
سنة، واستوزره الريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل: اشتراه
العزيز بأربعين ديناراً وزوج نعل وثوبين أبيضين^(١).

وقال ﴿لَا مَرَأَةَ أَكْرَمِي مَثْوُهُ﴾ أي: اجعلي منزله ومقامه عندنا كريماً، أي:
حسناً مرضياً بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ رَجِيءٌ أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ ومعناه: تعهّديه بالإحسان
حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا.

﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ لعله ينفعنا بكفايته وأمانته، أو نتبناه ونقيمه مقام الولد،
وكان قد تفرّس فيه الرشد فقال ذلك.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الإنجاء والعطف، والمراد: كما أنجيناها
وعطفنا عليه العزيز ﴿مَكْنًى﴾ له ﴿فِي﴾ أرض مصر، وجعلناه ملكاً يتصرّف فيها
بأمره ونهيه ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴿كان ذلك الإنجاء والتمكين.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ لا يمنع مما يشاء ويقضي، أو على أمر يوسف يدبره

(١) ينظر: القصة والأقوال في تاريخ الطبري ج ١: ١٧٢.

لا يكله إلى غيره.

وقيل في الأشد: ثماني عشرة سنة، وعشرون، وثلاث وثلاثون، وأربعون،
وقيل: أقصاه ثنتان وستون سنة^(١).

﴿حُكْمًا﴾ أي: حكمة، يعني: النبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بالشرعية، وقيل: الحكم على
الناس والعلم بوجوه المصالح.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه تنبيه على أن الله آتاه الحكم والعلم جزاء
على إحسانه في العمل وتقواه. وعن الحسن: (من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه
الحكمة في اكتهاله)^(٢).

والمراودة: مفاعلة من راد يرود: إذا جاء وذهب، والمعنى: خادعته ﴿عَنْ
نَفْسِهِ﴾ أي: فعلت ما يفعله المخادع بصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج
من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن التمثل لمواقفته إياها.

و﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: أقبل وتعال، وقرئ: [هَيْتُ لَكَ - بضم التاء - و]^(٣)
هَيْتَ لَكَ - بكسر الهاء وفتح التاء - وهَيْتُ لَكَ - بالهمزة وضم التاء - بمعنى تهبأت
لك. يقال: هاء يهبي، واللام من صلة الفعل وأما في الأصوات فلليان، كأنه قيل:
لك أقول هذا.

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله معاذًا.

﴿إِنَّهُ﴾ الضمير للشأن والحديث.

(١) ينظر: الأقوال في تفسير الطبري ج ١٢: ١٠٥.

(٢) الكشف ج ٢: ٤٥٤.

(٣) ساقطة من ج.

﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثَوَايَ﴾ مبتدأ وخبر، يريد قطفير حين قال لا مرأته: ﴿أَكْزَمِي مَثَوْنُهُ﴾ فليس جزاؤه أن أخلفه في أهله بسوء وأخونه.

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِدُءٍ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَمَا بُرْهَنَ رَبِّيَ ۚ كَذَلِكَ
لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾
وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ
كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ
كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى
قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ
﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ
مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

هم بالامر: إذا قصده وعزم عليه، والمعنى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ﴾ بمخالطته
﴿وَهَمَّ﴾ بمخالطتها.

﴿لَوْلَا أَنَّ رَمَا بُرْهَنَ رَبِّيَ﴾ جوابه محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه
لخالطها، فحذف لأن قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يدلّ عليه، كقولك: هممت بقتله لولا أنّي
خفت الله، معناه: لولا أنّي خفت الله لقتلته. والمراد في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: أنّ نفسه
مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب ميلاً يشبه الهم بها والقصد
إليها، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همّاً لشدته لما كان صاحبه مدوحاً عند
الله بالامتناع، ولو كان همّه كهتمها لما مدحه الله بأنّه: ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.
ويجوز أن يريد بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وشارف أن يهيم بها، كما يقول الرجل:

قتلته لو لم أخف الله. ومن حق القارئ أن يقف على ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْءُ﴾ ويتبدئ ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَنَ رَبُّهُمْ﴾ [ومن حق المفسر أن يفسر برهان ربّه] ^(١).

﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في محل النصب أي: مثل ذلك التثبيت ثبتناه، أو في محل الرفع أي: الأمر مثل ذلك.

﴿لَنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ من خيانة السيّد ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ من الزنا ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا﴾ المخْلِصين الذين أخلصوا دينهم لله، وبالفتح: الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم.

﴿وَأَسْبَقَ أَلْبَابَ﴾ وتسابقا إلى الباب، على حذف الجار أو على تضمينه معنى ابتدرا، ففرّ منها يوسف فأسرع يريد الباب البراني ليخرج، وأسرع وراءه لتمنعه الخروج.

﴿وَقَدَّتْ قَيْصَهُ، مِنْ دُبُرٍ﴾ اجتذبت من خلفه فانقذ، أي: انشق ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ وصادفا بعلمها وهو قطفير.

﴿مَا﴾ نافية، أي: ليس جزاؤه إلا السجن، أو استفهامية بمعنى: أي شيء جزاؤه إلا السجن؟ كما تقول: من في الدار إلا زيد؟. وقيل: العذاب الأليم: الضرب بالسياط ^(٢).

ولما عرضته للسجن والعذاب وأغرت به، وجب عليه الدفع عن النفس فـ ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ ولولا ذلك لكتّم عليها.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: كان ابن عم لها وكان جالساً مع زوجها

(١) ساقطة من ج، ط.

(٢) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج ٥: ٢١٤.

عند الباب^(١)، وقيل: كان ابن خال لها صبياً في المهد^(٢). وسمي قوله شهادة لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها.

﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾ يعني: قطفير، وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾ أي: إن قولك: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ أو إن هذا الأمر ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾، واستعظم كيد النساء لأنهن ألطف مكيدة وأنفذ حيلة من الرجال.

﴿يُوسُفُ﴾ حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر واكتمه ولا تحدث به.

﴿وَاسْتَغْفِرِي﴾ أنت ﴿لذُنُوبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْقَوْمِ الْمَتَعَمِّدِينَ لِلذَّنْبِ﴾، يقال: خطي إذا أذنب متعمداً.

وَقَالَ يَسُوءُ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ ثُرُودٌ فَدَنَاهَا عَنْ نَفْسِهِ. قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَهَاتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُفَّنَّ لِيَ كُونََا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَآدِثَ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

(١) عن السدي. تاريخ الطبري ج ١: ١٧٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ج ٥: ٢١٥.

﴿وَقَالَ﴾ جماعة من النساء، والنسوة: اسم مفرد لجمع المرأة، وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة، وفيه لغتان: كسر النون وضمها.

﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر.

﴿أَمْرَأَتِ الْعَزِيزِ﴾ يردن قطفير، والعزیز: الملك بلسان العرب.

﴿فَلَهَا﴾ غلامها.

﴿شَعَفَهَا﴾ خرق حبّه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد، والشغاف:

حجاب القلب، وروي عن أهل البيت عليهم السلام: شعفها - بالعين - من شعف البعير: إذا هناؤه فأحرقه بالقطران، قال امرؤ القيس:

كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي^(١)

و﴿حُبًّا﴾ نصب على التمييز.

﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي صَلَاحٍ ثَينٍ﴾ أي: في خطأ وبعد عن الصواب.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ باغتيابهن وتعييرهن وقولهن: امرأة العزيز عشقت

عبدها الكنعاني.

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ دعتهن ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾ ما يتكئن عليه من نهارق،

وقصدت بتلك الهيئة - وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن - أن يدهشن

عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فيقطعن أيديهن، وقيل: ﴿مُتَّكًا﴾ مجلس طعام^(٢)،

لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين، وقيل: ﴿مُتَّكًا﴾

(١) ديوان امرئ القيس: ٣٣، وفيه: أَيْقَتَلَنِي أَنِي شَغَفَتْ فُؤَادَهَا - كما شغف... .

(٢) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ١٢: ١١٩.

طعاماً يميز جزاً^(١)، أي: يعتمد بالسكين، لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين.

﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمته وهين ذلك الحسن الرائع والجمال الرائق. قيل: كان

يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدار كما يرى نور الشمس من الماء عليها^(٢)، وقيل: ورث الجمال من جدته سارة^(٣).

﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ جرحنها.

﴿حَشَشَ﴾ كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القوم حاش

زيد، فمعنى ﴿حَشَشَ لِلَّهِ﴾: براءة الله وتنزيهه من صفات العجز، والتعجب من

قدرته على خلق جميل مثله، وأما قوله: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾^(٤)

فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله.

﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ نفين عنه البشرية، لغرابة حاله في الحسن، وأثبتن له الملكية

لما هو مركوز في الطباع أنه لا أحسن من الملك.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ ولم تقل: فهذا وهو حاضر، رفعا لمنزلته في

الحسن واستحقاق أن يحب ويفتن به، أو تقول: هو ذلك العبد الذي صورتين في

أنفسكن ثم لمتنني فيه، ولو صورتنه بما عاينت لعذرتنني في الافتتان به.

﴿فَاسْتَعَصَمَ﴾ أي: امتنع أشد امتناع كأنه في عصمة، واجتهد في الاستزادة

منها، ونحوه: استمسك. وفي هذا برهان قوي على أن يوسف بريء مما أضاف إليه

الحشوية من هم المعصية.

(١) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ١٢: ١٢٠.

(٢) الدر المنثور ج ٤: ١٧.

(٣) العرائس: ٦٨.

(٤) يوسف: ٥١.

﴿وَلَيْنَ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَتِهِ﴾ الأصل: ما أمر به، فحذف الجار، كما في قولك: أمرتك الخير.

﴿لَيْسَجَنَّ﴾ ليحبسن في السجن ﴿وَلَيَكُونَا﴾ بالنون الخفيفة ولذلك كتبت في المصحف ألفاً.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ أي: أسهل عليّ ﴿وَمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ﴾ من الفاحشة، أو نزول السجن أحب إليّ من ركوب المعصية. روي: أَنَّ النسوة لما خرجن من عندها أرسلت كل واحدة منهن إلى يوسف سرّاً تسأله الزيارة^(١)، وقيل: إتهن قلن له: أطع مولاتك فإنها مظلومة وأنت تظلمها^(٢). وقرئ: السَّجْنُ - بالفتح - على المصدر.

﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ فزع إلى اللطاف الله تعالى وعصمته كعادة الأنبياء والأولياء فيما وطّن عليه نفسه من الصبر.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أمل إليهن ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الذين لا يعملون بها يعلمون، أو من السفهاء لأنّ الحكيم لا يفعل القبيح.

﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ﴾ الفاعل مضمّر لدلالة ما يفسره عليه وهو ﴿لَيْسَجُنَّهُ﴾، والمعنى: بدأ لهم بداء، أي: ظهر لهم رأي ليسجنته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا آيَاتِنَا﴾ وهي الشواهد على براءته ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى زمان. والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ لـ ﴿الْعَزِيزِ﴾ وأهله.

(١) عن الجبائي. التبيان ج ٦: ١٣٥.

(٢) تفسير السمرقندي ج ٢: ١٩١.

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا
وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ
نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا
طَعَامٌ تَرْزُقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا
عَلَّمْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّي أُولَئِكَ مِثْلُ
حِقَابٍ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَجِي السِّجْنَ
ءَازِبَاتٌ فُتِفِرْقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ
الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ أي: عبدان للملك - ملك مصر - مصاحبين
له، لأنَّ (مع) تدلُّ على الصحبة. والفتيان: خباز الملك وشرابه أدخلوا السجن
ساعة أدخل يوسف، نعى إلى الملك أنها يسأله.

﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ يعني: في المنام، وهي حكاية حال ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾
يعني: عبأ، تسمية للعب بما يؤول إليه.

﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ من الذين يحسنون عبارة الرؤيا، أو من المحسنين إلى
أهل السجن، فأحسن إلينا بأن تفرَّج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في
تأويل الرؤيا. روي: أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه، وإذا ضاق على أحد

منهم مكانه وسَّع له، وإن احتاج جمع له^(١). وعن الشعبي: (أَنَّ الْفَتَيْنِ امْتَحَنَاهُ، فَقَالَ الشَّرَابِي: إِنِّي أَرَانِي فِي بَسْتَانٍ فَإِذَا بِأَصْلِ حَبْلَةٍ^(٢) عَلَيْهَا ثَلَاثَةُ عُنَاقِيدَ مِنْ عُنْبٍ فَقَطَعْتَهَا وَعَصَرْتَهَا فِي كَأْسِ الْمَلِكِ وَسَقَيْتَهُ، وَقَالَ الْخَبَازُ: إِنِّي أَرَانِي وَفَوْقَ رَأْسِي ثَلَاثَ سُلَالٍ فِيهَا أَنْوَاعُ الْأَطْعَمَةِ فَإِذَا سَبَاعُ الطَّيْرِ يَنْهَبُنَ مِنْهَا)^(٣).

﴿يَنْتَنَّا﴾ بتأويل ذلك.

ولما استعبراه ووصفاه بالإحسان، ابتدأ فوصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينتنهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما، ويصفه لهما ويقول: اليوم ﴿يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ﴾ بصفة كذا وكذا فيجدانه على ما أخبر به، وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويقبح إليهما الشرك بالله.

﴿ذَلِكُمَا﴾ إشارة إلى التأويل، أي: ذلك التأويل والإخبار بالغائبات ﴿وَمِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ وأوحى به إليّ، ولم أقله عن تكهن وتنجم.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ﴾ يجوز أن يكون استئناف كلام، وأن يكون تعليلاً لما قبله أي: علمني ربّي لأني تركت ﴿مِلَّةً﴾ أولئك ﴿وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ الأنبياء المذكورين وهي الملة الخنيفية، وذكر آباءه ليربها أنه من أهل بيت النبوة ومعدن الوحي بعد أن عرّفهما أنه نبيّ يوحى إليه، ليقوّي رغبتها في الاستماع إليه.

﴿مَا كَانَتْ لَنَا﴾ أي: ما صحّ لنا - معشر الأنبياء - الشرك ﴿بِاللَّهِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ التمسك بالتوحيد ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَكَلَى النَّاسِ﴾ على الرسل

(١) تاريخ الطبري ج ١: ١٧٦.

(٢) الحبلّة: القضيبي من الكرم. (الصحاح: مادة حبل).

(٣) الكشف ج ٢: ٤٦٩.

وعلى المرسل إليهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ﴾ المرسل إليهم ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضل الله فيشركون.

﴿يَصْحَجِي السِّجْنِ﴾ يريد: يا صاحبي في السجن، فأضافها إلى السجن، كقوله:

يَا سَارِقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ^(١)

فكما أنَّ الليلة مسروق فيها غير مسروقة، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب، وإنَّا المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام، ويجوز أن يريد: يا ساكني السجن، كقوله عز اسمه: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(٢).

﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ في العدد، أي: أن يكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا ﴿خَيْرٌ﴾ لكما ﴿أَمْرٌ﴾ أن يكون لكما رب واحد قاهر لا يغالب ولا يشارك في الربوبية؟! وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ فارغة سميتم بها، يقال: سميته بزيد وسميته زيدا ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بتسميتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: حجة.

﴿إِنْ أَلْحَكُمُ﴾ في أمر الدين والعبادة ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾، ثم بين ما حكم الله فقال: ﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ﴾ الثابت بالدلائل.

يَصْحَجِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَاسْقَى رِيَهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُضْلَبْ
فَتَأْكُلِ الظُّلُمَ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿١١﴾

(١) خزنة الأدب ج ٣: ١٠٨ دون نسبة، وكذا في المصادر المتوفرة.

(٢) الحشر: ٢٠.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ

الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿١٢﴾

﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ يعني: الشراي ﴿فَيَسْقَىٰ رَبَّهُ﴾ أي: سيده.

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: قطع وفرغ منه. وروى: أنها قالا: ما رأينا شيئاً، فأخبرهما

أن ذلك كائن صدقتهما أو كذبتهما^(١).

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الظن هنا بمعنى العلم، كما في قوله: ﴿إِنِّي

ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾^(٢).

﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ صفني عند الملك بصفتي وأخبره بحالي وأناي

حبست ظلماً، فأنسى الشراي ﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أن يذكره لربه، وقيل:

أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه في تلك الحال حين وكل أمره إلى غيره حتى استغاث

بمخلوق^(٣).

والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع. وأصح الأقوال: أنه لبث في السجن سبع

سنين.

وَقَالَ أَلَمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَىٰ يَأْسَتُ يَتَأَيَّهَا أَلَمَلَأُ

أَقْتُونِي فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُ لِلرُّءُوسِ بَاقِيَةً ﴿١٣﴾ قَالُوا أَضَعَفْتُ

أَحْلِمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعِلْمَيْنِ ﴿١٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا

(١) تاريخ الطبري ج ١: ١٧٦.

(٢) الحاقة: ٢٠.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٢: ١٣٣.

وَأَذْكُرْ بَعْدَ أَمْرٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٥٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا
 الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ
 وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي
 سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ
 يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِتُونَ ﴿٥٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ ﴿٥٩﴾

قرأ الصادق عليه السلام: وسبع سنابل... يأكلن ما قربتم لهن.

لما دنا فرج يوسف من الحبس رأى الملك - وهو الريان بن الوليد - رؤيا هالته:
 رأى ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ خرجن من نهر يابس، و﴿سَبْعَ﴾ بقرات ﴿عِجَافٍ﴾
 فأكلت العجاف السمان، ورأى ﴿سَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ قد انعقد حبها، وسبعاً
 ﴿أُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ قد استحصدت، فالتوت اليباسات على الخضر حتى غلبن عليها.
 فجمع الأشراف والكهان وقصّ رؤياه عليهم وقال ﴿الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾
 أي: عبّروا ما رأيتم في منامي ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: إن كنتم تتدبّرون لعبارة
 الرؤيا، وحقيقة عبرت الرؤيا: ذكرت عاقبتها، كما تقول: عبرت النهر: إذا قطعتة حتى
 تبلغ آخر عرضه.

وأما اللام في قوله: ﴿الرُّءْيَا﴾ إما أن تكون للبيان كقوله: ﴿وَكُنَّا فِيهِ مِنَ
 الرَّاهِدِينَ﴾^(١)، وإما أن تدخل لأنّ المعمول إذا تقدّم على عامله لم يقو على العمل،
 فعضد باللام كما يعضد به اسم الفاعل إذا قيل: هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن

الفعل في القوة، ويجوز أن يكون ﴿لِلرَّءْيَا﴾ خبر كان، كما تقول: كان فلان لهذا الأمر: إذا كان مستقلاً به متمكناً منه.

و﴿تَعَبَّرُوْا﴾ خبر بعد خبر، أو حال.

والسبب في وقوع ﴿عِجَافٌ﴾ جمعاً لعجفاء - وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال - حملة على ﴿سِمَانٍ﴾ لأنه نقيضه، وهم يحملون النظر على النظر والنقيض على النقيض.

﴿وَأُخْرِيَاسِنْتَ﴾ أي: وسبعاً آخر.

و﴿أَضَعْتُ أَخْلِرَ﴾: تخالطها وأباطيلها، وما يكون منها من وسوسة أو حديث نفس، وأصل الأضغات: ما جمع من أخلاط النبات وحزم، والواحد ضغت، والإضافة بمعنى (من)، أي: أضغات من أحلام، والمعنى: هي أضغات أحلام.

﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا﴾ أي: بعد مدة طويلة.

﴿أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ أنا أخبركم به عما عنده علمه.

﴿فَازْسَلُونِي﴾ فابعثوني إليه لأسأله ومروني باستعباره، فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أيها البليغ في الصدق، وإنما قاله لأنه تعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه، ولذلك كلمه كلام محترز فقال: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لأنه ليس على يقين من الرجوع فرتباً اخترم دونه، ولا من علمهم فرتباً لم يعلموا.

ومعنى ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك ويخلصونك من حبسك، وعن ابن عباس: (لم يكن السجن في

المدينة^(١).

﴿تَزْرَعُونَ﴾ خبر في معنى الأمر، كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ﴾^(٢)، ويدل عليه قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾.

قرئ: ﴿دَابَّ﴾ بسكون الهمزة وتحريكها، وهما مصدرا دأب في العمل، وهو حال من المأمورين، أي: دائبين: إما على تدأبون دأباً، وإما على إيقاع ﴿دَابَّ﴾ بمعنى: ذوي دأب.

﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ لثلاثين.

و﴿يَأْكُلْنَ﴾ من الإسناد المجازي: جعل أكل أهلهم مسنداً إليهم.

﴿تُحْصِنُونَ﴾ تحرزون وتخبؤون.

﴿يُعَاثُ النَّاسُ﴾ من الغوث أو من الغيث، يقال: غيث البلاد: إذا مطرت، ومنه قول الأعرابية: غشنا ما شئنا.

﴿يَعْصِرُونَ﴾ العنب والسَّمْسَم. وقرئ: يعصرون من عصره: إذا أنجاه، وقيل: معناه: يمتطرون^(٣). تأول البقرات السماء والسنبلات الخضر بسنين مخصبة، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركاً خصيباً كثير الخير، وذلك من جهة الوحي.

وَقَالَ لِلَّذِي اٰتٰنِيْ بِهٖ فَلَمَّا جَاہُ الرُّسُوْلُ قَالَ اَرْجِعْ اِلٰى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ
مَا بَالُ النَّسُوْۤهَ الَّتِي قَطَعْنَ اَيْدِيَهُنَّ اِنَّ رَبِّيْ يَكِيْدُهُنَّ عَلِيْمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا

(١) تفسير الطبري ج ١٢: ١٣٦.

(٢) الصف: ١١.

(٣) عن الصادق عليه السلام: تفسير العياشي ج ٢: ١٨٠.

حَظَبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتَ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ
 مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ
 وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا
 يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا
 مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾

تَأْتِي ﷺ وَتَثْبِتُ فِي إجابة الملك، وقَدَمَ سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما
 اتهم به وحبس لأجله، ومن كرمه ﷺ وحسن أدبه أَنَّهُ لم يذكر امرأة العزيز مع ما
 صنعت به من السجن والعذاب، واقتصر على ذكر ﴿النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.
 ﴿مَا حَظَبُكُنَّ﴾ ما شأنكن ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه
 ميلاً إلیكن؟.

﴿قُلْتَ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ تعجباً من عفقه ونزاهته عن الريبة.
 ﴿الْقَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي: ثبت الحق واستقر، وهو من حصحص البعير:
 إذا ألقى ثفثاته للإناخة، ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على أنفسهن
 بأنَّهُ لم يفعل شيئاً مما قرفنه^(١) به لأنهن خصومه، وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه
 على الحق وهو على الباطل لم يبق لأحد كلام.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك التشمير والتثبت ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ بظهر
 الغيب في حرمة، وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في محلّ النصب على الحال من الفاعل أو
 المفعول، بمعنى: وأنا غائب عنه أو هو غائب عني وليعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
 الْخَائِنِينَ﴾ أي: لا ينفذه ولا يسدده.

(١) قرفنه: رمينه واتهمنه. (الصحيح: مادة قرف)

ثم تواضع لله وبين أن ما فيه من الأمانة إنما هو بتوفيق الله وعصمته، فقال:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من الزلل.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أراد الجنس ﴿إِلَّا مَا رَجَعَهُ رَبِّي﴾ [إلا البعض الذي رحمه ربي] ^(١) بالعصمة، ويجوز أن يكون بمعنى الزمان، أي: وقت رحمة ربي، وقيل: هو من كلام امرأة العزيز ^(٢)، أي: ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أنني لم أكذب عليه في حال الغيبة وصدقت فيما سئلت عنه، وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإنّي خنته حين قذفته وسجنته، تريد الاعتذار مما كان منها. [والوجه الأخير أجود عندي] ^(٣).

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِرَبِّكَ أَتَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسٍ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥١﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ
عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ
يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٣﴾
وَلَا جُرْأَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٤﴾

﴿أَسْتَخْلِصُ﴾ وأستخصه متقاربان، والمعنى: إنه جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به يرجع إليه في تدبيره.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ وعرف فضله وأمانته، لأنه استدللّ بكلامه على عقله، وبعفته على أمانته.

﴿قَالَ إِنَّكَ﴾ أيها الصديق ﴿الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ﴾ ذو مكانة ومنزلة ﴿أَمِينٌ﴾

(١) ساقطة من ج.

(٢) تفسير القمي ج ١: ٣٤٦.

(٣) ساقطة من ب، ج، ط.

مؤمن على كل شيء. ثم قال: أيها الصديق، إني أحب أن أسمع رؤياي منك، قال: نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات، فوصف لونهن وأحوالهن ووصف السنابل على الهيئة التي رآها، ثم قال له: من حقك أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتبني الأهرام^(١) فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك، ويجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لأحد قبلك، فقال الملك: من لي بهذا؟ فقال ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أي: ولني خزائن أرضك ﴿إِنِّي خَفِيفٌ﴾ لما استودعني أحفظه عن أن تجري فيه خيانة ﴿عَلِيمٌ﴾ بوجوه التصرف.

وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين يطلبهما الملوك عن يولونه، وإنما طلب يوسف عليه السلام الولاية ليتوصل بذلك إلى إمضاء أحكام الله وبسط العدل، ووضع الحقوق مواضعها، ويتمكن من الأمور التي كانت مفوضة إليه من حيث كان نبياً إماماً، ولعلمه أن غيره لا يقوم في ذلك مقامه. وفي ذلك دلالة على جواز تولي القضاء من جهة السلطان الجائر إذا كان فيه تمكن من إقامة الحق وتنفيذ أحكام الدين، وقيل: إن الملك كان يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع^(٢).

﴿وكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك التمكين الظاهر ﴿مَكَّنَّا يُوْسُفَ فِي﴾ أرض

مصر.

﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ﴾ أي: كل مكان أراد أن يتخذه منزلاً ومتبوءاً لم

يمنع منه لاستيلائه على جميعها. وقرئ: نشاء - بالنون ..

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾ بعبأتنا في الدنيا والدين ﴿مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ

(١) الأهرام: جمع الهرم، وهو البيت الضخم لطعام السلطان. العين ج ٤: ٨٤.

(٢) الكشف والبيان ج ٥: ٢٣٢.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَلَا تَجْرُ الْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾ لَهُمْ.

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٠﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦١﴾ قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٢﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يِعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾

لما تمكّن يوسف بمصر وقحط الناس جمع يعقوب بنيه وقال: بلغني أنّه يباع الطعام بمصر وأنّ صاحبه رجل صالح، فاذهبوا إليه، فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر ﴿فَدَخَلُوا﴾ على يوسف ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ لأنّ همّته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ لم يعرفوه لطول العهد، ولا اعتقادهم أنّه قد هلك. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي: أصلحهم بعدّتهم وأوفر ركائبهم بما طلبوه من الميرة ﴿قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ﴾.

لابد من مقدّمة سبقت معهم حتى جرت هذه المسألة. روي: أنّه لما رآهم قال: من أنتم؟ قالوا: نحن إخوة عشرة وأبونا نبيّ من الأنبياء اسمه: يعقوب، وكنا اثنا عشر إخوة فهلك منا واحد، قال: فأين الأخ الحادي عشر؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلى به من الهالك.

﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿أَتُنُونِي﴾ به ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ ولا أبخس أحداً شيئاً ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المضيفين.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ﴾ فليس ﴿لَكُمْ عِنْدِي﴾ طعام أكله عليكم.
وقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُونِ﴾ يجوز أن يكون مجزوماً عطفاً على محلّ قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ كأنه قال: فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا، ويجوز أن يكون بمعنى النهي.

﴿قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي: سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده.
﴿وَلَنَا لَفَعْلُونَ﴾ لقادرون على ذلك.

وقال لفتيته، وقرئ: لفتيانه، وهما: جمع فتى، مثل إخوة وإخوان في جمع أخ، وفعلة: جمع القلة، وفعلان: جمع الكثرة، أي: لعلمانه الكياليين ﴿أَجْعَلُوا بِضْعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ يعني: ثمن طعامهم وما كانوا جاؤوا به في أوعيتهم، واحدها رحل، يقال للوعاء: رحل، وللمسكن: رحل، [وللدابة رحل]^(١) وأصله: الشيء المعد للرحيل.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ لعلهم يعرفون حقّ ردها وحقّ التكرم بإعطاء البدلين.
﴿إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفرغوا ظروفهم.
﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، قيل: لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمناً^(٢).

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَنَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ
مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ
عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّاهُ خَيْرٌ حَفِظًا

(١) ساقطة من أ، ب، ط.

(٢) الكشف والبيان ج ٥: ٢٣٦.

وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَابَنَا مَا نَبَغِي هَذِهِ بِضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٢﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾

﴿مُعَ وَمَا الْكَيْلُ﴾ أرادوا قول يوسف: ﴿لَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ لأنه إذا أعلمهم بمنع الكيل فقد منعهم الكيل.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿نَكْتَلُ﴾ برفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه من الطعام. وقرئ: يكتل - بالياء - أي: يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنَا، أو يكن سبباً للاكتيال.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ﴾ أي: لا آمنكم على بنيامين في الذهاب به ﴿إِلاَّ كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾ يوسف إذ قلتم فيه: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) كما تقولونه في أخيه ثم لم تفوا بضمانكم.

﴿قَالَ لَهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم. و﴿حَفِظًا﴾ نصب على التمييز كقولهم: لله درّه فارساً. ويجوز أن يكون حالاً. وقرئ: حِفْظاً.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يرحم ضعفي وكبر سني، فيحفظه ويرده عليّ ولا يجمع عليّ مصيبتين.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ﴾ أي: أوعية طعامهم ﴿وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ

إِلَيْهِمْ ﴿١﴾، وقرأ يحيى بن وثاب^(١): رَدَّتْ - بكسر الراء - على أَنْ كسر الدال المدغمة نقلت إلى الراء.

﴿مَا نَبَغَى﴾: ﴿مَا﴾ للنفي، أي: ما نبغي في القول، أو ما نبغي شيئاً وراء ما فعل بنا من الإحسان والإكرام، أو للاستفهام بمعنى: أي شيء نطلب وراء هذا من الإحسان؟ وقيل: معناه: ما نريد منك بضاعة أخرى.

وقوله: ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا﴾ جملة مستأنفة موضحة لقوله: ﴿مَا نَبَغَى﴾ والجملة بعدها معطوفة عليها على معنى: أَنْ بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ في رجوعنا إلى الملك ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ فما يصيبه شيء مما تخافه ﴿وَنَزِدَادُ﴾ باستحضار أخينا وسق بغير زائد على أوساق أباعرنا، فأى شيء نطلب وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا؟.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: ذلك مكيل قليل لا يكفيننا، يعنون: ما يكال لهم، فأرادوا أَنْ يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، أو يكون ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى كيل بغير، أي: ذلك الكيل شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك، أو سهل عليه لا يتعاضمه. ﴿حَتَّى تُؤْتُونِ﴾ أي: تعطوني ما أتوثق به ﴿بَيْنَ﴾ عند ﴿اللَّهِ﴾ من عهد أو حلف.

﴿لَنَأْتِيَنَّ بِكُمْ﴾ جواب القسم، لأنَّ المعنى: حتى تقسموا بالله لتأتيني به. ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن تغلبوا فلم تقدرُوا على الإتيان به، أو إلا أن تهلكوا.

(١) يحيى بن وثاب الاسدي مولا هم الكوفي، تابعي من العباد، كان مقرئ أهل الكوفة في زمانه، مات سنة ١٠٣هـ. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢: ٣٨٠.

﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ﴾ أي: أعطوه ما يوثق به من العهود والأيمان.

﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي: رقيب مطلع، إن أخلفتم انتصف لي منكم.

وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ
وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ
أَبُوهُمْ مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي
نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

نهامهم أن يدخلوا ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ لأنهم كانوا ذوي جمال وبهاء وهيئة حسنة، وقد شهروا في مصر بالقربية من الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم، فخاف عليهم العين.

﴿وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: إن أراد الله بكم سوءاً، لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق، وهو مصيبيكم لا محالة ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي: متفرقين.

﴿مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئاً قط.

﴿إِلَّا حَاجَةٌ﴾ استثناء منقطع على معنى: ولكن حاجة ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إظهار الشفقة عليهم بما قاله لهم.

﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾ أي: إنه لذو يقين ومعرفة بالله.

﴿لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾ أي: من أجل تعليمنا إياه.

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا
 أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم
 بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَابَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا
 أَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسُرْقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ
 ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ
 وَأَنَا فِيهِ رَعِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ
 كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ
 كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ
 أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ
 مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ
 دَرَجَتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ﴾ أي: ضم إليه ﴿أَخَاهُ﴾ بنيامين. روي: أنهم قالوا له: هذا

أخونا قد جئناك به، فقال: أحسستم، فأنزلهم وأكرمهم وأجلس كل اثنين منهم على
 مائدة فبقي بنيامين وحده، فأجلسه معه على مائدته وقال له: أتحب أن أكون أخاك
 بدل أخيك الهالك؟ قال: من يجد أخاً مثلك؟! ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل،
 فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن
 ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا، ولا
 تعلمهم بما أعلمتك^(١).

و﴿الْيَقَايَةَ﴾: مشربة يسقى بها وهي الصواع، قيل: كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعاً يكال به وكانت من فضة مموهة بالذهب^(١)، وقيل: كانت من ذهب مرصعة بالجواهر^(٢).

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ ثم نادى مناد، يقال: آذن: أعلم، وأذن: أكثر الإعلام، و﴿الْعَيْرُ﴾: الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير، أي: تجيء وتذهب، وقيل: هي قافلة الحمير^(٣) ثم كثر حتى قيل لكل قافلة: عير. والمراد: أصحاب العير كقوله: يا خيل الله اركبي.

﴿وَأَنَّا بِهِ، زَعِيمٌ﴾ أي: قال المنادي: من ﴿جَاءَ﴾ بالصواع فله ﴿جَمَلٌ بَعِيرٌ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا﴾ بذلك كفيل: ضامن أوديه إليه.

﴿تَأَلَّاهُ﴾ قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم.

وإنما قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم وحسن سيرتهم في معاملتهم معهم مرة بعد أخرى، ولأنهم ردّوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم مخافة أن يكون وضع ذلك بغير إذن العزيز ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ وما كنا موصوفين بالسرقة قط.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ الهاء للصواع، أي: فما جزاء سرقة ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في ادعائكم البراءة منه؟.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ أي: جزاء سرقة أخذ ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾، وكانت السنة في بني إسرائيل أن يسرق السارق سنة فلذلك استفتوا في جزائه.

(١) تاريخ الطبري ج ١: ١٨١.

(٢) العرائس: ٨٢.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٣: ١٢.

وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَاءُ﴾ معناه: فهو جزاؤه لا غير، كقولك: حق فلان أن يكرم وينعم عليه فذلك حقه، أي: فهو حقه، ويجوز أن يكون ﴿جَزَاءُ﴾ مبتدأ والجملة الشرطية خبره، والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، فوضع ﴿جَزَاءُ﴾ موضع (هو) إقامة للظاهر مقام المضمَر.

﴿فَدَأً﴾ بتفتيش أوعيتهم ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ بنيامين لنفي التهمة ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ﴾ وعائه. والصواع يذكر ويؤنث.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الكيد العظيم ﴿كَذْنَا لِيُوسُفَ﴾ يعني: علمناه إياه وأوحينا به إليه.

﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ هذا تفسير للكيد وبيان له، لأنه كان في دين ملك مصر وحكمه في السارق أن يضرب ويغرم مثل ما أخذ لا أن يستعبد. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه.

﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ﴾ في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه. وقرئ: يرفع - بالياء - ودرجات - بالتنوين ..

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أرفع درجة منه في علمه حتى ينتهي إلى الله تعالى العالم لذاته، فلا يختص بمعلوم دون معلوم فيقف عليه ولا يتعداه.

قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا
يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا
شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدَهُ إِنَّا

إِذَا لَظَلِمْتُمْ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ
كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ
اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ
لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾

﴿أَخْلَهُ﴾ عُنَا بِهِ يَوْسُفَ، وَاخْتَلَفَ فِيمَا أَضَافُوهُ إِلَى يَوْسُفَ مِنَ السَّرْقَةِ،
وَأَصَحَّ الْأَقْوَالُ فِيهِ: أَنَّ عَمَّتَهُ كَانَتْ تَحْضِنُهُ بَعْدَ وَفَاةِ أُمِّهِ وَتَحَبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَلَمَّا
تَرَعَّرَ أَرَادَ يَعْقُوبَ اسْتِرْدَادَهُ مِنْهَا، وَكَانَتْ مَنَاطِقَةُ إِسْحَاقَ عِنْدَهَا لَكُونَهَا أَكْبَرَ
وَلَدِهِ وَكَانُوا يَتَوَارَثُونَهَا بِالْكِبَرِ، فَعَمِدَتْ إِلَى الْمَنَاطِقَةِ وَشَدَّتْهَا عَلَى يَوْسُفَ تَحْتَ ثِيَابِهِ
وَادَّعَتْ أَنَّهُ سَرَقَهَا، فَحَبَسَتْهُ بِذَلِكَ السَّبَبِ عِنْدَهَا^(١).

﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفَ﴾ هَذَا إِضْمَارٌ قَبْلَ الذِّكْرِ عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ، وَتَفْسِيرُهُ:
﴿أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا﴾ فَكَانَتْهُ قَالَ: فَأَسْرَ الْجُمْلَةُ أَوْ الْكَلِمَةُ الَّتِي هِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَنْتُمْ
سَرَّ مَكَانًا﴾، وَالْمَعْنَى: قَالَ فِي نَفْسِهِ: أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿قَالَ أَنْتُمْ
سَرَّ مَكَانًا﴾ بَدَلَ مِنْ ﴿فَأَسْرَهَا﴾ أَي: أَنْتُمْ سَرَّ مَنَزَلَةً فِي السَّرْقَةِ، لِأَنَّكُمْ
سَرَقْتُمْ أَخَاكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ، وَلَمْ يَصْخِرْ لِي
وَلَا لِأَخِي سَرْقَةً.

ثُمَّ رَفَقُوا فِي الْقَوْلِ وَاسْتَعْظَفُوهُ بِذِكْرِ أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ، وَأَنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرُ السِّنِّ أَوْ
كَبِيرُ الْقَدْرِ، وَأَنَّ بَنِيَامِينَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ﴿فَخَذَ أَحَدًا مَكَانَهُ﴾ أَي: بَدَلَهُ عَلَى
وَجْهِ الْإِسْتِرْهَانِ أَوْ الْإِسْتِعْبَادِ ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إِلَيْنَا فَاتَّعَمَّ إِحْسَانَكَ،

أو اجر على عادتك في الإحسان فإنه عادتك.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ هو كلام موجه ظاهره: أنه يجب أخذ من وجد الصواع في رحله على مقتضى فتياكم، فلو أخذنا غيره كان ظلماً عندكم فلا تطلبوا مني ما تعرفون أنه ظلم، وباطنه: أن الله تعالى أمرني بأخذ بنيامين واحتباسه لمصالح علمها في ذلك، فلو أخذت غيره كنت ظالماً عاملاً بخلاف ما أمرت به. ومعنى ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ﴾: نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ.

و﴿إِذَا﴾ جواب لهم وجزاء، لأن المعنى: إن نأخذ بدله ظلمنا.

﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا﴾ يسوا ﴿حَكَصُوا﴾ أي: اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يشوبهم سواهم.

﴿نَجِيًّا﴾ ذوي نجوى، فيكون النجي مصدراً بمعنى التناجي، كما قيل: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾^(١) تنزيلاً للمصدر منزلة الوصف، أو قوماً نجياً أي: مناجياً لمناجاة بعضهم بعضاً، فيكون مثل العشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾^(٢). وكان تناجيهم في تدبير أمرهم: أيرجعون أم يقيمون، وإذا رجعوا فماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيه.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن وهو روبيل، وقيل: رئيسهم وهو شمعون^(٣)، وقيل: كبيرهم في الرأي والعقل وهو يهوذا أو لاوي^(٤).

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ ذكرهم الوثيقة التي

(١) الإسراء: ٤٧.

(٢) مريم: ٥٢.

(٣) عن مجاهد. معالم التنزيل ج ٢: ١٦٣.

(٤) عن الكلبي ومحمد بن اسحاق. الكشف والبيان ج ٥: ٢٤٥.

أخذها عليهم يعقوب.

﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ فيه وجوه:

أن تكون ﴿مَا﴾ مزيدة، أي: ومن قبل هذا قصّرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم.

وأن تكون مصدرية على أن تكون مبتدأ و﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ خبره، أي: وقع من قبل تفريطكم في يوسف، أو يكون في محل نصب عطفاً على مفعول ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي: ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقاً عليكم وتفريطكم من قبل في يوسف؟.

وأن تكون موصولة بمعنى: ومن قبل هذا ما فرطتموه، أي: قدّمتموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة، ومحله الرفع أو النصب على الوجهين.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ فلن أفارق أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِى﴾ في الانصراف إليه ﴿أَوْ يَخُكِّمُ اللَّهُ لى﴾ بالخروج منها، أو بالانتصاف ممن أخذ أخى، أو بخلاصه من يده.

أَرْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ سَرَقْتَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْلَنَّا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيدٌ عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي

وَحُزِنِيَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ يَبْقَى
 أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
 إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾ في الظاهر أن الصواع استخرج من

وعائه.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ أي: للأمر الخفي ﴿حَافِظِينَ﴾ ولم نشعر أسرق أم

دس الصاع في رحله.

﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ إِلَيْنَا كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر، أي: أرسل إلى أهلها فسلهم

عن كنه القصة ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: أصحاب العير. والمعنى: فرجعوا إلى

أبيهم وقالوا له: ما قال أخوهم.

فقال ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أردتموه، وإلا فما أدرى ذلك الرجل أن

السارق يؤخذ بسرقة لولا تعليمكم.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ بيوسف وأخيه وروبيرل أو غيره ﴿إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي في الحزن والأسف ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لم يبتلني إلا لحكمة

ومصلحة.

﴿وَتَوَلَّى﴾ وأعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ كراهة لما جاؤوا به.

﴿وَقَالَ يَتَأَسَّفُ﴾ أضاف الأسف إلى نفسه، والألف بدل من ياء الإضافة،

والأسف: أشد الحزن والحسرة، وتأسفه ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ دون غيره دليل على أنه لم

يقع فائت عنده موقعه، وأن الرزء فيه كان عنده غضاً طرياً مع طول العهد.

﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾ والبكاء حتى أشرف على العمى فكان لا

يرى إلا رؤية ضعيفة، وقيل: إنه عمي^(١).

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: مملو من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسؤهم.

﴿تَفْتَوُا﴾ أي: لا تفتؤ، حذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بد من اللام والنون، ونحوه:

فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا^(٢)

ومعنى لا تفتؤ: لا تزال، كما يقال: ما فتى يفعل كذا.

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: مشفياً على الهلاك، وأحرضه المرض، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه مصدر، والصفة حرض، ومثله: دنف ودنف.

البث: أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس، أي: ينشره. و﴿إِنَّمَا أَشْكُوا﴾ معناه: لا أشكو إلى أحد وإنما أشكو ﴿إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ﴾ من صنع ﴿اللَّهُ﴾ ورحمته ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب. وروي: أنه رأى ملك الموت عليه السلام فسأله: هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا، فعلم أنه حي^(٣).

فقال: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما، وهو تفعل من الإحساس وهو المعرفة.

(١) تفسير القمي ج ١: ٣٢٧.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٣٢، وبقيته: ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي.

(٣) تفسير العياشي ج ٢: ١٩٠، الدر المنثور ج ٤: ٣٢.

﴿مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ﴾ من فرجه وتنفيسه، وقيل: من رحمته^(١).

﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ لأن المؤمن من الله على خير،

يرجوه عند البلاء، ويشكره في الرخاء.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْفُسْرُ وَجِئْنَا
بِضَعْفٍ مُرْتَجٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكْ لَا تَنْتِ يُوسُفُ قَالَ
أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى
وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا
تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾
قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ
أَبِي يَأْتِ بِصَبْرٍ وَأَنْوِفٍ يَا أَيُّهَا أَهْلُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

﴿الْفُسْرُ﴾ الهزال من الجوع والشدة، شكوا إلى يوسف ما نالهم من القحط

وهلاك المواشي.

والبضاعة المزجاة: المدفوعة، يدفعها كل تاجر رغبة عنها وتحقيراً لها، من

أزجيته: إذا دفعته وطردته، قيل: كانت من متاع الأعراب: الصوف والسمن^(٢)،

وقيل: كانت دراهم زيوفاً لا تنفق في ثمن الطعام^(٣).

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٣: ٣٣.

(٢) عن عبد الله بن الحارث. تفسير الطبري ج ١٣: ٣٤.

(٣) عن عكرمة الدر المنثور ج ٤: ٣٣.

﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ كما كنت توفيه في السنين الماضية.

﴿وَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ وتفضل علينا بالمساحة، وزدنا على حقنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يثيبهم على صدقاتهم بأفضل منها.

فرق يوسف لهم ولم يتمالك أن عرفهم نفسه، و﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ﴾ استفهم عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، أي: هل علمتم قبح ﴿مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه، يعني: هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه؟ لأنّ علم القبح يجر إلى التوبة. وكان كلامه شفقة عليهم ونصحاً لهم في الدين، إشاراً لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي ينث فيه المصدور ويتشفى المحقق المغيظ. وقيل: معناه: إذ أنتم صبيان أو شبان حين يغلب على الإنسان الجهل^(١).

وقرى: ﴿إِنَّكَ﴾ على الاستفهام، وإنك على الإيجاب، قيل: إنه تبسم فأبصروا ثناياه فعرفوه وكانت كاللؤلؤ المنظوم^(٢)، وقيل: رفع التاج عن رأسه فعرفوه^(٣).

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ من يخف الله وعقابه ﴿وَيَصْرِ﴾ عن المعصية وعلى الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ﴾ أجْرهم، فوضع ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ موضع الضمير، لاشتغاله على المتقين والصابرين.

﴿لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين، وإن شأنا وحالنا أنا ﴿كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ متعمدين للإثم، لا جرم

(١) عن الحسن. معالم التنزيل ج ٢: ١٦٥.

(٢) عن ابن عباس برواية الضحاك. معالم التنزيل ج ٢: ١٦٦.

(٣) عن ابن عباس برواية عطاء. معالم التنزيل ج ٢: ١٦٦.

أَنَّ اللَّهَ أَعَزَّكَ وَأَذَلَّنَا.

﴿لَا تَزِرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ لا عتب ولا تعير ولا تأنيب عليكم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: لا أثربكم اليوم فيما فعلتم ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ذنوبكم، دعا لهم بالمغفرة لما فرط منهم.

﴿أَذْهَبُوا بِمِصْرِي هَذَا﴾، قيل: إنه القميص المتوارث الذي كان في تعويد يوسف وكان من الجنة^(١).

﴿يَأْتِ بِصِيرًا﴾ أي: يرجع بصيراً، أو يأت إلي وهو بصير، وينصره قوله: ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: ليأتيني أبي وآله جميعاً.

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ
﴿٩٦﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا يَتَّبِعَانَا
أَسْتَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٨﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ
لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٩﴾

﴿وَلَمَّا﴾ خرجت القافلة وانفصلت ﴿الْعِيرُ﴾ من مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوب لولد ولده ومن حوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوجده الله تعالى ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان أو عشر.

﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تنسبوني إلى الفند وهو الخرف، والمعنى: لولا تفنيديكم إيتاي لصدقتموني.

(١) تفسير القمي ج ١: ٣٥٥، وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج ٤: ٣٤.

﴿وَنَكَ لَيْ صَلَكَ الْكَدِيرِ﴾ أي: في ذهابك عن الصواب قدماً في إفراط محبتك ليوسف ورجائك للقائه، وكان عندهم أنه قد مات.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ﴾ يعني: القميص، طرحه ﴿عَلَى﴾ وجهه يعقوب، أو ألقاه يعقوب.

﴿فَارْتَدَّ﴾ فرجع ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يعني قوله: ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾^(١).

وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ كلام مبتدأ لم يقع عليه القول، ويجوز أيضاً أن يكون واقعاً عليه.

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ قيل: إنه أخر الاستغفار إلى وقت السحر^(٢)، لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء، وقيل: إلى سحر ليلة الجمعة^(٣).

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١١﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ
سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِيَنَّ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ لِي حَقًّا
وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ
بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَحْمَتِي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٢﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي
مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ مِنْ

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج ١٣: ٤٢.

(٣) عن الصادق عليه السلام. تفسير العياشي ج ٢: ١٩٦، وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج ٤: ٣٦.

أَنْبَاءَ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ
يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

معنى دخولهم ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ قبل دخولهم مصر: أنهم حين استقبلهم يوسف كأنه نزل لهم في بيت أو مضرب هناك، فدخلوا عليه وضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ ثم ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ وتعلقت المشيئة بالدخول مقيداً بالأمن، والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتموه آمنين، ثم حذف الجزاء للدلالة الكلام عليه، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال. وقوله: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ معناه: ضمهما إليه واعتنقهما.

ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستوياً على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما ﴿عَلَى﴾ السرير ﴿وَحَرَّوْا لَهُ﴾ يعني: الإخوة الأحد عشر ﴿سُجَّدًا﴾ وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة، وقيل: معناه: خرّ إخوته وأبواه لأجله سجداً لله شكراً^(١)، ويعضده ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قرأ: ﴿وَحَرَّوْا لِلَّهِ سَاجِدِينَ﴾ ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ يقال: أحسن به وإليه، وأساء به وإليه، قال:

أَسِيْبِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مُلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ^(٢)
و﴿أَبْدُو﴾ البادية، وهم كانوا أهل بادية وأصحاب مواشي، ينتقلون في المياه والمناجع.

﴿نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أي: أفسد بيننا وحرش.
﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ في تدبير عبادته يسهل لهم العسير، وبلطفه اجتمعنا.

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٣: ٤٤. تفسير العياشي ج ٢: ١٩٧.

(٢) ديوان كثير: ١٠١.

وروي: أَنَّ يَعْقُوبَ أَقَامَ مَعَهُ أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ بِالشَّامِ عَنْ وَصِيَّةٍ مِنْهُ بِذَلِكَ^(١)، وَقِيلَ: إِنَّهُ عَاشَ مَعَ يُوسُفَ حَوْلِينَ^(٢)، وَعَاشَ يُوسُفَ بَعْدَ أَبِيهِ ثَلَاثًا وَعَشْرِينَ سَنَةً، فَلَمَّا تَمَّ أَمْرُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَدُومُ مَلِكُهُ طَلَبَتْ نَفْسُهُ الْمَلِكَ الدَّائِمَ الَّذِي لَا يَفْنَى، فَتَمَنَّى الْمَوْتَ وَمَا تَمَنَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، فَتَوَقَّاهُ اللَّهُ طَائِبًا طَاهِرًا.

و﴿مَنْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ الْمَلِكِ﴾ و﴿مَنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ لِلتَّبْعِيضِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَوْتَ إِلَّا بَعْضَ مَلِكِ الدُّنْيَا أَوْ بَعْضَ مَلِكِ مِصْرَ، وَبَعْضَ التَّأْوِيلِ.

﴿أَنْتَ وَلِيٌّ﴾ أَنْتَ الَّذِي تَتَوَلَّاهُ بِالنِّعْمَةِ فِي الدَّارَيْنِ، وَتَتَوَصَّلُ الْمَلِكُ الْفَانِي بِالْمَلِكِ الْبَاقِي.

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ﴾ وَصَفَ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ﴾ أَوْ نَصَبَ عَلَى النَّدَاءِ ﴿وَالْحَقِّقِي بِالْصَّلَاحِينَ﴾ مِنْ آبَائِي، أَوْ عَلَى الْعُمُومِ.

﴿ذَلِكَ﴾ إِمَارَةٌ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ نَبَأِ يُوسُفَ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ، و﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خَبْرَانِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ هَذَا النَّبَأَ غَيْبٌ لَمْ يَحْصُلْ لَكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ، لِأَنَّكَ لَمْ تَحْضُرْ بَنِي يَعْقُوبَ حِينَ ﴿أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بِيُوسُفَ، وَيَبْتَغُونَ لَهُ الْغَوَائِلَ حَتَّى أَلْقَوْهُ فِي الْجُبِّ.

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(١) العرائس: ٨٧.

(٢) عن الباقر عليه السلام: تفسير العياشي ج ٢: ١٩٨.

﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يريد العموم، وعن ابن عباس: (يريد أهل مكة)^(١)،
أي: وما هم بمؤمنين ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم، لعنادهم وتصميمهم على
الكفر.

﴿وَمَا تَنْتَلِهِمْ﴾ على تبليغ الرسالة أجراً فيصدهم ذلك عن الإيمان.
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة من الله تعالى ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عامة، يعني: القرآن.
وكم ﴿مَنْ ءَايَهُ﴾ أي: علامة ودلالة على توحيد الله ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾
ويشاهدونها وهم معرضون عنها، لا يعتبرون بها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في إقرارهم ﴿بِإِلَهِ﴾ وبأنه خلقهم وخلق
السموات والأرض ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ بعبادة الأوثان، يريد: مشركي قريش،
وقيل: هم الذين يشبهون الله بخلقه^(٢)، [وقيل: هم أهل الكتاب معهم شرك
وإيمان^(٣)] ^(٤). وعن الباقر عليه السلام: ((إنه شرك الطاعة لا شرك العبادة))^(٥)، أطاعوا

(١) الكشف ج ٢: ٥٠٨.

(٢) عن السدي. تفسير الماوردي ج ٣: ٨٧.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٣: ٥١.

(٤) ساقطة من ب.

(٥) تفسير العياشي ج ٢: ١٩٩.

الشیطان في ارتکاب المعاصي.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ ۖ﴾ أي: نعمة تغشاهم، وعذاب يغمرهم.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، ثم فسر سبيله بقوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: أدعو إلى دينه مع حجة واضحة، و﴿أَنَا﴾: تأكيد للضمير المستكن في ﴿أَدْعُوا﴾، و﴿مَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ عطف عليه، أي: أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني؛ ويجوز أن يكون ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حالاً من ﴿أَدْعُوا﴾ عاملة الرفع في ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾، ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾ وأنزه الله من الشركاء.

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكة، وقرئ: ﴿نُوحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ بالنون.

﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ لأنهم أعلم وأحلم، وأهل البوادي أهل الجفاء والقسوة. ﴿وَلَدَارُ﴾ الساعة ﴿الْآخِرَةِ﴾، أو الحالة ﴿الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: خافوا الله فلم يشركوا به.

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾
لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ
كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

هنا حذف دل الكلام عليه، كأنه قيل: وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً قد تأخر نصرنا إياهم كما أخرناه عن هذه الأم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾ استياسوا عن النصر ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ أي: فظن

﴿الرُّسُلُ﴾ أنهم قد كذبهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصر عليهم، وقرئ: كذبوا - بالتخفيف - وهو قراءة أئمة الهدى عليهم السلام. ومعناه: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصرة الله إياهم، جاء الرسل ﴿نَصْرُنَا﴾ بإرسال العذاب على الكفار، فنتجى ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾ أي: نخلص من نشاء من العذاب عند نزوله، وقرئ: ﴿فَنُجِّيَ﴾ بالتشديد على لفظ الماضي المبني للمفعول. والمراد بـ ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾: المؤمنون، ويبين ذلك قوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

الضمير في ﴿قَصَصِهِمْ﴾ راجع إلى يوسف وإخوته.

﴿عِبْرَةٌ﴾ أي: اعتبار للعقلاء، فَإِنَّ نَبِيَّنَا عليه السلام لم يقرأ كتاباً ولا سمع حديثاً ولا خالط أهله، ثم حدثهم به في حسن نظمه ومعانيه بحيث لم يردّ عليه أحد من ذلك شيئاً، وفيه أوضح برهان على صحة نبوته.

﴿مَا كَانَ﴾ القرآن ﴿حَدِيثًا يُنْفَرَى﴾ أي: يختلق ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: قبله من الكتب السماوية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ ودلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ ونعمة ينتفع بها المؤمنون علماً وعملاً.

سورة الرعد

مختلف فيها، وهي خمس وأربعون آية بصري، وثلاث كوفي، عدّ غير الكوفي ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، ﴿الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾.

في حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة الرعد) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة، وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من أكثر قراءة (الرعد) لم يصبه الله بصاعقة أبدًا، وأدخل الجنة بغير حساب))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَمَرُ يَلِكُ مَا يَنْتُ الْكِتَابُ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

(١) الكشف والبيان ج ٥: ٢٦٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٦.

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، و﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ خبره.

﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن كله هو ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا مزيد عليه.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِي رَفَعَ﴾ خبره، بدليل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾،

ويجوز أن يكون صفة وقوله: ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ خبراً بعد خبر.

﴿تَرَوْنَهَا﴾ كلام مستأنف بمعنى: وأنتم ترونها كذلك، ليس دونها دعامة

ولا فوقها علاقة، وقيل: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة لـ﴿عَمَدٍ﴾، وقرئ: عُمَد - بضمتين -

يعني: بغير عمد مرئية، وإنما تعمدها قدرة الله عز وجل.

﴿يَذِيرُ﴾ أمر ملكوته وأمور خلقه على الوجه الذي توجه الحكمة.

﴿يُفَصِّلُ﴾ آياته في كتبه المنزلة لعلكم ﴿تُوقِنُونَ﴾ بالجزاء، وبأن هذا المدبر

المفصل قادر على البعث والنشور، ولا بد لكم من الرجوع إليه.

﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ بسطها طولاً وعرضاً ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبلاً ثوابت.

﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: خلق فيها من جميع أنواعها

زوجين زوجين: أسود وأبيض وحلوا وحامضاً ورطباً ويابساً، وما أشبه ذلك من

الأصناف المختلفة.

﴿يَعْشَى اللَّيْلَ أَلْهَارَ﴾ يلبس ظلمة الليل ضياء النهار فيصير مظلماً بعد أن

كان مضيئاً.

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَنِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ

صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفِصِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ

فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِنْ

تَعَجَّبَ فَعَجَّبْ قَوْلُهُمْ إِنْ ذَا كُنَّا تَرْبَا إِنْ نَا لَمْ يَخْلُقْ جَدِيدٌ أَوْلَيْكَ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٠﴾

﴿قَطْعٌ مُتَجَوِّزٌ﴾ بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة: طيبة إلى سبخة، وصلبة إلى رخوة، وصالحة للزرع والشجر إلى أخرى على عكسها، مع انتظام جميعها في جنس الأرضية، وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهي تسقى ﴿يَمَاءً وَجِلًّا﴾، وتراها متغايرة الثمار في الأشكال والهيئات والطعوم والروائح، متفاضلة فيها.

و﴿فِي ذَلِكَ﴾ دلالة على صنع القادر العالم الموقع أفعاله على وجه دون وجه. وقرئ: وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان - بالجر - عطفاً على أعناب. والصنوان: جمع صنو، وهي النخلة لها رأسان وأصلهما واحد، وقرئ بضم الصاد وكسرها وهما لغتان، وقرئ: يسقى بالتاء والياء، وقرئ: يفضل بالنون والياء ﴿فِي الْأَكْلِ﴾ بضم الكاف وسكونها.

﴿وَأِنْ تَعَجَّبْ﴾ يا محمد من قولهم في إنكار البعث، فقولهم عجب حقيق بأن يتعجب منه، لأن من قدر على إنشاء ما عدّد عليك من الصنائع العجيبة والفطر البديعة كانت الإعادة أهون عليه.

﴿أَيُّ ذَا كُنَّا﴾ إلى آخر قولهم، يجوز أن يكون [في محلّ الرفع بدلاً من ﴿قَوْلُهُمْ﴾، وأن يكون^(١)] في محلّ نصب بالقول، و(إذا) نصب بها دلّ عليه قوله: ﴿أَوْنَأَ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فكأنه قيل: أنبعث إذا متنا وكنا تراباً.

﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أولئك المتهادون في كفرهم الكاملون فيه.

﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ وصف لهم بالإصرار، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾^(١)، وكقول الشاعر:

لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَفْيَادٌ^(٢)

أو هو من جملة الوعيد.

وَيَسْتَعِظُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ شَيْئًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾

﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالعذاب والنعمة قبل الرحمة، بالعافية والإحسان

إليهم بالإمهال. وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب.

﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ أي: وقد مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ أي: عقوبات

أمثالهم من المكذبين، وسميت العقوبة مثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من

(١) يس: ٨.

(٢) ديوان الأفوه الأودي: ٦٧، وصدره: كيف الرشاد إذا ما كنت في نفر.

المماثلة، وجزاء السيئة سيئة مثلها، ويقال: أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه، والمثال: القصاص.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ أي: مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب، ومحله النصب على الحال، بمعنى: ظالمين لأنفسهم. وعن سعيد بن المسيب^(١): (لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: ((لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحدٌ العيش، ولولا وعيد الله وعقابه لاتكل كل أحد))^(٢).

﴿لَوْلَا أَنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ عناداً، فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى، فقيل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿مُنذِرٌ﴾ مخوف لهم من سوء العاقبة، وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر، والآيات كلها متساوية في حصول صحة الدعوى بها.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يهديهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها، ولم يجعل الأنبياء شرعاً سواء في الآيات والمعجزات.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ ﴿مَا﴾ إما موصولة [في] ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ و﴿مَا تَغِيضُ﴾ و﴿مَا تَزِدُّهُ﴾، وإما مصدرية، فإن كانت موصولة^(٣) فالمعنى: إنه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو، من ذكورة وأنوثة وتام وخداج وحسن وقبح وغير ذلك من الصفات، ويعلم ﴿مَا﴾ تغيضه ﴿الْأَرْحَامُ﴾ أي: تنقصه، يقال: غاض الماء

(١) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي، من كبار التابعين، ولد في زمن عمر، وتوفي بالمدينة سنة ٩١ هـ على قول. ينظر: وفيات الأعيان ج: ٢، ١١٧، معجم رجال الحديث ج: ٨، ١٣٣.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ج: ١٠، ٣٢٧٣.

(٣) ساقطة من ج.

وغضته أنا، ﴿وَمَا تَزِدْهُ﴾ أي: تأخذه زائداً، ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد، فإن الرحم يشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأكثر، ومنه حدّ الولد في أن يكون تاماً ومخدجاً، ومنه مدة الولادة.

وإن كانت مصدرية فالمعنى: إنه يعلم حمل كل أنثى، ويعلم غيض الأرحام وازديادها، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته، فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها، على أن يكون الفعلان غير متعديين، ويعضده قول الحسن: (الغيض: أن تضع لثانية أشهر أو أقل من ذلك، والازدياد: أن تزيد على تسعة أشهر)^(١)، وعنه: (الغيض: أن يكون سقطاً لغير تمام، والازدياد ما ولد لتمام)^(٢).

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ مقدّر وحدّ لا يجاوزه ولا يقصر عنه.

﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم الشأن الذي كل شيء دونه.

﴿الْمُتَعَالِ﴾ المستعلي عل كل شيء بقدرته، أو الذي كبر عن صفات المخلوقين.

﴿وَسَارِبٌ﴾ أي: ذاهب في سربه - بالفتح - أي: في طريقه ومذهبه، يقال: سرب في الأرض سروباً، والمعنى: سواء عنده من استخفى أي: طلب الخفاء في مختبأ ﴿بِالْأَيْلِ﴾ في ظلمته، ومن يضطرب في كل وجه ظاهراً ﴿بِالنَّهَارِ﴾ يبصره كل أحد.

والضمير في ﴿لَهُ﴾ راجع إلى ﴿مَنْ﴾ والمعنى: لمن أسرّ ومن جهر، ومن

استخفى ومن سرب.

(١) الكشف والبيان ج ٥: ٢٧٢.

(٢) تفسير الماوردي ج ٣: ٩٦.

﴿مُعَقَّبَتٌ﴾ أي: جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءه، والأصل: معتقبات، فأدغمت التاء في القاف، أو مفعلات من عقبه: إذا جاء على عقبه، كما يقال: فقاه، لأن بعضهم يعقب بعضاً، أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه.

﴿يَحْفُظُونَهُ﴾ هما صفتان جميعاً، وليس ﴿مَنْ أَمَرَ اللَّهُ﴾ بصلة للحفظ، كأنه قيل: له معقبات من أمر الله، أو يحفظونه من أجل [أمر الله تعالى أي: من أجل] (١) أن الله أمرهم بحفظه، والدليل عليه قراءة علي عليه السلام وابن عباس وجعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لَهُ رَقِيبٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمُعَقَّبَاتٌ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفُظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ﴾ من العافية والنعمة ﴿حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا يَأْتُسِيهِمْ﴾ من الحال الجميلة بكثرة المعاصي.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاٍ﴾ يلي أمرهم ويدفع عنهم.

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيَسْخِجُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ (١٣) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغُهُ وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لا يجوز أن يكون انتصابهما على المفعول له، لأنها ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا أن يكون على تقدير حذف مضاف، أي: إرادة خوف وطمع، أو على معنى: إخافة وإطماعاً، ويجوز أن يكون انتصابهما على

الحال من ﴿الْبَرْقِ﴾ كأنه في نفسه خوف وطمع، أو على: ذا خوف وطمع، أو من المخاطبين أي: خائفين وطماعين.

ومعنى الخوف والطمع: أنه يخاف عند لمع البرق من وقوع الصواعق ويطمع في الغيث، وقيل: يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف عليه، ويطمع فيه من له نفع فيه^(١).

﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بالماء يرفعها من الأرض ويجريها في الجو.
﴿وَيَسِيحُ الرَّعْدُ﴾ أي: سامع الرعد من العباد حامدين له، يقولون: سبحان الله والحمد لله، وقيل: إن الرعد ملك موكل بالسحاب يزجره بصوته، فهو يسبح الله ويحمده^(٢).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: يسبح الملائكة من هيئته وجلاله.
ولما ذكر سبحانه ما دلّ على أنه العالم القادر على كل شيء قال: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: الكفار الذين أنكروا آياته ﴿يُكِيدُونَ فِي اللَّهِ﴾ حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث والإعادة ويتخذون له الشركاء والأنداد، فهذا جدالهم.

﴿الْمَحَالِ﴾: المماحلة وهي المماكرة والمكايدة، ومنه تمحل لكذا: إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه، ومحل بفلان: إذا سعى به إلى السلطان، ومنه الحديث: ((ولا تجعله بنا ماحلاً مصدقاً))^(٣) يعني: القرآن. والمعنى: إنه شديد المكر بأعدائه،

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٣: ٨٢.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٤: ٥٠.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما يوجد بلفظ: ((القرآن شافع مشفع وماحل مصدق)). الكافي ج ٢: ٥٩٩، معجم الطبراني الكبير ج ١٠: ١٩٨.

يأتيهم بالهلاك من حيث لا يشعرون.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ معناه: إنه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة، فأضيفت الدعوة إلى ﴿الْحَقِّ﴾ لكونها مختصة بالحق وبمعزل من الباطل، وقيل: إن معناه: دعوة المدعو الحق الذي يسمع ويحيب وهو الله سبحانه، وعن الحسن: (الحق هو الله، وكل دعاء إليه دعوة الحق)^(١).

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: والآلهة الذين يدعونهم الكفار من دون الله ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ من طلباتهم ﴿إِلَّا كِبَاسٌ كَفْتِهِ﴾ إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي: كاستجابة ﴿الْعَمَاءِ﴾ من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ ﴿فَاهُ﴾، والماء حماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بحاجته إليه، ولا يقدر أن يحيب دعاءه ويبلغ فاه، وقيل: معناه: أنهم كمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فييسطهما ناشرأ أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئاً.

﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: في ضياع لا جدوى فيه.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ أي: ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شأؤوا أم أبوا، وينقاد له ﴿وَوَلِلَّهِمْ﴾ أيضاً، حيث يتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال.

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنَّمِ هُمْ تَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١١﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومدبرهما؟ فإذا

استعجم عليهم الجواب ولا يمكنهم أن يقولوا: الأصنام، فلنهمهم و﴿قُلِ اللَّهُ﴾، فإنهم لا يقدرُونَ أن ينكروهُ.

﴿قُلِ أَفَاتَّخَذْتُمْ﴾ بعد أن علمتموه رب السماوات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراك. ﴿لَا يَلِكُونُ لِأَفْسِهِمْ﴾ أي: لا يستطيعون لها ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ فكيف يستطيعونه لغيرهم، وقد آثرتموهم على الخالق الرازق فما أين ضلالكم!.

﴿أَمْ جَعَلُوا﴾ بل أجعلوا، وهي همزة الإنكار.

﴿خَلَقُوا﴾ صفة لـ ﴿شُرَكَاءَ﴾ يعني: إتهم لم يتخذوا ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ خالقين قد ﴿خَلَقُوا﴾ مثل خلق الله ﴿فَنَسَبَهُ﴾ عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا: قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة، فتتخذهم له شركاء ونعبدهم كما عبدنا الله، ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرُونَ على شيء. ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا خالق سواه، فلا يكون له شريك في العبادة.

﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ في الإلهية ﴿الْقَهَرُ﴾ لا يغالب، ومن سواه مربوب ومقهور.

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّنْبُلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَهُمْ فِيهَا يَلْهَبُونَ ﴿١٨﴾

هذا مثل ضربه ﴿اللَّهُ﴾ تعالى للحق وأهله والباطل وأهله. فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ فتسيل به ﴿أَوْدِيَةً﴾ الناس فيحيون به ويتفعون منه بأنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به في اتخاذ الحلي والآلات المختلفة، وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهراً، يثبت الماء في منافعه ويبقى آثاره في العيون والآبار والحبوب والشمار التي تنبت به، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة طويلة.

وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وخلوه من المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب.

وقوله: ﴿يَقْدَرُهَا﴾ معناه: بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع غير ضار للممطور عليهم.

والفائدة في قوله: ﴿أَبْتِغَاءَ حَلِيَةٍ﴾ كالفائدة في قوله: ﴿يَقْدَرُهَا﴾ لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ﴾، فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويداب وهو الحلية والمتاع.

وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَةٍ أَوْ مَتَعٍ﴾ عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما جاء في ذكر الآجر ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾^(١).

و﴿مِنْ﴾ لا ابتداء الغاية، أي: ومنه ينشأ ﴿زَبَدٌ﴾ مثل زبد الماء، أو للتبعيض بمعنى: وبعضه زبد. والراي: العالي المنتفخ على وجه الماء. والجفاء: المتفرق، جفأه السيل أي: رمى به، وجفأت القدر بزبدها، وقرئ: يوقدون - بالياء - أي: يوقد الناس.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ اللام متعلقة بـ ﴿يَضْرِبُ﴾ أي: كذلك يضرب الله الأمثال

للذين استجابوا وهم المؤمنون وللذين ﴿لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ وهم الكافرون، أي: هما مثلاً الفريقين.

و﴿الْحُسْنَى﴾ صفة لمصدر ﴿اسْتَجَابُوا﴾ أي: استجابوا الاستجابة الحسنى.

وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ﴾ كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين.

وقيل: إن الكلام قد تم عند قوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ وما بعده كلام مستأنف، و﴿الْحُسْنَى﴾ مبتدأ، خبره ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾. والمعنى: لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة، و﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ مبتدأ، خبره ﴿لَوْ﴾ مع ما في حيزه.

و﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾ المناقشة في الحساب، وعن النخعي^(١): (أن يحاسب الرجل بذنوبه كلها لا يغفر منها شيء)^(٢). الصادق عليه السلام: ((هو أن لا يقبل لهم حسنة، ولا يغفر لهم سيئة))^(٣).

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَٰئِ
الَّذِينَ لَا يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ۚ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

(١) إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي، الفقيه الكوفي، أحد كبار التابعين، توفي سنة ٩٥ هـ على قول وله تسع وأربعون سنة، وقيل ثمان وخمسون. ينظر: وفيات الأعيان ج ١: ٦، معجم رجال الحديث ج ١: ٣٢٥.

(٢) تفسير الطبري ج ١٣: ٩٣.

(٣) تفسير العياشي ج ٢: ٢١٠ بالمعنى.

أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتْ عَذْبَى يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

دخلت همزة الإنكار على الفاء لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل
في أن حال من علم ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فاستجاب، بخلاف حال الجاهل
الذي لم يستبصر فيستجيب، وبينهما من البون ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز.
﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِذَا آلَتْ﴾ الذين يعملون على قضايا عقولهم فيتفكرون
ويستبصرون.

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾، ويجوز أن يكون صفة
لـ ﴿أُولَئِذَا آلَتْ﴾. والأول أوجه.

﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الأرحام والقربات، ويدخل فيه وصل قرابة
رسول الله ﷺ وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، بالإحسان إليهم بحسب الطاقة
والذب عنهم ونصرتهم والنصيحة لهم وعبادة مرضاهم وحضور جنازتهم، ومنه
مراعاة حقّ الخدم والجيران والرفقاء في السفر.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يخافون وعيده كله ﴿وَيَخَافُونَ﴾ خصوصاً ﴿سُوءَ
الْحِسَابِ﴾ فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على القيام بأوامر الله ومشاق التكليف، وعلى المصائب في
النفوس والأموال، وعن معاصي الله ﴿أَتَبِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا لغرض من الأغراض
الدنيوية، أو ليقال: ما أصبره وأوقره، ولئلا يشمت به الأعداء، كقوله:

وَتَجَلِّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَّصِفُ^(١)
﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحلال، لأن الحرام لا يكون رزقاً ولا يسند إلى
الله.

﴿سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ يتناول النافلة، لأنها في السرّ أفضل، فأما الفرائض فالمجاهرة
بها أفضل، نفيّاً للتهمة.

﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ يدفعونها، ومنه الحديث: ((أتبع السيئة الحسنة
تمحها))^(٢)، وعن ابن عباس: (يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من
سيئ غيرهم)^(٣)، وعن الحسن: (إذا حرموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قطعوا
وصلوا)^(٤).

﴿أَوَلَيْكَ لِمَ عُقِبَ الدَّارِ﴾ عاقبة الدنيا وهي الجنة، لأنها التي أراد الله أن تكون
عاقبة الدنيا ومرجع أهلها.

و﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿عُقِبَ الدَّارِ﴾.

﴿مِنْ آبَائِهِمْ﴾ جمع أبوي كل واحد منهم، فكأنه قيل: من آبائهم وأمهاتهم.
جعل سبحانه من ثواب المطيع سروره بما يريه في أهله وأنسابه وذريته وإلحاقهم به
في الجنة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب قصورهم.
﴿سَلَامٌ عَلَيْهِمْ﴾ في موضع الحال، لأن المعنى: قائلين: سلام عليكم أو

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. شرح أشعار الهذليين ج ١: ١٠.

(٢) المستدرک على الصحيحين ج ١: ٥٤، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٩٨.

(٣) معالم التنزيل ج ٢: ١٧٧ بالمعنى.

(٤) معالم التنزيل ج ٢: ١٧٧.

مسلمين.

وتعلق قوله: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم، يعنون: هذا الثواب بما صبرتم، أي: بسبب صبركم، أو بدل ما احتملت من مشاق الصبر. والمعنى: لئن تعبت في الدنيا لقد استرحمت الساعة. ويجوز أن يتعلق بـ ﴿سَلِّمْ﴾ أي: نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم.

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ (٢٥) اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۖ (٢٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ۚ (٢٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۖ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ ۖ (٢٩) كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ۖ (٣٠)

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي: من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بمعاصي الله وظلم عباده وإخراجه ببلاده ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي: عذاب النار.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ أي: الله وحده هو يسطر الرزق ويقدره دون غيره، وهو الذي بسط رزق قريش.

﴿وَفَرِحُوا﴾ بما بسط لهم منه فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه

عليهم، وليست هذه ﴿الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب نعيم ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّع﴾ أي: شيء قليل يتمتع به كعجالة الراكب ثم يفنى ويضمحل، وخفي عليهم ذلك حتى آثروه على النعيم الدائم.

﴿وَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ هو جار مجرى التعجب من قولهم، مع كثرة آياته الباهرة التي لم يؤتها نبي قبله، وكفى بالقرآن وحده آية معجزة، فإذا لم يعتدوا بها كان موضعاً للتعجب، فكأنه قيل لهم: ما أشد عنادكم!. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ من كان مثلكم في التصميم على الكفر، فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية.

﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ﴾ كان على خلاف صفتكم، ومعنى الإنابة: الإقبال على الحق، والدخول في نوبة الخير، و﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدل من ﴿مَنْ أُنَابَ﴾. ﴿وَنُظَمِّينٌ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ بذكر رحمة الله ومغفرته.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدأ و﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ خبره، وطوبى: من طاب، مصدر كبشري وزلفى، ومعنى طوبى لك: أصبت خيراً وطيباً، واللام للبيان، مثلها في: سقياً لك. والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضممة ما قبلها، كواو موقن وموسر. وعن النبي ﷺ: ((إِنَّ طُوبَى شَجَرَةً أَصْلُهَا فِي دَارِي وَفَرْعُهَا عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: فِي دَارِ عَلِيٍّ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ دَارِي وَدَارِ عَلِيٍّ فِي الْجَنَّةِ بِمَكَانٍ وَاحِدٍ))^(١).

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإرسال ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ يعني: أرسلناك إرسالاً له فضل على غيره من الإرسالات.

﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ﴾ تقدمتها ﴿أُمَّةٌ﴾ كثيرة، فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء.
﴿لَتَسْتَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ الكتاب العظيم ﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وحال هؤلاء أنهم
﴿يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الواسع الرحمة، فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم، وإنزال
هذا القرآن المعجز عليهم.

﴿قُلْ هُوَ﴾ الرحمن ﴿رَبِّي﴾ وخالقي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تعالى عن الشركاء
والأنداد.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في نصرتي عليكم ﴿وَالَيْهِ﴾ مآبي، فيشيني على مصابرتكم
ومجاهدتك.

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ
الْمَوْتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ
يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا
صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى
كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا
يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ
وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقِفٍ ﴿٣٤﴾

جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، والمعنى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ عن
مقارضا، وزعزعت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ حتى تتصدع وتشقق

قطعاً، وقيل: معناه: شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً^(١). ﴿أَوْ كَلِمَ بِهِ أَلْمَوْقَ﴾ فتسمع وتجيّب؛ لكان هذا القرآن، لعظم قدره وجلالة أمره. وقيل: لما آمنوا به^(٢)، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ... (الآية)﴾^(٣). وعن الفراء: (أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِهَا قَبْلَهُ)^(٤)، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أَنَّ قرآنًا سَيَّرَتْ به الجبال، وما بينهما اعتراض.

﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ بل لله القدرة على كل شيء، وهو قادر على الآيات التي اقترحوها لكنه لا يفعل، لما يعلمه من المصلحة.

﴿أَفَلَمْ يَأْتِنِيسَ﴾ أي: أفلم يعلم، وهي لغة قوم من النخع، وقيل: إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه^(٥)، لأنّ اليأس عن الشيء عالم بأنّه لا يكون، كما استعمل الرجاء بمعنى الخوف لذلك، ويدلّ عليه أنّ أهل البيت عليهم السلام وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا: ﴿أَفَلَمْ يَتَّبِعِينَ﴾ وهو تفسير ﴿أَفَلَمْ يَأْتِنِيسَ﴾. ويجوز أن يكون المعنى: أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفار ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بـ ﴿أَن لَّوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ولهداهم.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ من كفرهم وسوء أفعالهم ﴿قَارِعَةً﴾ أي: داهية تفرعهم من صنوف المصائب في نفوسهم وأموالهم ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ القارعة ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ﴾ وهو موتهم أو القيامة، وقيل: المراد بالقارعة:

(١) الكشف والبيان ج ٥: ٢٩٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ١٤٨.

(٣) الأنعام: ١١١.

(٤) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٦٣.

(٥) عن ابن عباس. معاني القرآن للفراء ج ٢: ٦٤.

سرايا النبي ﷺ التي كان يبعثها إليهم فتغير حول مكة وتختطف منهم^(١)، أو: تحل أنت يا محمد بجيشك قريباً من دارهم كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة، لأنه سبحانه وعده ذلك.

والإملاء: الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملأ لها في المرعى، وهذا وعيد لهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ احتجاج عليهم في إشرأفهم بالله، يعني: أفالله الذي هو رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ صالحة أو طالحة ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعلم خيره وشره، ويعد لكل جزاء؛ كمن ليس كذلك؟. ويجوز أن يقدر ما يكون خبراً للمبتدأ ويعطف عليه ﴿وَجَعَلُوا﴾، وتقديره: أ فمن هو بهذه الصفة لم يوحده وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده ﴿شُرَكَاءَ﴾.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: جعلتم له شركاء فسّموهم له من هم، وأنبتوه بأسمائهم. ثم قال: ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَهُ﴾ هي ﴿أَمْ﴾ المنقطعة، أي: بل أنبتونه بشركاء لا يعلمهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهو العالم بها في السماوات والأرض، [فإذا لم يعلمهم فإتهم ليسوا بشيء يتعلق بهم العلم، والمراد: نفى أن يكون له شركاء، ونحوه: ﴿قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)].^(٣)

﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بل أسّمونهم شركاء بظاهر من القول ليس له حقيقة، وهذه الأساليب العجيبة في الاحتجاج تنادي بلسان فصيح أنها ليست من كلام البشر.

(١) عن عكرمة وغيره. تفسير الطبري ج ١٣: ١٠٥.

(٢) يونس: ١٨.

(٣) ساقطة من ط.

﴿وَصُدُّوا﴾ قرئ: بفتح الصاد وضمها.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ ومن يخذله لعلمه بأنه لا يهتدي ﴿فَأَلَّهُ مِنْ﴾ أحد يقدر على هدايته.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي وسائر المحن تلحقهم عقوبة لهم على كفرهم.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أي: دافع يدفع عنهم عذابه.

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَئِبُ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ الْأَحْزَابِ مَنْ يُبْكِرُ بَعْضُهُ قُلْ إِنَّمَا أُزِيتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ ﴿٣١﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ صفتها التي هي في غرابة المثل، وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه^(١)، أي: فيما نقص عليكم مثل الجنة، وعند غيره الخبر: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ كما تقول: صفة زيد أسمر. وعن الزجاج: (معناه: مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار)^(٢)، على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد.

﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ كقوله: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(٣)، ﴿وَظِلُّهَا﴾ دائم

(١) الكتاب ج ١: ١٤٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ١٥٠.

(٣) الواقعة: ٣٣.

لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس.

﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ﴾ وهم: عبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة [وثمانية باليمن]^(١).

﴿وَفَرَحُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي: ومن أحزابهم، وهم كفارهم المتحزبون على رسول الله ﷺ بالعداوة ﴿مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُ﴾ مما يخالف أحكامهم، وغير ذلك مما حَرَفُوهُ وبَدَّلُوهُ من الشرائع.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل إليّ بـ ﴿أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ خصوصاً لا أَدْعُو إلى غيره ﴿وَالِإِسْه﴾ لا إلى غيره مرجعي، فلا معنى لإنكاركم وأنتم تقولون مثل ذلك.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ مأموراً فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه.

﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ حكمة عربية مترجمة بلسان العرب، وانتصابه على الحال.

﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في أمور يدعونك إلى أن توافقهم عليها ما هي إلا أهواء وشبه ﴿بَعْدَ﴾ ثبوت ﴿الْعِلْمِ﴾ عندك بالحجج والدلائل والبيّنات، لم ينصرك الله وخذلك، فلا يقيك منه ﴿وَاقٍ﴾. وهذا من باب الإلهاب والتهيج والبعث للسامعين على الصلابة في الدين، والتثبت فيه من الزلة عند الشبهة بعد الاستمسك بالحجة.

(١) ساقطة من أ، وفي ج: وثمانية بالروم وكانوا على دين عيسى.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرُسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ
مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ
أَلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾

كانوا يعيرون رسول الله ﷺ بكثرة تزوج النساء، فقيل: إن الرسل قبله كانوا
مثله ذوي أزواج وذرية.

﴿وَمَا كَانَ﴾ لهم أن يأتوا بآيات برأيهم وبما يقترح عليهم منها، والشرائع
مصالح تختلف باختلاف الأوقات والأحوال، فلكل وقت حكم يكتب على
العباد، أي: يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ﴾ أي: ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿وَيُنْثِتُ﴾
بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو يتركه غير منسوخ، وقيل: يمحو من ديوان الحفظه
ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلاً فيسقط عقابه، ويترك ذنوب من يريد عقابه مثبتاً
عدلاً^(١)، وقيل: يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضاً من الأناسي وسائر الحيوان
والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها، فيمحو من الرزق والأجل ويزيد فيهما،
ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتهما^(٢).

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ، لأن كل
كائن مكتوب فيه.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ وكيفما دارت الحال أريناك ﴿بَعْضَ أَلَّذِي﴾ وعدنا

(١) عن سعيد بن جبیر. تفسير الطبري ج ١٣: ١١٤.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج ١٣: ١١٣.

هؤلاء الكفار من نصر المؤمنين عليهم، وتمكينك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال، ﴿أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَلَنَمَّا﴾ يجب ﴿عَلَيْكَ﴾ تبليغ الرسالة فحسب ﴿وَعَلَيْنَا﴾ حسابهم لا عليك، نجازيهم ونتقم منهم إما عاجلاً وإما آجلاً.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلَهُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٣﴾

يريد: أرض الكفر ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نفتح على المسلمين من بلادهم، فنقص بلاد الحرب ونزيد في بلاد الإسلام وذلك من آيات النصر. والمعنى: عليك البلاغ ولا يمتنك ما وراء ذلك، فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر وإعلاء كلمة الإسلام، وقيل: نقصها بذهاب علمائها وخيار أهلها^(١).

﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا راد لحكمه، والمعقب: الذي يكرّ على الشيء فيبطله، وهو جملة في موضع الحال، كأنه قيل: والله يحكم نافذاً حكمه.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وصفهم بالمكر، ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره، فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلَهُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾، لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله، لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون. وقرئ: الكافر، والمراد بالكافر: الجنس.

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٣: ١١٧.

﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ بما أظهر من المعجزات على نبؤي.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز، وقيل: ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا، لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم^(١)، وقيل: هو الله عز وجل والكتاب هو اللوح المحفوظ^(٢)، وقيل: هو علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣). الصادق عليه السلام: ((إيانا عنى، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي ﷺ))^(٤).

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٣: ١١٩.

(٢) عن سعيد بن جبير وغيره. تفسير الطبري ج ١٣: ١١٩.

(٣) عن ابن عباس وغيره، وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. شواهد التنزيل ج ١: ٣٠٧.

(٤) بصائر الدرجات: ٢١٤.

سورة إبراهيم

مكية إلا آيتين، إحدى وخمسون آية بصري، اثنتان كوفي، عدّ الكوفي ﴿بِخَلْقِي جَدِيدٍ﴾ آية.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة إبراهيم) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبدها))^(١)، الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة إبراهيم والحجر) في ركعتين جميعاً في كل جمعة لم يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ① اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
② الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ③ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ④

(١) الكشف والبيان ج ٥: ٣٠٤.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٧.

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان.
﴿يَا ذِينَ رَّبِّهِمْ﴾ بتسهيله وتيسيره، مستعار من الإذن الذي هو تسهيل
للحجاب، والمراد: ما يمنحهم سبحانه من التوفيق والألطاف.

﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ﴾ بدل من قوله: ﴿إِلَى النُّورِ﴾ بتكرير العامل.
﴿اللَّهُ﴾ بالجر عطف بيان لـ ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، لأنه جرى مجرى الأعلام،
لاختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة، كما غلب النجم للثريا. وقرئ بالرفع
على هو الله. والويل: نقيض الوأل وهو النجاة، وهو اسم معنى كالهلاك، إلا أنه لا
يشتق منه فعل، إنما يقال: ويلاً له، فينصب نصب المصادر، ثم يرفع رفعها لإفادة
معنى الثبات فيقال: ويل له، كما يقال: سلام عليك. والمعنى: إنهم يولولون ﴿مِنْ
عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ويضجون منه فيقولون: يا ويلاه، كقوله تعالى: ﴿دَعُوا هَٰذَاكَ
نُبُورًا﴾^(١).

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ مبتدأ، خبره ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾، ويجوز أن
يكون مجروراً صفة للكافرين، ومنصوباً على الذم أو مرفوعاً على: أعني الذين
يستحبون، أو هم الذين يستحبون. والاستحباب: استفعال من المحبة ومعناه:
الإيثار.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يطلبون لسبيل الله اعوجاجاً، وأن يدلّوا الناس
على أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية، والأصل: ييغون لها، فحذف الجار
وأوصل الفعل.

﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: ضلوا عن طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل،

ووصف الضلال بالبعد مجاز، وإنما البعد في الحقيقة للضال، [لأنه هو الذي يتبعد عن الطريق]^(١)، فهو نحو قولهم: جدّ جدّه.

﴿إِلَّا يَلْسَانٌ قَوْمِهِ﴾ أي: بلغة قومه.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ أي: ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه.

﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ هو مثل قوله: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ

وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾^(٢)، لأنّه سبحانه لا يضل إلا من يعلم أنّه لن يؤمن، ولا يهدي إلا من يعلم أنّه يؤمن. والمراد بالإضلال: التخليّة ومنع الألفاف، والمراد بالهداية: التوفيق واللفف، فكان ذلك كناية عن الكفر والإيمان.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدُبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجُّكُمْ لِنِ شَكْرَتِكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَٰكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ هي ﴿أَنْ﴾ المفسرة، لأنّ الإرسال فيه معنى القول، فكانّه

قال: أرسلناه وقلنا له: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾، ويجوز أن تكون (أَنْ) الناصبة للفعل،

(١) ساقطة من ج.

(٢) التغابن: ٢.

والتقدير: بأن أخرج قومك، ويجوز أن يوصل (أن) بفعل الأمر، لأن الغرض وصلها بما يكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل، والأمر وغيره سواء في الفعلية.

﴿وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ أي: وأنذرههم بوقائع الله الواقعة على الأمم قبلهم، ومنه: أيام العرب لحروبها وملاحمها، كيوم بعث^(١) ويوم النصار^(٢) ويوم الفجار^(٣) ونحوها، وعن ابن عباس: (هي نعماءه وبلائه)^(٤).

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ يصبر على بلاء الله ﴿شَكُورٍ﴾ يشكر نعمه.

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام، أي: إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ذلك الوقت، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿نِعْمَةً اللَّهِ﴾ أي: ﴿أَذْكُرُوا﴾ وقت إنجائكم وهو بدل الاشتمال.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ من جملة ما ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي: واذكروا حين تأذن ربكم. وتأذن وآذن بمعنى، مثل توعد وأوعد وتفضل وأفضل، ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل، كأنه قال: وإذ آذن ربكم إيذاناً بليغاً ينتفي عنده الشكوك. والمعنى: وإذ تأذن ربكم فقال: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ﴾ ما خولتم من نعمة الإنجاء وغيرها ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة إلى نعمة ﴿وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ﴾

(١) هو آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، وفيه ظهرت الأوس وحلفاؤها على الخزرج. ينظر: الكامل في التاريخ ج ١: ٤١٧ وما بعدها.

(٢) هو يوم من أيام العرب تحالفت فيه أسد وطى وغطفان ولحقت بهم ضبة وعدي، فغزوا بني عامر فقتلوهم قتلاً شديداً. ينظر: نهاية الإرب ج ١٥: ٤٢١.

(٣) أيام الفجار عدة، وسميت الفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم، وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان في الجاهلية. ينظر: نهاية الإرب ج ١٥: ٤٢٣.

(٤) الكشف والبيان ج ٥: ٣٠٥.

وغمظتم^(١) ما أنعمت به عليكم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ لمن كفر نعمتي.
﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ﴾ والناس جميعهم فمضرة كفرانكم عائدة عليكم، والله غني
عن شكركم.

﴿حَمِيدٌ﴾ مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وإن لم يحمده حامد.
الَّذِينَ كُنْتُمْ نَبَاؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ
وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا
أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُقَفِّرَ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُوْخِرَ كُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ
ءَابَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾

﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهي جملة
اعتراضية، أو ﴿الَّذِينَ﴾ في محل جر عطفاً على ﴿قَوْمٌ نُوحٍ﴾، و﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا
اللَّهُ﴾ اعتراض. والمعنى: إتهمهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله، وكان ابن
مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: (كذب النسابون)^(٢)، وقيل: إن بين عدنان وإسماعيل
ثلاثين أباً لا يعرفون^(٣).

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: فعَضُّوا على أصابع أيديهم من

(١) غمطه: حقره. (الصحاح: مادة غمط)

(٢) تفسير الطبري ج ١٣: ١٢٥.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الماوردي ج ٣: ١٢٤.

شدة الغيظ والضجر لما جاءت به الرسل، كقوله: ﴿عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَمْلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(١)، أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أي: هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطاً لهم من التصديق، أو وضعوا أيديهم على أفواههم يقولون للأنبياء: اسكتوا. وقيل: الأيدي جمع يد وهي: النعمة، بمعنى الأيادي، أي: ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم والشرائع التي أوحيت إليهم في أفواههم، لأنهم إذا لم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل.

شك ﴿مُرِيبٌ﴾: موقع في الريبة، أو ذي ريبة.

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ دخلت همزة الإنكار على الظرف، لأن الكلام في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك، لا في الشك.

﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ أي: لأجل المغفرة، كما تقول: دعوته ليأكل معي، أو يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى وقت يبين مقداره وسماه، يبلغكموه إن أمتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فضل لكم علينا، فلم خصصتم بالنبوة؟

﴿سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة، أرادوا بذلك ما اقترحوه من الآيات تعتنا وعناداً.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا
أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا
ءَاذَيْتُمُونَا ۖ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ تسليم لقولهم، يعنون: أنهم مثلهم في البشرية
وحدها.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالنبوة، ولا يخصهم بتلك
الكرامة إلا لخصائص فيهم ليست في أبناء جنسهم.

﴿وَمَا﴾ صح ﴿لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ﴾ بالآية التي اقترحتموها ﴿إِلَّا﴾ بمشيئته
﴿اللَّهُ﴾.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل
وقصدوا بذلك أنفسهم، أي: ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاداتكم
وعنادكم، وأي عذر ﴿لَنَا﴾ في ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ﴾ فعل بنا ما يوجب
توكلنا عليه، وهو التوفيق لهداية كل واحد منا إلى السبيل الذي يجب عليه سلوكه
في الدين.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ
لَتَعُوذُنَّ فِي مِلْثَنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾
وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي
وَحَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ

وَرَأَيْهِ جَهَنَّمَ وَنُفِثَ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ
يُسِفُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ
وَرَأَيْهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ
كَرَّمًا أَشَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى
شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

أي: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ﴾ بلادنا، إلا أن ترجعوا إلى أدياننا ومذاهبنا.
﴿لَنُثْلِكََنَّ الظَّالِمِينَ﴾ حكاية تقتضي إضمار القول أو أجمري الإيحاء
مجرى القول، والمراد بالأرض: أرض الظالمين وديارهم. وفي الحديث: ((من آذى
جاره ورثه الله داره))^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما قضى الله به من الهلاك للظالمين وإسكان المؤمنين
ديارهم، أي: ذلك الأمر حق.

﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي: موقعي وهو موقف الحساب، لأنه موقف الله
الذي يقف فيه عباده، أو على إقحام المقام.

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ واستنصروا الله على أعدائهم، أو استحكموا الله وسألوه
القضاء بينهم [وبين أعدائهم]^(٢)، من الفتاحة وهي الحكومة، ومنه: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾^(٣)، وهو عطف على ﴿أَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾.

﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معناه: فنصروا وظفروا وخاب كل جبار

(١) تفسير القمي ج ١: ٣٦٨ باختصار، التذكرة الحمدونية ج ١: ١٨٥ باختلاف يسير.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) الأعراف: ٨٩.

وهم قومهم.

﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ من بين يدي هذا الجبار نار ﴿جَهَنَّمَ﴾ يلقى فيها ما يلقى.

﴿وَرُسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ هو عطف بيان، كأنه قال: ويسقى من ماء،

فأبهمه إبهاماً ثم بيّنه بقوله: ﴿صَدِيدٍ﴾ وهو ما يسيل من جلود أهل النار من الدم والقيح.

﴿يَجْرَعُهُ﴾ يتكلف جرعه ﴿وَلَا يَكَاذُ يُسِغُهُ﴾ دخل كاد للمبالغة،

أي: ولا يقارب أن يسिغه فكيف تكون الإساعة، كقوله: ﴿لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا﴾^(١) أي: لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ كأن أسباب الموت قد أحاطت به من

كل الجهات ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: ومن بين يديه عذاب أشد مما قبله

وأغلظ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه^(٢)،

والتقدير: فيما نقص عليكم مثل الذين كفروا.

وقوله: ﴿أَعْمَلْتُمْ كُرْمًا﴾ جملة مستأنفة على تقدير جواب سائل يقول:

كيف مثلهم؟ فقول: أعماهم كرماد، [أو يكون ﴿أَعْمَلْتُمْ﴾]^(٣) بدلاً من ﴿مَثَلُ

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، والتقدير: مثل أعمال الذين كفروا ﴿كُرْمًا أَشَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾

فذرته وسفته ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ جعل العصف لليوم وهو لما فيه، كما تقول: يوم

(١) النور: ٤٠.

(٢) الكتاب ج ١: ١٤٣.

(٣) ساقطة من أ.

ماطر.

﴿أَعْمَلْتُمْ﴾ هي: المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام، وعتق الرقاب، وإغاثة الملهوفين، وإكرام الأضياف، وغير ذلك من صنائعهم، شُبِّهَتْ في حيوطها وذهابها هباءً منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به، برماد طيرته الريح العاصف.

﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة منها ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ كما لا يقدر من الرماد المطير على شيء، يعني: لا يرون لشيء منها ثواباً.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْصِيصٍ ﴿٢١﴾

﴿بِالْحَقِّ﴾ بالحكمة والغرض الصحيح ولم يخلقهما عبثاً ولا شهوة، وقرئ: خالق السماوات والأرض.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: يعدمكم ويخلق مكانكم خلقاً آخرين.
﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ﴾ بممتنع متعذر، بل هو عليه هين يسير، لأنه قادر لذاته، لا اختصاص له بمقدور دون مقدور.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ وبرزون يوم القيامة لله، أي: يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله وحسابه.

وَالضُّعْفَتَوُا ﴿الأتباع والعوام، والذين﴾ ﴿اسْتَكَبَرُوا﴾ سادتهم وكبراءهم الذين استتبعوهم واستغفوهم وصدوهم عن اتباع الأنبياء واستماع كلامهم. والتبع: جمع التابع، مثل: خادم وخدام وغائب وغيب.

﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾ أي: لو هدانا الله إلى طريق الخلاص من العقاب لهديناكم إلى ذلك.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا﴾ مستويان علينا الجزع والصبر.

﴿مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ أي: منجى ومهرب.

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾
وَأَدْخِلْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

يقول ﴿الشَّيْطَانُ﴾ وهو إبليس، يقوم خطيباً في الأشقياء من الجن والإنس إذا ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: قطع وفرغ من الأمر وهو الحساب: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ﴾ وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ خلاف ذلك ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ ولم أوف لكم بما وعدتكم.

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: تسلط وقهر، فأفسركم على الكفر والمعاصي وأكرهكم عليها.

﴿وَلَا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ إلا دعائي إياكم إلى الضلال بوسوستي وتزيني، وليس

الدعاء من جنس السلطان، ولكنه كقولهم: ما تحتهم إلا الضرب.

﴿فَلَا تُلَومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم، ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم.

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِمُصْرِخِي﴾ لا ينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يغنيه، والإصراخ: الإغاثة.

و(ما) في ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ مصدرية، يعني: ﴿كَفَرْتُ﴾ اليوم بإشراككم إيتاي ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ هذا اليوم أي: في الدنيا، ونحوه: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾^(١)، ومعنى كفره بإشراكهم إياه: تبرؤه منه واستنكاره له. وقيل: تعلق ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ بـ ﴿كَفَرْتُ﴾، و(ما) موصولة أي: كفرت من قبل حين آيت السجود لآدم بالذي أشركتمونه وهو الله جل جلاله، تقول: شركت زيداً، ثم تقول: أشركنيه فلان أي: جعلني له شريكاً، وهذا آخر قول إبليس.

وقوله: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ قول الله عز وجل، ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١١﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٣﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۖ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنسَوْنَ الْقَرَارَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: اعتمد مثلاً ووضعه.

و﴿كَلِمَةً﴾ منصوبة بفعل مضمر، أي: جعل كلمة طيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وهو تفسير لقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ كما تقول: أكرم الأمير زيدا: كساه حلّة وحمله على فرس. ويجوز أن ينتصب ﴿مَثَلًا﴾ و﴿كَلِمَةً﴾ ب﴿ضَرَبَ﴾ أي: ضرب كلمة طيبة مثلاً، بمعنى: جعلها مثلاً.

ثم قال: ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي: هي كشجرة طيبة. ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض: ضارب بعروقه فيها ﴿وَفُرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في جهة العلو والصعود، أي: وفروعها، على الاكتفاء بلفظ الجنس.

والكلمة الطيبة: كلمة التوحيد، وقيل: هي كل كلمة حسنة كالتيبيحة والتحميدة والتوبة والاستغفار، وأما الشجرة: فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة والتين والرمّان وغير ذلك، وعن ابن عباس: (شجرة في الجنة)^(١). وعن الباقر عليه السلام: ((الشجرة: رسول الله ﷺ، وفرعها: عليّ، وعنصر الشجرة: فاطمة، وثمرها: أولادها، وأغصانها وورقها: شيعتها))^(٢).

﴿تَوَقَّ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ تعطي ثمرها كل وقت ووقته الله لإثمارها،

(١) تفسير الطبري ج ١٣: ١٣٧.

(٢) معاني الأخبار: ٣٨٠ وفيه: وغصن الشجرة بدل وعنصر الشجرة.

الصادق: ((وعن النبي ﷺ: أنا شجرة، وفاطمة فرعها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، وشيعتنا أوراقها))^(١).

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بتيسير خالقها وتكوينه.

﴿كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ﴾ كمثل شجرة، أي: صفتها كصفتها. والكلمة الخبيثة: كلمة الشرك، وقيل: كل كلمة قبيحة، وأما الشجرة الخبيثة: فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث^(٢). وقال الباقر عليه السلام: ((بنو أمية))^(٣).

﴿أَجْتُنَّتْ﴾ أي: استوصلت، وهي في مقابلة قوله: ﴿أَصْلُهَا ثَائِتٌ﴾.

﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: استقرار، يقال: قرّ قراراً مثل: ثبت ثباتاً، شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت يضمحل عن قريب، ونحوه: (الباطل للجلج)^(٤).

والقول ﴿الثَّائِتِ﴾ الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكّن فيه واطمأنت إليه نفسه، وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزّلوا ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أنهم إذا سئلوا في القبر عن معتقدهم ودينهم ونبيتهم يقول كل منهم: الله ربّي وديني الإسلام ونبّي محمد ﷺ، فيقول له الملكان: نم قرير العين نوم الشاب الناعم.

﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم، واقتصروا

(١) شواهد التنزيل ج ١: ٣١٢، أمالي الشيخ الطوسي ج ١: ١٨.

(٢) الكشوث: نبت يتعلّق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض. (الصحاح: مادة كشث).

(٣) تفسير القمي ج ١: ٣٦٩.

(٤) مجمع الأمثال ج ١: ٣٦٧.

على تقليد شيوخهم في الدنيا، فلا يثبتون في مواقف الفتن، وتزل أقدامهم عن الحق، وهم في الآخرة أضل وأذل.

﴿وَيَقْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ولا يشاء إلا ما توجه الحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وخذلان الظالمين.

﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [أي: شكر نعمة الله كفرًا] ^(١) بأن وضعوه مكانه، وقيل: هم الأفجران من قريش: بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، وأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر ^(٢).

﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ﴾ ممن تابعهم على الكفر ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ أي: الهلاك. ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لـ ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾.

وقرئ: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الياء وضمها، ولما كان الضلال والإضلال نتيجة اتخاذ الأنداد أدخل اللام وإن لم يكن غرضاً على طريق التشبيه والتقريب.

﴿نَمَتَعُوا﴾ إيدان بأنهم كأتهم مأمورون بالتمتع لانغماسهم فيه، وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه.

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ ﴿٣١﴾
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾
لَّكُمُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَآبِّينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْإِثْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

(١) ساقطة من ب.

(٢) عن علي عليه السلام وعمر وغيرهما. تفسير الطبري ج ١٣: ١٤٦.

وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣١﴾

المقول محذوف، لأنّ جواب ﴿قُلْ﴾ يدلّ عليه، والتقدير: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ﴾ أقيموا الصلاة وأنفقوا ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا﴾، وقيل: هو بمعنى: ليقموا ولينفقوا وهو المقول. وجاز حذف اللام لأنّ الأمر الذي هو ﴿قُلْ﴾ عوض منه، ولو قيل ابتداء: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا﴾ لم يجز.

وانتصب ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ على الحال، بمعنى: مسرّين ومعلنين، أو على الظرف أي: وقتي سرّ وعلانية، أو على المصدر أي: إنفاق سرّ وإنفاق علانية. والخلال: المخالة.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ خبره، و﴿مِنَ الشَّجَرِ﴾ بيان للرزق، أي: أخرج به رزقاً هو ثمرات، ويجوز أن يكون ﴿مِنَ الشَّجَرِ﴾ مفعول ﴿أَخْرَجَ﴾، و﴿رِزْقًا﴾ حالاً من المفعول، أو نصباً على المصدر لـ (أخرج) لأنّه في معنى: رزق. ﴿لَتَجْزِيَنَّهُ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ﴾ أي: بقوله: كن فيكون.

﴿دَابَّيْنِ﴾ يدأبان في سيرهما، لا يفتران في منافع الخلق وإصلاح ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتعاقبان لمعاشكم وسباتكم.

﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ من جميع ما سألتموه نظراً في مصالحكم، و﴿مِّنْ﴾ للتبعيض، وقيل: معناه: من كل شيء سألتموه ولم تسألوه^(١)، فتكون ﴿مَا﴾ موصوفة بالجملة وحذف ولم تسألوه، لأنّ ما أبقى

(١) عن ركانة بن هاشم. تفسير الطبري ج ١٣: ١٥٠.

يدلّ على ما ألقى، ومثله: ﴿سَرَّابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾^(١) وحذف (والبرد). وقرئ: مِنْ كُلِّ - بالتثنية - وهو قراءة السيدين: الباقر والصادق عليهما السلام، وعلى هذا فيكون ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ نفيًا ومحله نصب على الحال، أي: آتاكم من جميع ذلك غير سائليه، أو تكون ﴿مَا﴾ موصولة بمعنى: وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه، فكانكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال.

﴿لَا تُخْضَوْهَا﴾ أي: لا تعدّوها ولا تطبقوا حصرها.

﴿ظَلُّوْهُ﴾ للنعمة لا يشكرها ﴿كَفَّارٌ﴾ يكفرها، أو ظلوم في الشدة

يشكو ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ
أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ
فَمَنْ يَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا
إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
رَبَّنَا لِئَقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
وَارْزُقْهُمْ مِنَ الشَّجَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ
مَا نَخْفَى وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا نَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

يريد ﴿الْبَلَدَ﴾ الحرام ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن، ويقال: جنبه الشرّ وجنبه الخير

وأجنبه، والمعنى: ثبتني ﴿وَبَقِيَ﴾ على اجتناب عبادة ﴿الْأَصْنَامِ﴾ وأراد بنيه من صلبه.

﴿لَا تُهِنَّا أَضْلَلْنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ فأعوذ بك لأن تعصمني وبنّي من ذلك، ومعنى إضلالهن الناس: إتهم ضلوا بسببهن فكأتهن أضللنهم، كما يقال: غرته الدنيا بمعنى: اغتر بها وبسببها.

﴿فَمَن يَتَعَنِّي﴾ على ملتي ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي: هو بعضي، لاختصاصه بي وملاسته لي، ونحوه قوله ﷺ: ((من غشنا فليس منا))^(١) أي: ليس بعض المؤمنين، لأنّ الغش ليس من أفعالهم.

﴿وَمَن عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ تستر على العباد معاصيهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

﴿مِن دُرِّيَّتِي﴾ أي: بعض أولادي وهو إسماعيل وأولاده.

﴿وَادٍ﴾ هو وادي مكة ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ لا يكون فيه شيء من زرع قط.

﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي لم يزل ممّناً عزيزاً يهابه كل جبار كالشيء المحرّم الذي حقّه أن يجتنب، أو جعل محرّماً [على الطوفان ممنوعاً منه، كما سمّي عتيقاً لأنّه أعتق منه، أو هو محرّم]^(٢) محترم عظيم الحرمة لا يحلّ انتهاكها، وما حوله حرم لحرمة.

﴿رَبَّنَا لِيقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يتعلّق اللام بـ ﴿أَسْكَنْتُ﴾ أي: ما أسكنتهم بهذا

الوادي إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرّم ويعمرّوه بذكرك وعبادتك.

﴿فَاعْمَلْ أُمَّةً مِّنَ﴾ أُمَّة ﴿النَّاسِ﴾، و﴿مِنَ﴾ للتبعية.

(١) سنن الدارمي ج ٢: ٢٤٨، الكافي ج ٥: ١٦٠ بالمعنى.

(٢) ساقطة من ج.

﴿تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾ أي: تسرع إليهم وتفزع، وقرئ: تهوى إليهم، من هوى يهوى: إذا أحب، ضمن معنى تنزع فعدي تعديته، وهي قراءة أهل البيت عليهم السلام.

﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ مع سكناهم وادياً ليس فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في واد يباب^(١).

﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ﴾ أي: تعلم السر كما تعلم العلن علماً لا تفاوت فيه، فلا حاجة بنا إلى الدعاء والطلب، إنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك، وافتقاراً إلى ما عندك، واستعجالاً لنيل مواهبك.

﴿وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ﴾ الذي هو علام الغيوب ﴿مِنْ شَيْءٍ فِي﴾ كل مكان من الأرض والسماء. و﴿مِنْ﴾ للاستغراق.

﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ أي: مع الكبر، كقول الشاعر:

إِنِّي عَلَى مَا تَرَيْنَ مِنْ كِبَرِي أَغْلَمُ مِنْ حَيْثُ يُؤْكَلُ الْكَثِيفُ^(٢)

وهو في موضع الحال، أي: وهب لي وأنا كبير أو في حال الكبر.

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: مجيبه وقابله، وهو إضافة الصفة إلى مفعولها، والأصل: لسميع الدعاء.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي: وبعض ذريتي عطفاً على الضمير المنصوب في ﴿أَجْعَلْنِي﴾.

﴿وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ أي: عبادتي، أو وأجب دعائي، لأن قبول الدعاء:

(١) يباب: خراب. (الصحيح: مادة ييب).

(٢) جهرة الامثال ج ٢: ٤٢٢ دون نسبة، وفيه: من أين....

الإجابة، وقبول الطاعة: الإثابة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ وفي هذا دلالة على أَنَّ أبويه لم يكونا كافرين، وإنما كان آزر عمه أو جده لأمه على الخلاف فيه، لأنه سأل المغفرة لهما ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ وهو يوم القيامة. وقرئ: وَلِوَلَدَيَّ، وهو قراءة أهل البيت عليهم السلام، وهما إسماعيل وإسحاق.

و﴿يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ معناه: يثبت، وهو مستعار من قيام القائم على الرجل، يدلّ عليه قولهم: قامت الحرب على ساق، ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسناداً مجازياً، أو أن يكون مثل ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(١).

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْتُ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

هذا وعيد للظالم وتسلية للمظلوم.

﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: أبصارهم لا تقف في أماكنها من هول ما ترى في

ذلك اليوم.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين إلى الداعي، وقيل: الإهطاع: أن تقبل ببصرك على ما ترى تديم النظر إليه لا تطرف^(١).

﴿مُقْنِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعي رؤوسهم.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا ترجع إليهم أعينهم، فلا يغمضونها ولا يطبقونها لكنها مفتوحة ممدودة من غير تحريك الأجفان.

﴿وَأَقْبَدَتْهُمُ هَوَاءٌ﴾ أي خلاء خالية عن العقول، وصفت الأفئدة بالهواء إذا كان صاحبها لا قوة في قلبه ولا جرأة، قال حسان:

فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخْبٌ هَوَاءٌ^(٢)

وعن ابن جريج: (هواء: صفر من الخير خاوية منه)^(٣).

﴿يَوْمَ بَأْنَيْهِمُ الْعَذَابُ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿أَنْذِرْ﴾ وهو يوم القيامة.

﴿أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك، ويجوز أن يكون المراد يوم هلاكهم بالعذاب العاجل، أو يوم موتهم معذبين فيسألون يومئذ تأخيرهم إلى أجل كما في قوله: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ﴾^(٤).

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ على إرادة القول، أي: حلفتُمْ ﴿مَا لَكُمْ مِنَّ﴾ انتقال إلى دار أخرى، أو قلتم ذلك بلسان الحال حيث بنيتم شديداً وأملتُمْ

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٣: ١٥٧.

(٢) ديوان حسان بن ثابت ج ١: ١٨، وصدرة: ألا أبلغ أبا سفيان عني.

(٣) الكشف ج ٢: ٥٦٤.

(٤) المناققين: ١٠.

بعيداً. و﴿مَا لَكُمْ﴾ جواب القسم وإن جاء بلفظ الخطاب.

يقال: سكن الدار وسكن فيها، من السكنى أو من السكون، أي: اطمأنتم فيها طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلكم في الظلم. ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ بالإخبار والمشاهدة ﴿كَيْفَ﴾ أهلكناهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ فلم تعتبروا.

وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْصِيَنَ اللَّهُ تُخَلَفَ وَعِدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ يَقْفُئْنَ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ﴿٥٢﴾

﴿وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ﴾ العظيم.

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ يمكن أن يكون مضافاً إلى الفاعل كالأول، والمعنى: وعند الله مكرهم يجازيهم عليه، وأن يكون مضافاً إلى المفعول، والمعنى: وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث لا يشعرون.

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ أي: وإن كان مكرهم لعظمه وكبره يكاد يزيل الجبال عن أماكنها. وعلى هذا تكون (إن) هي المخففة من الثقلية، واللام في ﴿لِتَزُولَ﴾ هي الفارقة. وقد جعلت (إن) نافية واللام مؤكدة لها، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(١)، أي: وما كان مكرهم لتزول منه

ما هو مثل الجبال من دلائل النبي ﷺ وشرائعه في الثبات والتمكّن. وقرأ علي عليه السلام وعمر وابن مسعود: وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفَ وَعْدِهِ. رُسُلُهُ﴾ مثل قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾^(١)، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ [أَنَا وَرُسُلِي]﴾^(٢)، وقدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً، ثم قال^(٣): ﴿رُسُلُهُ﴾ ليؤذن أنه إذا لم يخلف أحداً وعده، فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته من عبادته؟!.

﴿يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ أو على الظرف للانتقام، والمعنى: يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غيرها، وكذلك ﴿السَّمَوَاتِ﴾. والتبديل: التغيير، وقد يكون في الذوات كقولك: بدلت الدراهم دنائير، ومنه: ﴿بَدَلْنَا هُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(٤)، ﴿وَبَدَلْنَا هُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾^(٥)، وقد يكون في الأوصاف كقولك: بدلت الحلقة خاتماً: إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل. واختلف في تبديل الأرض والسموات، فقيل: تبدل أوصافها فتسير على الأرض جبالها، وتفتجر بحارها، وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت^(٦)، وقيل: تخلق أرض وسموات آخر^(٧).

﴿مُقَرَّرِينَ﴾ قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين، أو مغللين قرنت أيديهم

(١) غافر: ٥١.

(٢) المجادلة: ٢١.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) النساء: ٥٦.

(٥) سبأ: ١٦.

(٦) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٤: ٩١.

(٧) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٣: ١٦٤.

إلى أرجلهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي: الأغلال.

﴿سَرَابِلُهُمْ﴾ أي: قميصهم ﴿مِنْ قِطْرَانٍ﴾ وهو ما يطل به الإبل الجربى فيحرق الجرب والجلد. وقرئ: من قِطْرَانٍ، والقطر: النحاس أو الصفر المذاب، والآني: المتناهي حرّه.

﴿وَنَقَّيْنِ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ خصّ الوجوه لأنّ الوجه أعزّ موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه، ولذلك قال: ﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأُفْنَدَةِ﴾^(١).

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾ هو من صلة قوله: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يفعل بهم ما يفعل ليجزي الله ﴿كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾.

﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: كفاية للتذكير والموعظة، ويعني بها ما وصفه من قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ معطوف على محذوف، أي: لينصخوا ولينذروا به أي: بهذا البلاغ ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لأنّ الخوف يدعو إلى النظر الموصل إلى التوحيد، وقيل: معناه: هذا القرآن عظة بالغة كافية للناس، أنزل ليلبغوا [ولينذروا] بما فيه من الوعيد، وليعلموا^(٢) أنّها هو إله واحد بالنظر في الأدلة المؤدية إلى التوحيد المثبتة في القرآن، وليتذكر وليتعضّ به ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ذوو العقول والنهى.

(١) الهزمة: ٧.

(٢) ساقطة من ج.

سورة الحجر

مكية، وهي تسع وتسعون آية بلا خلاف.
 في حديث أبي: ((من قرأها أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ))^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ① رَبِّمَا يُوذُّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ② ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا
 وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ③ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ
 إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ④ مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا
 يَسْتَفْخِرُونَ ⑤ وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ
 لَمَجْنُونٌ ⑥ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
 ⑦ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ⑧

﴿رُبَّمَا﴾ قرئ بتشديد الباء وتخفيفها، ودخلت على الفعل المضارع وإن
 كانت إنها تدخل على الماضي، فإنها إنما تدلّ على أمر قد مضى، لأن المترقب في إخبار
 الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في التحقق، فكأنه قال: ربّما ودّوا. والمعنى:

ربما يتمنى الكفار يوم القيامة إذا عاينوا حال المسلمين، [فقالوا: يا ليتنا كنا مسلمين^(١)]. وروي: أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ إِذَا رَأَوْا الْمُسْلِمِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ^(٢).

و﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ حكاية ودادتهم.

﴿ذَرَّهُمْ﴾ أي: اقطع طمعك منهم ودعهم عن النهي عما هم عليه وخلهم ﴿يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا﴾ بديانهم، ويشغلهم أملهم الكاذب عن اتباعك ﴿فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ سوء صنيعهم. وهذا إيذان بأنهم لا ينفعهم الوعد ولا ينجع فيهم النصيح، ومبالغة في الإنذار والزام للحجة.

﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾ صفة ل﴿قُرْيَةٍ﴾، والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ﴾^(٣)، وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما تقول في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب. ومعناه: مكتوب ﴿مَعْلُومٌ﴾ وهو أجلها الذي كتب في اللوح، ألا ترى إلى قوله: ﴿مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ في موضع كتابها، وآث الأمة أولاً ثم ذكرها ثانياً حملاً على اللفظ والمعنى، وأراد: ﴿وَمَا يَسْتَحْزُونَ﴾ عنه فحذف.

﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ كان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء، كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾^(٤). والمعنى: إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أَنَّ الله تعالى نزل عليك الذكر.

وركبت ﴿لَوْ﴾ مع ﴿لَا﴾ و﴿مَا﴾ لمعنيين: أحدهما: امتناع الشيء لوجود

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) الدر المنثور ج: ٤: ٩٢.

(٣) الشعراء: ٢٠٨.

(٤) الشعراء: ٢٧.

غيره، والآخر: التحضيض، وأما (هل) فلم تركب إلا مع (لا) وحدها للتحضيض، قال ابن مقبل:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عَيْتُكُمْ مَا فِيكُمْ إِذْ عَيْتُمَا عَوْرِي^(١)

والمعنى: هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك، أو هلا يأتونا الملائكة للعقاب على تكذيبنا إياك.

ما تنزل، أي: ما تنزل الملائكة، وقرئ: ﴿نَزَّلَ﴾ بالنون ﴿الْمَلَكَةِ﴾ بالنصب، وقرئ: تنزل الملائكة، على البناء للمفعول.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق أي: بالحكمة والمصلحة، وقيل: بالوحي أو بالعذاب^(٢).

و﴿إِذَا﴾ جواب وجزاء، والتقدير: لو نزلنا الملائكة ما كانوا ﴿مُنْظَرِينَ﴾ أي: مؤخرين مهملين، والمعنى: لا نمهلهم ساعة.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ فَسَلَّكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا

(١) ديوان ابن مقبل: ٧٦، وفيه: لولا الحياء....

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٤: ٦.

لِلنَّظِيرِ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ

أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾

هذا ردّ لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، ولذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ فأكد عليهم أنّه هو المنزل للقرآن على القطع والثبات، وإنّه حافظه من كل زيادة ونقصان وتغيير وتحريف، بخلاف الكتب المتقدمة فإنّه لم يتول حفظها وإنّا استحفظها الربّانيون ولم يكل القرآن إلى غير حفظه، وعن الفراء: (يجوز أن يكون الضمير في ﴿لَهُ﴾ لرسول الله ﷺ) ^(١)، كقوله: ﴿وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ^(٢).

﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: في فرقهم وطوائفهم، والشيعه: الفرقة إذا اتفقوا في مذهب وطريقة، أي: نبأنا من قبلك رسلاً فيهم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ حكاية حال ماضية، لأنّ (ما) لا يدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال، ولا على ماضٍ إلا وهو قريب من الحال.

والضمير في ﴿نَسْلُكُهُ﴾ للذكر، وسلكت الخيط في الإبرة وأسلكته: أدخلته فيها ونظمته، أي: مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾، على معنى: أنّه يلقيه في قلوبهم مكذباً به غير مقبول، كما لو أنزلت بلثيم حاجة فلم يجيبك إليها تقول: كذلك أنزلها باللثام، يعني: هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية.

و ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ في محلّ النصب على الحال أي: غير مؤمنين به، أو هو بيان

(١) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٨٥.

(٢) المائدة: ٦٧.

لقوله: ﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكَهُ﴾.

﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: طريقتهم التي سنّها الله في إهلاكهم حين كذبوا رسلهم، وهو وعيد.

وقرئ: ﴿يَعْرِجُونَ﴾ بضم الراء وكسر ها.

و﴿سُكِرَتْ﴾ بالثقل والتخفيف، والمعنى: حبست عن الإبصار، من السكر أو السكر، أي: كما يحبس النهر من الجري، يريد: إنّ هؤلاء المشركين بلغ من عنادهم أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء، ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها لقالوا: هو شيء خيّل إلينا على غير حقيقة، بل قالوا: قد سحرنا محمد بذلك، وقيل: الضمير للملائكة^(١)، أي: لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عياناً ﴿لَقَالُوا﴾ ذلك. وذكر ﴿ظَلُّوا﴾ ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرونه، وقال: ﴿إِنَّمَا﴾ ليدلّ على أنّهم يقطعون بأنّ ذلك ليس إلا تسكيراً لأبصارهم.

﴿مِنْ أَسْرَقَ﴾ في محلّ النصب على الاستثناء. عن ابن عباس: (إنّهم كانوا لا يحبون عن السماوات، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السماوات كلها)^(٢).

﴿يَسْهَابٌ مَّيِّينٌ﴾ أي: ظاهر للمبصرين.

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٤: ٨.

(٢) الكشف والبيان ج ٥: ٣٣٣.

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا
 أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ
 ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿مَدَدْنَاهَا﴾ بسطانها وجعلنا لها طولا وعرضا ﴿رَوَّسَى﴾ جبلا ثابتة.
 والموزون: المقدر المعلوم، وزن بميزان الحكمة، أو الذي له وزن وقدر في أبواب
 المنفعة، وقيل: هو ما يوزن نحو الذهب والفضة وغيرهما^(١).

﴿مَعِيشَ﴾ بياء صريحة بخلاف الشئال ونحوها فإنها تهمز وتصريح الياء
 فيها خطأ، أو يخرج الياء بين بين.

﴿وَمَنْ أَنْتُمْ لَهُمُ رِزْقِينَ﴾ عطف على ﴿مَعِيشَ﴾ أو على محل ﴿لَكُمْ﴾، كأنه
 قيل: وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين، وأراد بهم العيال
 والمماليك الذين يحسبون أنهم يرزقونهم وإنما الله رازقهم وإياهم. ولا يجوز أن
 يكون مجرورا عطفاً على الضمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾.

وما ﴿مَنْ شَيْءٌ﴾ ينتفع به العباد ﴿إِلَّا﴾ ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه،
 وضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: وما نعطيه ﴿إِلَّا﴾ بمقدار ﴿مَعْلُومٍ﴾ نعلم أنه مصلحة
 لهم.

﴿لَوْحٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناها الملاحح، جمع ملقحة، كما قال
 الشاعر:

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١٤: ١٢.

وَمُخْتَبِطٌ مِّمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِفُ^(١)

أراد المطاوح جمع مطيحة.

والثاني: أنه يقال: ريح لاقح: إذا جاءت بخير، وضدّها العقيم، ونحوه: سحب ماطر.

﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ فجعلناه لكم سقياً.

﴿وَمَا أُنْشِرْ لَهُ، بِخَزَائِنٍ﴾ نفى عنهم ما أثبتته لنفسه في قوله: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ أي: نحن الخازنون للماء، القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها، ولا تقدرُونَ على ذلك.

﴿وَتَحْنُ الْوَرِثُونَ﴾ الباقون بعد هلاك الخلق كله، وهو استعارة من وارث الميت، لأنّه يبقى بعد فناء الموروث منه. وفي حديثه صلوات الله عليه وآله: ((اللهم متعنا بأبصارنا وأساعنا واجعله الوارث منا))^(٢).

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾ من استقدم ولادة وموتاً ومن استأخر، أي: تأخر من الأولين والآخرين، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدّم في الإسلام، أو في صف الجماعة ومن تأخر.

﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: هو وحده القادر على حشرهم، والعالم بحصرهم مع كثرتهم ووفور عدتهم.

﴿وَأَنَّهُ حَكِيمٌ﴾ باهر الحكمة ﴿عَلِيمٌ﴾ واسع العلم، أحاط بكل شيء علماً.

(١) البيت لنهشل بن حري. خزانة الأدب ج ١: ٢٩٧، وصدره: ليك يزيد ضارح لخصومه.

(٢) كتاب الزهد والرقائق: ١٤٥، وينظر: الكافي ج ٢: ٥٧٨.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿١٦﴾ وَالْجَنَّةَ خَلَقْتَهُ مِنْ
 قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا
 مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿١٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي
 فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَعْمُونَ ﴿٢٠﴾
 إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنُ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ
 أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ
 صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ
 عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
 ﴿٢٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٨﴾ قَالَ
 رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا
 عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٠﴾

الصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ، فإذا طبخ فهو
 فخار. والحمأ: الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصور، وسنة الوجه: صورته،
 وقيل: هو المصبوب المفرغ كأنه أفرغ حتى صار صورة^(١)، وحق ﴿مَسْنُونٍ﴾ -
 بمعنى: مصور - أن يكون صفة لـ ﴿صَلْصَلٍ﴾، كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال
 إنسان أجوف فيبس حتى إذا نفر صلصل، ثم غير بعد ذلك فصير إنساناً.
 ﴿وَالْجَنَّةَ﴾ للجن كآدم للناس.

﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ من نار الحر الشديد النافذ في المسام.
 واذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ وقت قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أي: عدلت خلقته

وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ معناه: أحييته، وليس ثم نفخ ولا منفوخ فيها، وإنّا هو تمثيل لتحصيل ما يحى به فيه.

﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ﴾ حذف حرف الجر مع (أن) والتقدير: مالك في أن لا تكون ﴿مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، والمعنى: أي غرض لك في إبانك السجود، وأي داع لك إليه؟.

﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ﴾ [اللام لتأكيد النفي، أي: لا يصحّ مني أن أسجد ويستحيل مني ذلك] ^(١).

﴿رَجِئُ﴾ مرجوم، ملعون، مطرود من الرحمة، مبعد منها، والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ يعود إلى الجنة، أو إلى السماء، أو إلى الملائكة.

و﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ و﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ و﴿يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ في معنى واحد، خولف بين العبارات سلوكاً لطريق البلاغة، وقيل: إنّما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لثلا يموت، لأنّه لا يموت يوم البعث أحد، فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر آيات التكليف.

﴿يَا أَعْيُنِي﴾ الباء للقسمة و(ما) مصدرية، وجواب القسم ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾، والمعنى: أقسم بإغوائك إياي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾، ومعنى إغوائه إياه: تسيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم فأفضى ذلك إلى غيه، وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للشواب بالتواضع والخضوع لأمر الله، ولكن الملعون اختار الاستكبار فهلك وغوى باختياره.

ويجوز أن لا يكون ﴿يَمَّا أَغْوَيْنَنِي﴾ قسماً ويقدر قسم محذوف، ويكون المعنى: بسبب تسبيك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم، بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في الدنيا التي هي دار الغرور، كقوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^(١)، أو أراد: لأجعلن مكان التزين عندهم الأرض^(٢) ولأوقعن تزييني فيها، أي: لأزينها في أعينهم حتى يستحبوها على الآخرة ويطمثوا إليها. ثم استثنى ﴿أَلْمُخْلِصِينَ﴾ لأنه علم أنهم لا يقبلون قوله.

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿١٤﴾ إِنَّكَ الْمُنْتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿١٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿١٨﴾ نِعْمَ عِبَادِي أَفَنِي أَنَا الْعَفْوَурُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٢٠﴾

أي: ﴿هَذَا﴾ طريق حق ﴿عَلَيَّ﴾ أن أراعيه، وهو أن لا يكون لك ﴿سُلْطَانٌ﴾ على عبادي إلا من اختار منهم متابعتك لغوايته. وقرئ: صِرَاطٌ عَلَيَّ، وهو من علو الشرف والفضل.

﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير لـ ﴿الْغَاوِينَ﴾.

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) ساقطة من ج.

وأبواب جهنم: أطباقها، بعضها فوق بعض.

﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ أي: نصيب مفروض.

والمتقون: الذين يتقون ما يجب عليهم اتقاؤه مما نهوا عنه، يقال لهم: ﴿ادْخُلُوهَا سَلَامًا﴾ أي: سالمين مسلمين من الآفات ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الإخراج منها.

والغل: الحقد الكامن في القلب، معناه: وأزلنا ما كان في قلوبهم من أسباب العداوة في الدنيا، وقيل: معناه: طهرنا قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة.

و﴿إِخْوَانًا﴾ نصب على الحال، و﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ كذلك: أي: كاثنين على مجالس السرور متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا﴾ تعب وعناء.

ثم قرر ما ذكره من الوعد ومكنه في نفوسهم بقوله: ﴿تَنَجَّى عِبَادِي أَنِّي أَنَا﴾ وحدي ﴿الْعَفْوُورُ﴾ للذنوب ﴿الرَّحِيمُ﴾ الكثير الرحمة ﴿وَأَنِّي عَذَابِي﴾ هو المستأهل لأن يسمى أليماً، فارجوا رحمتي وخافوا عذابي.

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا
 قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ
 عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ
 نُبُشْرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْطِيطِينَ
 ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾
 قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ
 مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾
 إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا لَهَا لَمِنَ الْغَدِيرِ ﴿٦٠﴾

﴿وَنَبِّئُهُمْ﴾ عطف على ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾، أي: وأخبرهم عنهم ليتخذوا ما أحلّ بقوم لوط من العذاب عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين، ويتحققوا عنده أنّ عذابه هو العذاب الأليم.

﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: نسلم عليك سلاماً، أو سلّمت سلاماً.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون، وكان خوفه لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت، أو لامتناعهم من الأكل.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل، المعنى: إنّك آمن مبشّر فلا توجل.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ مع مس ﴿الْكَبَرُ﴾ بأن يولدي؟ أي: أنّ الولادة أمر عجيب مع الكبر.

﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ وهي (ما) الاستفهامية دخلها معنى التعجب، كأنّه قال: فبأي أعجوبة تبشرون؟! وقرئ بفتح النون وكسرها، على حذف نون الجمع، والأصل تبشرونن، وقرئ بإثبات الياء تبشروني، وتبشرونّ - بإدغام نون الجمع في نون العباد..

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: باليقين الذي لا لبس فيه ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَظِيلِينَ﴾ أي: الآيسين. وقرئ: ﴿يَقْنَطُ﴾ بكسر النون وفتحها.

﴿إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ أي: المخطئون سبيل الصواب، يعني: لم أستنكره قنوطاً من رحمته ولكن استبعاداً له في العادة الجارية بين الخلق.

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: فما شأنكم الذي بعثتم له؟.

وقوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ إن كان استثناء من ﴿قَوْمٍ﴾ كان منقطعاً، لأنّ

القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان، وإن كان استثناء من الضمير في ﴿مُجْرِمِينَ﴾ كان متصلاً، كأنه قال: ﴿إِلَّا قَوْمٌ﴾ قد أجزموا كلهم إلا آل لوط. وقوله: ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾ استثناء من الضمير المجزوم في ﴿لَمُتَّجُوهُمْ﴾ وليس استثناء من الاستثناء.

﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ تعليق، لأن التقدير يتضمّن معنى العلم، ولذلك فسّر العلماء تقدير الله تعالى أعمال العباد بالعلم، وإنّا أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم وهو الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص بالله، كما يقول خاصة الملك: فعلنا كذا وأمرنا بكذا، والمدير والأمر هو الملك لا هم. وقرئ: قَدَرْنَا بالتخفيف، وكذلك في النمل^(١).

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُّونَ ﴿١٢﴾
قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا
لَصَادِقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا
يَلْفُتْ مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ
الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿١٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿١٨﴾ وَانْقَرَأَ اللَّهُ وَلَا
تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي
إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٢١﴾ لَعَنَّا لَئِنْ لَفِيَ سَكْرَتُهُنَّ يَمْعَمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَخَذْتَهُنَّ
الصَّبِيحَةَ مُثْرَقِينَ ﴿٢٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِنَّ جِجَارَةً مِّنْ
سِجِّيلٍ ﴿٢٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّا لَنَسِيلٌ لِّمُتَّبِعِينَ
﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

(١) وهي قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَا مَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الآية: ٥٧.

﴿مُتَكَبِّرُونَ﴾ أي: تنكركم نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشرّ، يدلّ عليه قولهم: ﴿بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: ما جئناك بما تنكرونا لأجله، بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وهو العذاب الذي كنت تخوفهم به وتتوعدهم بنزوله فيمترون أي: يشكون فيه.

﴿وَأَنبَأَكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين عن عذابهم ﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في الإخبار بنزوله بهم.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ قرئ بقطع الهمزة ووصلها، من سرى وأسرى.

﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ وهو من آخره بعدما يمضي أكثر الليل.

﴿وَأَتَّبِعْ أَذْبَرَهُمْ﴾ أي: اقتف آثارهم وكن وراءهم لتكون عيناً عليهم فلا يتخلف أحد منهم.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ما خلف ورائه في المدينة، أو هو كناية عن مواصلة السير وترك التوقف، لأنّ من يلتفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة.

﴿وَأَمْضُوا﴾ أي: اذهبوا إلى ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي: إلى الموضع الذي أمرتم بالذهاب إليه وهو الشام. وعدّي ﴿أَمْضُوا﴾ إلى ﴿حَيْثُ﴾ كما يعدّي إلى الطرف المبهم، لأنّ (حيث) مبهم في الأمكنة، وكذلك الضمير في تؤمرونه.

وعدي ﴿وَقَضَيْنَا﴾ بـ(إلى) لأنّ المعنى: وأوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾ مقضياً، وفسر ﴿الْأَمْرُ﴾ بقوله: ﴿أَنَّا دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ وفي إبهامه وتفسيره تعظيم للأمر. وقرئ: إنّ - بالكسر - على الاستئناف، كأنّ قائلاً قال: أخبرنا عن ذلك الأمر؟ فقل: إنّ دابر هؤلاء مقطوع. ودابرهم: آخرهم، يعني: يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.

﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي: داخلين في وقت الصبح.

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ وهي سدوم التي يضرب بقاضيه المثل في الجور^(١)، مستبشرين بالملائكة.

﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي، لأن من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه.

﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ ولا تذلونني بإذلال ضيفي، من الخزي، أو لا تشوروا بي، من الخزاية وهي الحياء.

﴿عَنِ الْمَلَكِ﴾ أي: عن أن تحير منهم أحداً أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم، وهو ما أوعده من قولهم: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾^(٢)، وقيل: عن ضيافة الناس وإنزالهم^(٣).

﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ إشارة إلى النساء، لأن كل أمة أولاد نبيها، أي: هؤلاء بناتي فانكحوهن واخلوا بناتي فلا تتعرضوا لهم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَإِينَ﴾ شك في قبولهم لقوله، فكأنه قال: إن فعلتم ما أقوله لكم وما أظنكم تفعلون، وقيل: معناه: إن كنتم متزوجين^(٤).

﴿لَعَمْرُكَ﴾ أي: وحياتك يا محمد ومدة بقائك، وعن المبرد: (هو دعاء معناه: أسأل الله عمرك)^(٥). وتقديره: لعمرك مما أقسم به، والعمر والعمر واحد إلا أنهم

(١) يقال: أجور من قاضي سدوم. مجمع الأمثال ج ١: ٣٣٩.

(٢) الشعراء: ١٦٧.

(٣) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٤: ٣٠.

(٤) معاني القرآن وإعراجه ج ٣: ١٨٣.

(٥) الكامل في اللغة والأدب ج ٤: ١٦٥ بالمعنى.

خصّوا القسم بالمفتوح لحفة الفتحة.

﴿لَيْسَ لَهُمْ لَكَ سَكْرَتٌ﴾ أي: في غوايتهم التي أذهبت عقولهم يتحيرون.
﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ وهي صيحة جبرئيل ﴿مُتَرَفِقَةً﴾ داخلين في الشروق وهو طلوع الشمس.

﴿مَنْ سِجِّيلٍ﴾ من طين عليه كتاب.

والتوسّم: المتفرّس المتأمل المثبت في نظره حتى يعرف حقيقة سمة الشيء.
الصادق عليه السلام: ((نحن المتوسّمون))^(١)، وفي الحديث: ((إنّ لله عبادة يعرفون الناس بالتوسّم))^(٢).

﴿وَأَنهَآ﴾ وإن آثارها ﴿لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يصرون تلك الآثار، وهي تنبيه لقريش، كقوله: ﴿وَأَنكُمْ لَتَمُرُّوْنَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾^(٣).

وَأَن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَأَنقَمْنَا مِنْهُم وَإِنهَآ
لِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾
وَأَيَّبْنَاهُمْ مَا بَيَّنَّا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
يُؤْتُوا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَنِيَّةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ
﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

(١) الاختصاص: ٣٠٣.

(٢) معجم الطبراني الاوسط ج ٣: ٢٠٧.

(٣) الصافات: ١٣٧.

﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ قوم شعيب، وتقديره: وإنه كان أصحاب الأيكة ظالمين.
﴿وَأَيْنَهُمَا﴾ يعني: قرى قوم لوط والأيكة ﴿لِيَأْمُرَ مُبِينَ﴾ لبطريق واضح
يؤم ويتبع ويهتدى به.

و﴿أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾: ثمود، والحجر: واديهما، وهو بين المدينة والشام.
﴿ءَايِينَكَ﴾ من أن تنهدم بيوتهم ومن نقب اللصوص لوثافتها
واستحكامها، أو آمنين من عذاب الله، يحسبون أن الجبال تحميهم منه.
﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ فما دفع عنهم العذاب ﴿فَمَا كَانُوا﴾ يكسبونه من البناء الوثيق
والمال والعدد.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة والثواب لا باطلاً
وعبثاً، أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال.
﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ فينتقم الله لك فيها من أعدائك، ويجازيك وإياهم
وجميع الخلائق على أعمالهم.
﴿فَأَصْفَحْ﴾ أي: فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم
وإغضاء.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الذي خلقك وخلقهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ
عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ
جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا
أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾
فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعْ

﴿١٥﴾ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ
الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

﴿سَبْعًا﴾ أي: سبع آيات وهي الفاتحة، أو سبع سور وهي السبع الطوال،
والسابعة الأنفال وبراءة لأتباعها في حكم سورة واحدة، ولذلك لم يفصل بينهما
ب(بسم الله الرحمن الرحيم). والأول أصح.

و﴿الْمُتَكَاَفِي﴾ من التثنية وهو التكرير، لأن الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة،
أو من الثناء لاشتغالها على الثناء على الله، والواحدة مثناة: مفعلة، أي: موضع ثناء
أو تثنية، و﴿مِنْ﴾ إما للبيان أو للتبعض.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تطمح ببصرك ﴿إِلَّا مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾
أي: أصنافاً من المشركين من أنواع النعم طموح راغب فيه متمن له، واستغن
بما أوتيت من النعمة التي كل نعمة. وإن عظمت. فهي بالإضافة إليها نكرة يسيرة
وهي القرآن العظيم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا فيتقوى بهم الإسلام وأهله، وتواضع لمن
معك من المؤمنين، وطب نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء.

﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله
نازل بكم، وأبين لكم ما تحتاجون إليه وما أرسلت به إليكم.

﴿كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ﴾ أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا
على اليهود والنصارى وهم المقتسمون ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ إذ قالوا
بعنادهم: بعضه حقّ موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما، فاقسموه

إلى حقّ وباطل وعضوه.

والثاني: أن يتعلّق بقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا اللَّذِيرُ الْأَمِيتُ﴾ أنذركم عذاباً مثل ما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم، وهم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة فقعدوا في كل مدخل ينقرون الناس عن الإيمان برسول الله، يقول بعضهم: لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فإنه ساحر، ويقول الآخر: كذاب، والآخر: شاعر، فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بأفات. ﴿عِصِينَ﴾ أجزاء، جمع عضة، وأصله عضوة، فعلة من عضا الشاة إذا جعلها أعضاء.

﴿لَنَسْتَلَنَّهِنَّ﴾ عبارة عن الوعيد، وقيل: نسألهم سؤال توبيخ وتقريع لم عضيتم؟! ^(١).

﴿فَأَصَدَعَ بِمَا تَوَمَّرُ﴾ أي: فاجهر به وأظهره، يقال: صدع بالحجة: إذا تكلم بها جهاراً، من الصديق وهو الصبح، والأصل: بما توامر به من الشرائع، فحذف الجار، كما في قول الشاعر:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلُ مَا أُمِرْتُ بِهِ ^(٢)

ثم حذف ضمير المفعول، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية، أي: بأمرك، وهو مصدر من المبني للمفعول.

والمستهزئون: خمسة نفر ذوو أَسنان وشرف: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب بن عبد مناف، والحارث بن

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٤: ٤٦.

(٢) ديوان العباس بن مرداس السلمي: ٣١، وبقيته: فقد تركت ذا مال وذا نسب.

الطلاطلة، ماتوا كلهم قبل بدر. قال جبرئيل للنبي ﷺ: (أمرت أن أكفيكمهم، فأوماً إلى ساق الوليد فمَرَّ وهو يجر ثوبه، فتعلقت بثوبه شوكه فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعها، فخدشت ساقه فمات من ذلك؛ وأوماً إلى أخمص العاص بن وائل فوطاً شبرمة^(١) فدخلت فيها وقال: لدغت، ولم يزل يحكها حتى مات؛ وأشار إلى عيني الأسود فعمي، وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى مات؛ وأشار إلى أنف الحارث فامتخط قيحاً فمات؛ وأشار إلى بطن الأسود فاستسقى فمات)^(٢).

﴿سَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَيْحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

أي: ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك، والطعن فيك وفي القرآن.

﴿فَسَيْحَ﴾ أي: فافزع إلى الله عزَّ اسمه فيها يأتيك، يكشف عنك الغم ويكفيك المهم.

﴿وَكُنْ مِنَ﴾ الذين يسجدون لله. كان صلوات الله عليه وآله وسلم إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة^(٣).

ودم على عبادة ﴿رَبِّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت، يعني: مادمت حياً.

(١) الشبرمة واحدة الشبرم وهي شجرة شاكة لها زهرة حمراء. (اللسان: مادة شبرم)

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام ج ٢: ٥٠-٥٢.

(٣) سنن أبي داود ج ٢: ٣٦١٩، ينظر: الكافي ج ٣: ٤٨٠.

سورة النحل

وتسمى أيضاً سورة النعم، أكثرها مكّي، مائة وثمان وعشرون آية بلا خلاف.

في حديث أبي: ((من قرأها لم يحاسبه الله تعالى على النعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا، وإن مات في يوم تلاها أو ليلة أُعطي من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية))^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأها في كل شهر كفي المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص، وكان مسكنه في جنة عدن وهي وسط الجنان))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنزَلَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ
الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ
مُتِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا

(١) الكشف والبيان ج ٦: ٥ باختصار.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٧.

تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تَرِيحُونَ وَحَيْثُ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾
وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلَيْغِهِ إِلَّا يَشْقَى الْأَنفُسُ
إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

قرب ﴿أَمَرَ اللَّهُ﴾ بعذاب هؤلاء الكفار، أو أتى أمر القيامة، أي: هو بمنزلة
الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه.

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ كانوا يستعجلون ذلك كما حكى الله عنهم قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ
عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(١).

﴿سُبْحَنَهُ وَيَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تبرأ عز وجل عن أن يكون له شريك وأن
تكون آلهتهم له شركاء فتكون (ما) موصولة، أو عن إشراكهم فتكون مصدرية،
وقرى: يشركون بالياء والتاء.

وقرى: ﴿يُنَزَّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد، و﴿الْمَلَكِ كَةً﴾ بالنصب، وقرئ:
تنزل الملائكة، أي: تنزل ﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ بما يحیی القلوب الميتة بالجهل من
وحیه، أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد.

و﴿أَنذِرُوا﴾ بدل من الروح أي: ينزلهم بأن أنذروا، والتقدير: بأنه،
والضمير للشأن أي: بأن الشأن أقول لكم: أنذروا، أو تكون ﴿أَنْ﴾ مفسرة، لأنَّ
تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول، ومعنى أنذروا: أعلموا بأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا﴾ من نذرت بكذا: إذا علمته، أي: يقول لهم: أعلموا الناس قولي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

ثم دلَّ على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بذكر ما لا يقدر عليه غيره من خلق

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وخلق ﴿الْإِنْسَانَ﴾ وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته، وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلقه تعالى وجلّ من أن يشرك به غيره.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ معناه: فإذا هو مجادل للخصوم، منطيق، مبين عن نفسه بعدما كان نطفة جماداً، وقيل: فإذا هو خصيم لربه، منكر لخالقه.

و﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الأرواح الثمانية، وأكثر ما يقع على الإبل، وانتصب بفعل مضمّر يفسره الظاهر. والدفع: اسم ما يدفع به، كالماء اسم ما يملأ به، وهو اللباس المعمول من صوف أو وبر أو شعر.

﴿وَمَنْفَعٌ﴾ هي نسلها ودرّها وغير ذلك من الحمل والركوب وإثارة الأرض.

ومنّ سبحانه بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها، لأنّها من أغراض أصحاب المواشي، لأنهم إذا أراحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزيت الألفية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء، فرحت أربابها وأجلّهم الناظرون إليها، فكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس، وقدم الإراحة على السرح لأنّ الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع.

وقرى: ﴿يَشِقُّ الْأَنْفَيسُ﴾ بفتح الشين وكسرها، وهما لغتان في معنى المشقة، والفرق بينهما: أنّ المفتوح مصدر شقّ الأمر عليه، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع، وأما الشَّقُّ: فالنصف، كأنّه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد.

والمعنى: ﴿وَتَحْمِلُ أَنْفَالَكُمْ﴾ إلى بَلَدٍ بعيد ﴿أَمْ تَكُونُوا بِلَافِيهِ﴾ في التقدير: لو لم يخلق الإبل، إلا بجهد أنفسكم ومشقتها. ويجوز أن يكون المعنى: لم

تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس، وقيل: إن البلد مكة^(١).

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّوُفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير

هذه المصالح.

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ
لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الشَّجَرِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ
لَكُمْ أَلِيلَ النَّهَارِ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ
بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ
لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

يَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

عطف ﴿الْخَيْلَ﴾ على ﴿الْأَنْعَامَ﴾، أي: خلق هؤلاء للركوب وللزينة،
وعطف ﴿زِينَةً﴾ على محل ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ ولم يرد المعطوف والمعطوف عليه
على سنن واحد، لأن الركوب فعل المخاطبين، والزينة فعل الزائن وهو الخالق
عز اسمه.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أنواع الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم.

والمراد بالسبيل: الجنس، ولذلك أضاف إليها القصد وقال: ﴿وَمِنْهَا
جَايِزٌ﴾، والقصد مصدر بمعنى الفاعل، سبيل قصد وقاصد أي: مستقيم، كأنه

يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ومعنى قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: إِنَّ هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه، ونحوه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾^(١).

﴿وَمِنْهَا﴾ أي: ومن السبيل ﴿جَكَارٌ﴾ عن القصد، فأعلم سبحانه بأن السبيل العادل عن الحق لا يضاف إليه بقوله: ﴿وَمِنْهَا جَكَارٌ﴾، ولو كان الأمر على ما ظنه المجترة لقال: وعليه جائرها أو وعليه الجائر.

﴿وَلَوْ شَاءَ هَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قسراً وإجاءاً إلى السبيل القصد.
﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: مطراً ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ أي: لكم هو شراب كقوله:

يَأْتِي الظَّلَامَةُ مِنْهُ النَّوْفُلُ الزُّفُرُ^(٢)

والشراب: ما يشرب.

وقوله: ﴿شَجَرٌ﴾ يعني: الشجر الذي ترعاه المواشي، وقيل: معناه لكم من ذلك الماء شراب ﴿وَمِنْهُ﴾ شرب ﴿شَجَرٌ﴾ أو سقي شجر فحذف المضاف، أو لكم من إنباته شجر أو من سقيه شجر فحذف المضاف إلى الهاء في ﴿وَمِنْهُ﴾ كما قال زهير:

أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تُكَلِّمْ^(٣)

أي: من ناحية أم أوفى.

(١) الليل: ١٢.

(٢) البيت لأعشى باهلة. ملحق ديوان الأعشى: ٢٦٧، صدره: أخو رغائب يعطيها ويسألها.

(٣) شعر زهير بن أبي سلمى: ٤٢. وبقيته: بحومانة الدراج فالتثلم.

﴿شَيْمُوتَ﴾ من سامت الماشية: إذا رعت فهي سائمة وأسمتها أنا.

وقرى: ﴿يُنْتِثُ﴾ بالياء والنون.

﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (من) للتبويض، لأن كل الثمرات لا تكون إلا في

الجنة، وأنبت في الأرض بعض من كلها.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى كمال حكمته وقدرته.

[﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْجُودُ﴾] ^(١) قرئ جميعها

بالنصب، فيكون المعنى: وجعل النجوم مسخرات، إذ لا يصلح أن يقال: وسخر

النجوم مسخرات، ويجوز أن يكون المعنى: أنه سخرها أنواعاً من التسخير، جمع

مسخر، بمعنى تسخير، من قولك: سخره الله مسخراً، فكأنه قال: وسخرها لكم

تسخيرات بأمره. وقرئ بنصب ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وحدهما ورفع ما بعدهما على

الابتداء والخبر، وقرئ: ﴿وَالْجُودُ مُسَخَّرَتٌ﴾ بالرفع وما قبله بالنصب.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ جمع الآية هنا، لأن الآثار العلوية

أظهر دلالة للعقلاء على عظمة الله وباهر قدرته.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ معطوف على ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، يعني: ما خلق فيها

من حيوان ونبات وغير ذلك من أنواع النعم مختلف الهيئات والأشكال لا يشبه

بعضها بعضاً.

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا

وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ

فِيهِ وَلِتَسْبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾

وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن نَعِيدَ بِكُمْ وَانْهَرَا وَسْبُلًا
لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَنَّا وَابْنَجِمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعْدُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ أي: ذلله لكم وسهل لكم الطريق إلى ركوبه، واستخراج ما فيه من المنافع.

وأراد باللحم الطري: السمك، وصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله لئلا يفسد، والحلية: هي اللؤلؤ والمرجان.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ أي: تزينون بها وتلبسونها نساءكم.

﴿مَوَآخِرَ﴾ أي: شواق لماء البحر بحيازيمها، وعن الفراء: (المخر: صوت جري الفلك بالرياح)^(١). وابتغاء الفضل: التجارة.

﴿أَن نَعِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب.

﴿وَانْهَرَا﴾ وجعل فيها أنهاراً، لأن في ﴿الْفَجِّ﴾ معنى (جعل)، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾^(٢).

﴿وَسْبُلًا﴾ أي: طرقاً ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بها إلى حيث شئتم من البلاد.

﴿وَعَلَّمَنَّا﴾ وهي معالم الطرق وكل ما يستدل به المارة من جبل وسهل وغير ذلك. والمراد بالنجم: الجنس، كما يقال: كثر الدرهم في أيدي الناس،

(١) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٩٨.

(٢) النبأ: ٦، ٧.

وعن السدي: (هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي)^(١)، وكأنه سبحانه بتقديم النجم وإقحام ﴿هُم﴾ فيه والخروج من الخطاب إلى الغيبة أراد أن قريشاً - خصوصاً - لهم اهتداء بالنجوم خصوصاً في أسفارهم، وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم فلذلك خصصوا. الصادق عليه السلام: ((نحن العلامات، والنجم رسول الله ﷺ))^(٢).

﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ أريد به الأصنام، وجعل (من) فيها لا يعقل لما اتصل بذكر الخالق أفلا تتذكرون فتعبرون.

﴿لَا تَحْصُوهَُا﴾ أي: لا تضبطوا عددها فضلاً عن أن تطبقوا القيام بشكرها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر نعمه ولا يقطعها عنكم.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ تَأْتِيهِمْ أَمْثَلُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾ أَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَبْعُثُوا بِالْآخِرَةِ قُلُوبَهُمْ مُنْكَرَةً وَهُمْ يُسْتَكْبَرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ بِعُلَمَاءِ مَا يُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

﴿يَدْعُونَ﴾ قرئ بالياء والتاء، نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين، وأحياء لا يموتون، وعالمين بوقت البعث، وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب، أي: لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات وأمرهم على العكس من ذلك.

(١) معالم التنزيل ج ٢: ٢٠٣.

(٢) الكافي ج ١: ٢٠٧.

والضمير في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ للداعين، أي: لا يشعرون متى يبعث عابدهم، وفيه تهكم بالمشركين، وأن أهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم؟!.

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ سرهم وعلاانيتهم فيجازيهم، وهو وعيد.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ
 (١٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ
 الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (١٥)
 قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَيَّنَّاهُمْ مِنْ
 الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (١٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ
 شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَفِّقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (١٧) الَّذِينَ
 تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ
 مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٨) فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَوْىِ الْمُتَكَبِّرِينَ (١٩)

﴿مَاذَا﴾ منصوب بـ ﴿أُنْزِلَ﴾ بمعنى: أي شيء أنزل ربكم؟، أو مرفوع بالابتداء بمعنى: أي شيء أنزله ربكم؟. فإذا نصبت فمعنى ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما يدعون نزوله أساطير الأولين، وإذا رفعت فالمعنى: المنزل أساطير الأولين، أي: أحاديث الأولين وأباطيلهم.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: قالوا ذلك إضلالاً للناس وصدأً عن رسول الله ﷺ، فحملوا أوزار ضلالهم ﴿كَامِلَةً﴾ وبعض ﴿أَوْزَارٍ﴾ من أضلوهم، لأن

المضل والضال شريكان، هذا يضلّه وهذا يطاوعه على إضلاله. وجاء باللام من غير أن يكون غرضاً، نحو قولك: خرجت من البلد مخافة الشرّ.

﴿يَغْيِرْ عَلَيْهِ﴾ حال من المفعول، أي: يضلّون من لا يعلم أنّهم ضلال، وإنّما وصف بالضلال من لا يعلم، لأنّه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحقّ والمبطل.

و﴿الْقَوَاعِدِ﴾ أساطين البناء، وقيل: الأساس^(١)، وهذا تمثيل لاستتصاهاهم. والمعنى: إنّهم سوا منصوبات ليمكروا الله بها فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعفت فسقط عليهم السقف وهلكوا، ومن أمثالهم: (من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً)^(٢). والمراد بإتيان الله: إتيان أمره. ﴿مِنْ الْقَوَاعِدِ﴾ من جهة القواعد. وقرأ الصادق عليه السلام: فَآتَى اللَّهُ بَيَّتَهُمْ.

﴿تُخْزِيهِمْ﴾ أي: يذلهم بعذاب الخزي، يعني: هذا لهم في الدنيا ثمّ العذاب في الآخرة.

﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ أضافهم إلى نفسه على طريق الاستهزاء بهم ليوبخهم بذلك. ﴿تُسْقَوْنَ﴾ أي: تعادون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم ومعناهم. وقرئ بكسر النون بمعنى: تشاققوني، لأنّ مشاققة المؤمنين كأنّها مشاققة الله.

و﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم: الأنبياء والعلماء من أمّهم، وقيل: هم الملائكة^(٣).

(١) تفسير الطبري ج ١٤: ٦٧.

(٢) المستقصى في أمثال العرب ج ٢: ٣٥٤.

(٣) تفسير ابن عباس ج ٣: ٨٧.

﴿تَوَفَّيْهُمْ﴾ قرئ بالتاء والياء، وبإدغام التاء في التاء.

﴿فَالْقُرْآنَ اسْلَمَ﴾ أي: تسالموا وأخبتوا وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ جحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان في الدنيا، فردّ عليهم أولو العلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهو يجازيكم عليه، وهذا أيضا من الشماتة، وكذلك ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾.

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٤﴾

﴿خَيْرٌ﴾ أي: أنزل خيراً، ونصب هذا ورفع الأول فصلاً بين جواب المقرّ وبين جواب الجاحد، فهؤلاء أطبقوا الجواب على السؤال مفعولاً للإنزال فقالوا: خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا: هو أساطير الأولين وليس من الإنزال في شيء.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ وما بعده بدل من ﴿خَيْرٌ﴾ حكاية لقول الذين اتقوا، أي: قالوا هذا القول، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ عدة للقائلين.

﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: مكافأة في الدنيا بإحسانهم، ولهم في الآخرة ما هو خير منها.
 ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره.
 ﴿جَنَّتْ عَدْنِي﴾ خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح.
 ﴿طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي، لأنه في مقابلة
 ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

﴿يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا﴾ سلامة لكم من كل سوء.
 ﴿ثَانِيَهُمُ الْمَلَأَتْهُمُ الْأَرْوَاحُ﴾ لقبض الأرواح ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب
 المستأصل أو القيامة.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن
 قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأنهم فعلوا ما
 استوجبوا به التدمير.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ
 وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا
 فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
 فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن
 تَحَرَّضَ عَلَى هُدْيَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن
 نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الكفار والضلال: أشركوا بالله وحرّموا

ما أحلّ الله وارتركبوا ما حرّمه، فلما نهوا على قبح أفعالهم نسبوها إلى الله وقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لم نفعلها ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا﴾ أن يبلّغوا الحق، وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان.

﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: ما من أمة إلا وقد ﴿بَعَثْنَا﴾ فيهم ﴿رَسُولًا﴾ يأمرهم بالخير الذي هو عبادة الله، وينهاهم عن الشر الذي هو اختيار ^(١) ﴿الطَّاغُوتِ﴾.

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: لطف به لعلمه أنّه من أهل اللطف ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي: ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لتصميمه على الكفر.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ ما فعلت بـ ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ حتى لا يبقى لكم شبهة في أنّي لا أريد الشر حيث أفعّل ما أفعّل بالأشعار.

ثم ذكر سبحانه عناد قريش، وحرص النبي ﷺ على إيمانهم، وعزّفه أنّهم ممن حقّت عليهم الضلالة، وأنّه ﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ أي: لا يلطف بمن يخذله، وقيل: معناه: لا يهتدي ^(٢)، يقال: هداه الله فهدي، وقرئ: لا يهدي على البناء للمفعول، والعائد إلى ﴿مَنْ﴾ الموصولة الهاء المحذوفة، أي: من يضلّه.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

﴿بَلَى﴾ إثبات لما بعد النفي، أي: بلى يبعثهم، و﴿وَعَدًا﴾ مصدر مؤكد لما

(١) في أ، ب، ج: اجتناب.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ج ٢: ٩٩.

دَلَّ عَلَيْهِ ﴿بَلَىٰ﴾، لَأَن ﴿يَبْعَثُ﴾ موعِد من الله. ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الْوَفَاءَ بِذَلِكَ الْوَعْدِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَيْهِ فِي الْحِكْمَةِ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَتَنَّهُمْ يَبْعَثُونَ، أَوْ أَنَّهُ وَعْدٌ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ مَوَاجِبِ الْحِكْمَةِ.

﴿لَيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ الضَّمِيرُ لَمْ ﴿مَنْ يَمُوتُ﴾ وَهُوَ عَامٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ.
وَالَّذِي ﴿اختلفوا﴾ فِيهِ ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ ﴿كذَّبُوا فِي قَوْلِهِمْ: لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾.

﴿قَوْلُنَا﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿أَن نَّقُولَ﴾ خَبَرُهُ، وَ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ مِنْ (كَانَ) التَّامَّةِ، أَيْ: إِذَا أَرَدْنَا وَجُودَ شَيْءٍ فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ نَقُولَ لَهُ: أَحْدَثْ فَهُوَ مُحْدَثٌ عَقِيبُ ذَلِكَ لَا يَتَوَقَّفُ، وَهَذَا مِثْلُ فِي أَنَّ مَرَاداً لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ وَجُودَهُ عِنْدَ إِرَادَتِهِ مِثْلُ وَجُودِ الْمَأْمُورِ بِهِ عِنْدَ أَمْرِ الْمَطَاعِ إِذَا وَرَدَ عَلَى الْمَأْمُورِ الْمَطِيعِ الْمِمْتَلِ، وَلَا قَوْلَ هُنَاكَ. وَقُرئ: فَيَكُونُ - بِالنَّصْبِ - عَطْفاً عَلَى ﴿نَقُولَ﴾.

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي
إِلَيْهِمْ فَمَنْ شَاءَ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ هُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، ظَلَمَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ فَفَرَّوْا
بَدِينَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَهَاجَرُوا بَعْضُهُمْ إِلَى الْحَبْشَةِ ثُمَّ بَعْدَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقِيلَ: (هُم)
الَّذِينَ كَانُوا مَحْبُوسِينَ بِمَكَّةَ بَعْدَ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَلِمَا خَرَجُوا تَبَعُوهُمْ

وردّوهم، منهم بلال وصهيب^(١) وعمار وخباب^(٢)^(٣).

﴿فِي اللَّهِ﴾ في حقّه ولوجهه.

﴿حَسَنَةً﴾ صفة لمصدر محذوف، أي: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ تبوئة حسنة، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ. ومعناه: إثواء حسنة، أي: لننزلهم في الدنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب، وقيل: لنبوتهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم الأنصار ونصروهم^(٤).

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الضمير للكفار، أي: لو علموا أنّ الله يجمع للمهاجرين الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم، ويجوز أن يكون الضمير للمهاجرين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك لزدادوا في اجتهادهم وصبرهم.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: هم الذين صبروا، أو أعني الذين صبروا، وكلاهما مدح، صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن وعلى الجهاد.

قالت قريش: الله لا يرسل إلينا بشراً مثلنا، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ على السنة الملائكة ﴿فَتَشَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ وهم أهل الكتاب ليعلموكم أنّه سبحانه لم يبعث إلى من تقدّم من الأمم إلا البشر، وقيل: إنّ أهل

(١) صهيب بن سنان الرومي، الصحابي المشهور، كان من السابقين إلى الإسلام، مات بالمدينة سنة ٣٨ هـ، وقيل سنة ٣٩ هـ. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ١٧٤، معجم رجال الحديث ج ٩: ١٤٧.

(٢) خباب بن الأرت التميمي، الصحابي الجليل، كان من السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وآله مات بالكوفة سنة ٣٧ هـ. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٤٢٣، معجم رجال الحديث ج ٧: ٤٧.

(٣) أسباب النزول: ١٩٦.

(٤) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ١٤: ٧٣.

الذكر: أهل القرآن، والذكر: القرآن^(١)، وقيل: أهل العلم^(٢). وعن الباقر عليه السلام: ((نحن أهل الذكر))^(٣).

﴿يَالْبَيْتِ﴾ يتعلّق بـ ﴿مَا أَرْسَلْنَا﴾ ويدخل تحت الاستثناء، أي: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبيّنات، كما تقول: ما ضربت إلا زيداً بالسوط، وأصله: ضربت زيداً بالسوط، أو يتعلّق بـ ﴿رِجَالًا﴾ صفة له، أي: رجالاً ملتبسين بالبيّنات، أو بـ ﴿نُوحِي﴾ أي: نوحى إليهم بالبيّنات، وقوله: ﴿فَتَسْلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [اعتراض]. ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ أي: القرآن، إنّما سمّي ذكراً لأنّه موعظة وتنبيه للغافلين.

﴿لَتُنِيبَنَّ لِلنَّاسِ مَا﴾ نزل الله ﴿إِلَيْهِمْ﴾ في الذكر^(٤) مما أمروا به ونهوا عنه إرادة أن يتفكروا فيستبهبوا.

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْفَىٰ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُيبِهِمْ
فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
رَحِيمٌ ﴿٥٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يُنْفَخُوا ظِلُّهُ، عَنِ
الْأَيْمَنِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
﴿٥٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦٠﴾

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١٤: ٧٥.

(٢) تفسير الماوردي ج ٣: ١٨٩.

(٣) الكافي ج ١: ٢١١، تفسير الطبري ج ١٤: ٧٥.

(٤) ساقطة من ج.

أي: ﴿مَكْرُؤًا﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾، يريد: أهل مكة وما مكروا به رسول الله ﷺ.

﴿فِي تَقْلِيهِمْ﴾ حال، أي: متقلبين في أسفارهم ومتاجرهم.

﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي: متخوفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا، أي: ﴿يَأْخُذُهُمُ﴾ العذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وقيل: معناه: على تنقص^(١)، أي: يأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا.

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث يحلم عنكم ولا يعذبكم عاجلاً.

وقرئ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، و﴿يَنْفَعِيوُا﴾ بالتاء والياء.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ ﴿مَا﴾ موصولة، وهو مبهم بيانه: ﴿مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوُا ظِلَّ اللَّهِ﴾.

و﴿الْيَمِينِ﴾ بمعنى الأيمان ﴿سُجَّداً﴾ حال من الظلال ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾

حال من الضمير في ﴿ظِلَّ اللَّهِ﴾ لآته في معنى الجمع، وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل، وجمع بالواو والنون لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب العقلاء. والمعنى: أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها، أي: عن جانبي كل واحد منها، مستعار من يمين الإنسان وشماله، أي: يرجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة الله، غير ممنعة عليه فيما سخرها له من التفوي، والأجرام في أنفسها - أيضاً - داخرة صاغرة منقادة لأفعال الله فيها.

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ بيان لـ ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ جميعاً، على أن في

السموات خلقاً لله يدبّون فيها، أو بيان لـ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ وحده، ويراد بـ ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ الملائكة، وكرر ذكرهم على معنى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خصوصاً من بين الساجدين لأنهم أعبد الخلق، أو يراد ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم، والمراد بسجود المكلفين: طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم^(١): انقيادها لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليه.

﴿يَخَافُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، أو استئناف لبيان نفي الاستكبار وتأكيده، لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته.

﴿مَنْ فَوْقَهُمْ﴾ إن تعلق بـ ﴿يَخَافُونَ﴾ فالمعنى: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم، وإن تعلق بـ ﴿رَبِّهِمْ﴾ فهو حال منه، أي: يخافون ربهم غالباً لهم قاهراً، كقوله: ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(٢).

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا مَا هُوَ إِلَهُ وَحْدَ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ
 (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ
 (٥٢) وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ
 تَجْتَرِعُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُمْ بِرَبِّهِمْ
 يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ فَيَتَمَنَّوْا فُسُوقَ تَعْلَمُونَ (٥٥)

﴿إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ هو تأكيد للعدد ودلالة على العناية به، ألا ترى أنك لو قلت: إنما هو إله، ولم تؤكد بواحد لم يحسن، وخيل أنك أثبت الإلهية لا الوحدانية. ﴿فَإِنِّي فَارْهَبُونَ﴾ نقل الكلام من الغيبة إلى التكلّم على طريقة الالتفات، لأن الغائب هو المتكلّم، ولأنّه أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومن أن

(١) ساقطة من ج.

(٢) الأعراف: ١٢٧.

يجيء ما قبله على لفظ التكلم.

و﴿الَّذِينَ﴾: الطاعة، ﴿وَاصِبًا﴾ حال عمل فيها الظرف، والواصب: الواجب الثابت، لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه، ويجوز أن يكون من الوصب، أي: وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفاً، أو وله الجزاء دائماً ثابتاً سرمداً لا يزال يعني: الثواب والعقاب.

﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعَمَةٍ﴾ أي: ما اتصل بكم من نعمة في النفس أو المال فهو من الله.

و﴿إِنِّي تَجْعَلُون﴾ أي: فما تتضرعون إلا إليه، والजूار: رفع الصوت بالدعاء. وقرئ: تجرون، بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ﴾ يجوز أن يكون الضمير في ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعَمَةٍ﴾ عاماً ويريد بالفريق فريق الكفرة، وأن يكون الخطاب للكفار، و﴿مِّنْكُمْ﴾ للبيان لا للتبعيض، كأنه قال: إذا فريق كافر وهم أنتم، ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر، كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾^(١).

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آٰنَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم، كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة.

﴿فَتَمَنَّوْاْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تخلية ووعيد، ويجوز أن يكون ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ و﴿فَتَمَنَّوْاْ﴾ من الأمر الوارد بمعنى الخذلان والتخلية، واللام لام الأمر.

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْتُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ

﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ
فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ
السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

أي: لما لا يعلمونها، يريد: آهتهم، لأنهم اعتقدوا فيها أنها تضر وتنفع
وتشفع وهي جاد، فهم إذا جاهلون بها، وقيل: الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للآلهة،
أي: لأشياء غير موصوفة بالعلم، أي: يتقربون إليها، ف﴿يَجْعَلُونَ﴾ لها ﴿نَصِيبًا﴾
في أنعامهم وزروعهم وهي لا تشعر بذلك.

﴿لَتَشْكُنَنَّ﴾ وعيد ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من الإفك في زعمكم أنها آلهة،
وأنها أهل للتقرب إليها.

زعموا أَنَّ الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه، أو
تعجب من قولهم.

﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين، ومحله نصب عطف على ﴿الْبَنَاتِ﴾ أي:
وجعلوا لأنفسهم ما يشتهونه من الذكور، أو رفع على الابتداء.

و﴿ظَلَّ﴾ بمعنى: صار، كما يستعمل أصبح وأمسى وبات بمعنى الصيرورة،
أي: صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ مريداً من الكآبة، فهو ﴿كَظِيمٌ﴾ مملوء حقناً على المرأة.
﴿يَتَوَرَّى﴾ يستخفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أجل ﴿سُوءِ﴾ البشر ﴿بِهِ﴾
ويحدث نفسه وينظر ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ﴾ هوان وذلل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ أي: يثده.
﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون الولد الذي هو عندهم بهذا المحل لله
تعالى، ويجعلون لأنفسهم من هو على العكس من هذه الصفة.

﴿مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ أي: صفة السوء، وهي الحاجة إلى الولد، أو صفة النقص من الجهل والعجز.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ وهو صفات الإلهية والغنى عن الصاحبة والولد، والنزاهة عن صفات المخلوقين.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ
الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَءَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنْتُمْ مُفْرِطُونَ
﴿١٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَآلِهِمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾

﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ أي: بكفرهم ومعاصيهم.

﴿عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض، أي: لأهلك الدواب كلها بشؤم ظلم الظالمين،
وقيل: ما ترك من دابة ظالمة تدب عليها^(١)، وعن ابن عباس: (من مشرك)^(٢).

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات ومن شركاء في
رئاستهم ومن الاستخفاف برسولهم، ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم
أكرمها ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكُذْبَ﴾.

(١) تفسير الماوردي ج ٣: ١٩٦.

(٢) الكشف ج ٢: ٦١٣.

﴿أَنْتَ لَهُمُ الْحَسْبُ﴾ بدل من ﴿الْكَذِبَ﴾، وهو قول قريش: لنا البنون، أو هو قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقاً فإن لنا الجنة.

﴿مُفْرَطُونَ﴾ قرئ مفتوح الراء ومكسورها، وبالتخفيف والتشديد، فالمفتوح بمعنى: مقدّمون إلى النار معجلون إليها، من أفرطت فلاناً وفرطته في طلب الماء، أي: قدّمته، وقيل: منسيون متروكون^(١)، من أفرطت فلاناً خلفي: إذا خلفته ونسيته. والمكسور المخفف من الإفراط في المعاصي، وبالتشديد من التفريط في الطاعات.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَوْمَ﴾ أي: فهو قريנם في الدنيا، جعل ﴿الْيَوْمَ﴾ عبارة عن زمان الدنيا، ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش، أي: زين ﴿الشَّيْطَانُ﴾ للكفار قبلهم ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم. ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ عطف على محل ﴿لِتَبَيَّنَ﴾.

﴿الَّذِي أَخْلَقُوا فِيهِ﴾ هو البعث، لأنّ بعضهم كان يؤمن به وأشياء من التحريم والتحليل.

﴿لَقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إنصاف وتدبر، لأنّ من لم يسمع بقلبه فكأنّه أصم.

وَأَنَّ لَكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نَتَّبِعُكَ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ۚ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمِرٍ
بَنَّا خَالِصًا سَابِعًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ
نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمَا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا

يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَيُنَكِّمُ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ إِلَيْكَ أَزْدِلِ الْعُمُرَ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

وقرئ: ﴿سُقِّيَكُمْ﴾ بفتح النون وضمها، هاهنا وفي (المؤمنون) ^(١) وهو استثناء، كأنه قيل: كيف العبرة؟ فقيل: نسقيكم ﴿يَمَّا فِي بَطُونِهِ﴾. وإذا ذكر ﴿الْأَنْعَامِ﴾ فعلى أن يكون اسماً مفرداً بمعنى الجمع، مثل نعم في قوله:

فِي كُلِّ عَامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَتَنْتَجُونَهُ ^(٢)

وإذا أنث فلائنه تكسير (نعم)، والمعنى: أنه سبحانه يخلق اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتفانه، وبينه وبينها برزخ من قدرة الله عز اسمه لا يشوبانه ولا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة، بل هو خالص من ذلك كله. ﴿سَائِغاً﴾ أي: سهل المرور في الحلق.

و﴿مِنْ﴾ الأولى للتبعض، لأن اللبن بعض ما في بطونه، والثانية لابتداء الغاية، لأن بين الفرث والدم مكان الاستقاء الذي منه يتبدئ.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ يتعلق بمحذوف، والتقدير: ونسقيكم من ثمرات النخيل ﴿وَالْأَنْعَابِ﴾ أي: من عصيرها، و﴿تَنْخِذُونَ مِنْهُ سَكراً﴾ بيان لكيفية الإسقاء، أو يتعلق ب﴿تَنْخِذُونَ﴾ وتكون ﴿مِنْهُ﴾ تكريراً للظرف للتوكيد، والهاء في ﴿مِنْهُ﴾ يعود إلى الثمرات، لأن الثمر بمعنى الثمرات، ويجوز أن يعود إلى موصوف محذوف و﴿تَنْخِذُونَ﴾ صفة له، والتقدير: ما تتخذون منه سكرًا،

(١) الآية: ٢١.

(٢) البيت لقيس بن حصين الحارثي. خزنة الادب ج ١: ٤١٢.

وتكون (ما) نكرة موصوفة، أو ثمر تتخذون منه سكرًا ﴿وَرَزَقًا حَسَنًا﴾ لأنهم كانوا يأكلون بعضها ويتخذون بعضها سكرًا. والسكر: الخمر وكل ما يسكر، سميت بالمصدر من سكر سكرًا وسكرًا، قال:

فَجَاؤُونَا بِهِمْ سَكْرَ عَلَيْنَا فَأَجَلَى الْيَوْمَ وَالسَّكَرَانُ صَاحِي^(١)

والرزق الحسن: ما هو حلال منها كالخلل والدبس والتمر والزبيب.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ أي: ألهمها وقذف في قلوبها وعلمها على وجه لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، فأن صنعتها الأنيقة ولطفها في تدبير أمرها والعجائب المركبة في طباعها شواهد بيّنة على أن الله سبحانه أودعها علماً بذلك.

﴿إِنِ اتَّخَذَى﴾ هي (أن) المفسرة، لأن الإيحاء فيه معنى القول، وقرئ: بيوتاً بكسر الباء لأجل الباء في جميع القرآن، و﴿يَعْرِشُونَ﴾ بضم الراء وكسرها، أي: ومن الكرم الذي يعرشونه، أي: يتخذون منه العريش، والضمير في ﴿يَعْرِشُونَ﴾ للناس. و﴿ين﴾ في جميعها للتبعيض، لأنها لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: من أي ثمرة شئت واشتيت، فإذا أكلتها ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل، أو إذا أكلت الثمار فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها. و﴿ذَلَّلَا﴾ جمع ذلول حال من ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾، لأن الله ذللها لها وسهلها، أو من الضمير في ﴿فَاسْلُكِي﴾ أي: وأنت ذلل منقادة لما أمرت به.

﴿وَيَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا سَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ يعني: العسل اختلفت ألوانه:

(١) أساس البلاغة: ٤٥٠ دون نسبة، وكذا في المصادر المتوفرة.

أبيض وأصفر وأحمر ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ لآته من جملة الأشفية والأدوية المشهورة، وتنكيره: إما لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو لأن فيه بعض الشفاء، وقال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا﴾ وإن كانت تلقيه من أفواهها كالريق، لثلا يظن أنه ليس من بطنها.

﴿إِلَّا أَزْدَى الْعُمُرِ﴾ أي: أخسّه وأحقّره، وهو خمس وسبعون سنة عن علي عليه السلام^(١)، وتسعون سنة عن قتادة^(٢)، لآته لا عمر أسوء حالاً من عمر الهرم.

﴿لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ليصير إلى حال شبيهة بحال الطفولة في النسيان، وأن يعلم شيئاً ثم ينسى فلا يعلمه إن سئل عنه، وقيل: لثلا يعلم زيادة علم على علمه.

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا
بِرَأْيِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

أي: جعلكم متفاوتين ﴿فِي الرِّزْقِ﴾ فرزقكم أفضل مما رزق ممالككم وهم بشر مثلكم، فأنتم لا تسوون بينكم وبينهم فيما أنعم الله به عليكم، ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم، فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيده له شركاء،

(١) التبيان ج ٦: ٤٠٥، تفسير الطبري ج ١٤: ٩٥.

(٢) معالم التنزيل ج ٢: ٢٠٩.

وتوجهوا العبادة والقرب إليهم كما توجهون ذلك إليه؟! وقيل: معناه: إن الموالي والماليك الله رازقهم جميعاً ﴿فَهُمْ سَوَاءٌ﴾ في رزقه ﴿سَوَاءٌ﴾ فلا يحسب الموالي أنهم يرزقونهم من عندهم، وإنما هو رزق الله أجراه إليهم على أيديهم، وقيل: معناه: فلم يرد الموالي فضل ما رزقوه على ماليكهم حتى يتساووا في المطعم والملبس. ويحكى عن أبي ذر: أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون))^(١)، فما رئي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت.

﴿أَفَنِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ فجعل ذلك من جملة جحود النعمة. وقرئ: ﴿يَجْحَدُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: من جنسكم.

﴿وَحَفْدَةً﴾ أي: خدماً وأعواناً. الصادق عليه السلام: ((هم أختان الرجل على بناته))^(٢). وقيل: هم أولاد الأولاد^(٣)، وهو جمع حافد، وحفد الرجل: أسرع في الطاعة والخدمة. وفي الدعاء: ((إليك نسعى ونحفد))^(٤).

﴿مِنْ اللَّطِيفَاتِ﴾ يعني: بعضها.

﴿أَيُّهَا الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ﴾ وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وشفاعتها ويكفرون ﴿بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ المشاهدة التي لا شبهة فيها، وقيل: يريد بنعمة الله: رسول الله ﷺ والقرآن والإسلام، أي: هم كافرون بها منكرون لها.

(١) سنن أبي داود ج ٤: ٣٤٢ ح ٥١٥٨، أمالي الشيخ الطوسي ج ٢: ١٨.

(٢) تفسير القمي ج ١: ٣٨٧.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٤: ٩٨.

(٤) المزار: ١٢١، مصنف عبد الرزاق ج ٣: ١١٩.

﴿رِزْقًا﴾ مصدر و﴿شَيْئًا﴾ منتصب به، كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ... يَتِيمًا... أَوْ مُسْكِينًا﴾^(١)، أي: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ أن يرزق شيئاً، ويجوز أن يكون بمعنى ما يرزق، فيكون ﴿شَيْئًا﴾ بدلاً منه بمعنى قليلاً.

و﴿مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صلة للرزق إن كان مصدراً، بمعنى: لا يرزق من السماوات مطراً ومن الأرض نباتاً، أو صفة إن كان اسماً لما يرزق.

والضمير في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لـ ﴿مَا﴾ لآته في معنى الآلهة بعدما قيل: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ على اللفظ، ويجوز أن يكون للكفار، أي: ولا يستطيعون مع أنهم أحياء شيئاً من ذلك فكيف بالجهاد؟!.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به، لأن من يضرب الأمثال]^(٢) يشبه حالاً بحال وقصة بقصة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ ما تفعلونه ويعاقبكم عليها ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ
مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْنُكُم لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

(١) البلد: ١٤، ١٦.

(٢) ساقطة من أ.

ذكر ﴿مَمْلُوكًا﴾ ليميز العبد من الحر لأنها من عباد الله.

و﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ موصوفة، أي: وحرراً رزقناه ليطابق ﴿عَبْدًا﴾، ويجوز أن تكون موصولة.

و﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ معناه: هل يستوي الأحرار والعبيد؟ وإذا كان القادر والعاجز لا يستويان، فكيف يسوّى بين الحجارة وبين الله القادر على ما يشاء الرازق جميع خلقه؟!.

الأبكم: الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم.

﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ أي: ثقل وعبال على من يلي أمره ويعوله.

﴿إِنَّمَا يُوجِّهُهُ﴾ حيثما يرسله في حاجة أو يصرفه في كفاية مهم لم ينفع ولم يأتٍ ﴿بنجح ولا يهتدي إلى منفعة﴾.

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ﴾ كان سليم الخواص نفاعاً كافياً ذا رشد وديانة فهو ﴿يَأْمُرُ﴾ الناس ﴿بِالْعَدْلِ﴾ والخير ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين قويم وسيرة صالحة.

وهذان مثالان ضربهما الله لنفسه ولما يفيضه على عباده من النعم الدينية والدنيوية، وللأصنام التي هي جماد وموات لا تنفع ولا تضر، وقيل: ضربهما الله مثلين للكافر والمؤمن^(١).

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يختص به علم ما غاب منهما عن العباد وخفي عليهم علمه.

﴿إِلَّا كَلِمَاتٍ أَتَّبَعُ﴾ أي: هو عند الله وإن تراخى، كما يقولونه في الشيء

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٤: ١٠٠.

الذي يستقربونه: هو كلمح البصر ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ إذا بالغتم في استقربه، ونحوه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١)، يعني: إنه عنده قريب دان وهو عندكم بعيد، وقيل: معناه: إن إقامة الساعة وإحياء جميع الأموات تكون في أقرب وقت وأوحاه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة. وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى خَمْسِينَ ﴿٨٠﴾

قري: ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ بضم الهمزة وكسرها في جميع القرآن.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ في موضع الحال، المعنى: غير عالين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في البطون، ويجوز أن يكون ﴿شَيْئًا﴾ مصدرًا، والمعنى: لا تعلمون علماً.

﴿وَجَعَلَ لَكُم﴾ أي: ورتب فيكم هذه الأشياء لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه، واكتساب العلم والعمل به من شكر المنعم وطاعته وعبادته.

وقري: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ بالياء والتاء.

﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المؤاتية لذلك، والجو: الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو، والسكاك واللوح أبعد منه.

﴿مَا يُمَسِكُهُنَّ﴾ في قبضهن وبسطهن ووقوفهن ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ جل جلاله.
 ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ التي تسكنونها من الحجر والمدر والخيام والأخبية.
 ﴿سَكَنًا﴾ هو فعل بمعنى مفعول، وهو ما يسكن إليه من بيت أو إلف^(١).
 ﴿بُيُوتًا﴾ هي القباب من الأدم والأنطاع.
 ﴿تَسَخَّرُونَهَا﴾ ترونها خفيفة المحمل ﴿رَبَّوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ أي: ارتحالكم من بلد إلى بلد. وقرئ بفتح العين وسكونها.

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ أي: تخف عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً.
 ﴿وَمَتْنًا﴾ أي: شيئاً ينتفع به ﴿إِلَّا حِينَ﴾ إلى أن تبلى، أو إلى أن تموتوا.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظُلُمًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ
 أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ
 تَقِيَكُمُ بَاسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ
 نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾
 وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ
 عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾

(١) الإلف: الأليف. (الصحاح: مادة ألف).

﴿مِمَّا خَلَقَ﴾ من الأشجار والأبنية أشياء تستظلون بها في الحر والبرد
 ﴿أَكْنَنَّا﴾ جمع (كن) وهو ما يستكن به من الغيران والبيوت المنحوتة في
 الجبال.

﴿سَرَبِيلَ﴾ أي: قمصاً من القطن والكتان والصوف وغيرها ﴿تَقِيَكُمْ
 الْحَرَّ﴾، ولم يذكر البرد لأن الوقاية من الحر عندهم أهم، ودلّ ذكر الحر على البرد.
 ﴿وَسَرَبِيلَ تَقِيَكُم بِأَسْكُكُمْ﴾ يريد الدروع والجواشن. والسربال عام
 يقع على كل ما كان من حديد أو غيره.

﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ﴾ تنظرون في نعمه الفاشية فتؤمنون به وتنقادون له.
 ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فلم يقبلوا منك فقد أعذرت وأدبت ما وجب عليك من
 التبليغ.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ التي عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله ﴿ثُمَّ
 يُنْكِرُونَهَا﴾ بعبادتهم غير الله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ الجاحدون، وقيل: نعمة الله:
 نبوة محمد ﷺ^(١) كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عناداً، وأكثرهم المنكرون بقلوبهم.
 ﴿شَهِيدًا﴾ وهو نبيها أو إمامها القائم مقامه يشهد لهم وعليهم بالإيمان
 والتصديق والكفر والتكذيب.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، والمعنى: لا حجة لهم، فدلّ
 بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يسترضون، أي: لا يقال لهم: أرضوا ربكم، لأن
 الآخرة ليست بدار تكليف.

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج ١٤: ١٠٥.

وانتصب ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ﴾ بمحذوف، والتقدير: واذكر يوم نبعث، أو: يوم نبعث وقعوا فيها وقعوا فيه.

وكذا قوله: ﴿وَلِذَا﴾ رأوا ﴿الْعَذَابَ﴾ أي: إذا رأوه ثقل عليهم ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ﴾.

وَلِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

﴿شُرَكَائُنَا﴾ أي: آلهتنا التي دعوناها شركاء.

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أي: قال الذين عبدوهم لهم بإنطاق الله إياهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في إنا أمرناكم بعبادتنا أو في قولكم: إنا آلهة.

﴿وَأَلْقَوْا﴾ يعني: الذين أشركوا ﴿السَّلَامَ﴾ أي: الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: بطل عنهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن الله شركاء وأنهم يشفعون لهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ﴾ بكونهم مفسدين للناس بصددهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: نبيهم الذي أرسل إليهم، أو الحجة الذي هو إمام عصرهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: أمتك.

﴿تَبَيَّنَا﴾ أي: بياناً بليغاً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدين، فما من شيء منها إلا وقد بين في القرآن: إما بالنص عليه، أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ، أو الحجج القائمين مقامه، أو إجماع الأمة، فيكون على هذا حكم جميعها مستفاداً من القرآن.

﴿يَا لَعَدْلٍ﴾ بالواجب من الإنصاف بين الخلق وغير ذلك.

﴿وَالْإِحْسَنِ﴾ وهو التفضل والندب، ولفظ الإحسان جامع لكل خير.

﴿وَأَيَّتَايَ ذِي الْقُرُوفِ﴾ وإعطاء الأقارب جميعاً حقهم وصلتهم، وقيل: هم قرابة النبي ﷺ^(١).

﴿وَيَتَنَحَّى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ أي: الفاحشة وهي ما جاوز حدود الله

﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما تنكره العقول ﴿وَالْبَغْيِ﴾ طلب التطاول بالظلم.

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ

فَوْقَ أَنْكَنَا نَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ
أُمَّةٌ مِنْ أَرَبَيْنِ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُكَنَّ
عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا نَتَّخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ
فَنَزَلَ فَأَذْهَبَ بِأَرْبَعَةٍ وَتَذَوَّقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

عهد الله: هو البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام والإيمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(١).

﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ البيعة ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد توثيقها باسم
الله، وأكد ووكد لغتان، والأصل: الواو والهمزة بدل منه.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْلًا﴾ رقيباً وشاهداً، لأن الكفيل يراقب
حال المكفول به ويراعيه.

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ في نقض الأيمان كالمرأة ﴿الَّتِي﴾ غزلت ثم ﴿نَقَضَتْ
غَزْلَهَا﴾ بعد إبرامه وإحكامه فجعلته ﴿أَنْكَنَا﴾ جمع نكث، وهو ما ينكث
فتله، وهي ريطة بنت سعد بن تيم بن مرة من قريش، كانت تغزل مع جواربها إلى
انتصاف النهار ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن.

﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ بسبب أن تكون أمة، يعني: جماعة قريش ﴿هِيَ أَرَبَيْنِ مِنْ
أُمَّةٍ﴾ أي: أزيد عدداً وأوفر مالاً من أمة من جماعة المؤمنين.

﴿إِنَّمَا يَبُلوْكُمْ اللَّهُ بِهٖ﴾ الضمير لقوله: ﴿أَن تَكُوْبَ أُمَّةٌ﴾ لآنه في معنى المصدر، أي: إِنَّمَا يَخْتَبِرُكُمْ بِكُونِهِمْ أَرَبِي لِيَنْظُرَ أَتَوْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَبِيعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْ تَغْتَرُونَ بِكَثْرَةِ قَرِيْشٍ وَقُوَّتِهِمْ وَثُرُوْتِهِمْ وَقِلَّةِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَضَعْفِهِمْ وَفَقْرِهِمْ.

﴿وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وعيد وتحذير من مخالفة الرسول ﷺ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مسلمة مؤمنة ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهو أن يخذل من علم أنه يختار الضلال والكفر، ويلطف بمن علم أنه يختار الإيمان، يعني: إنه بنى الأمر على الاختيار لا على الإيجاب، وحقق ذلك بقوله: ﴿وَلِتَسْتَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان ﴿دَخَلًا﴾ بينهم، تأكيداً عليهم، والدخل: أن يكون الباطن خلاف الظاهر، فيكون داخل القلب على الكفر والظاهر على الوفاء. ﴿فَنَزَلَ قَدَمٌ﴾ أي: فنزل أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ بُيُوتِهَا﴾ عليها، وإنها وحدث القدم ونكرت لاستعظام أن نزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة.

﴿وَتَذُقُوا لِسْوَةَ﴾ في الدنيا بصدودكم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أو بصدكم غيركم عنها، لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاحتدوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ﴿وَلَكُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة. الصادق عليه السلام: ((نزلت هذه الآية في ولاية علي عليه السلام والبيعة له حين قال النبي ﷺ: سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين))^(١).

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ
 إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
 بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ
 مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ
 الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ
 يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿وَلَا﴾ تستبدلوا ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وبيعة رسول الله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضاً
 يسيراً من الدنيا ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب على الوفاء بالعهود ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾
 وأشرف ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الفرق بين الخير والشر.
 ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من متاع الدنيا ﴿يَنْفَدُ﴾ أي: يفتنى. وقرئ: لنجزين بالياء
 والنون.

﴿حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا، وهو الظاهر لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾، وعده
 الله ثواب الدنيا والآخرة، وعن ابن عباس: (الحياة الطيبة: الرزق الحلال)^(١)، وعن
 الحسن: (القناعة)^(٢)، وقيل: يعني في الجنة^(٣)، ولا يطيب لمؤمن حياة إلا في الجنة.
 ولما ذكر العمل الصالح وثوابه وصل به قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ

(١) تفسير الطبري ج ١٤: ١١٤.

(٢) تفسير الطبري ج ١٤: ١١٥.

(٣) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ١٤: ١١٥.

يَاَ اللَّهِ ﴿ ليعلم أَنَّ الاستعاذة من جملة العمل الصالح، يعني: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعد، كقوله: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾^(١) وكما تقول: إذا أكلت فسم الله، وإنما عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل، لأنَّ الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل.

﴿ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ ﴾ أي: تسلط على أولياء الله، يعني: أنهم لا يقبلون منه ما يريد منهم ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى ﴾ من يتولاه ويطيعه.

﴿ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ الضمير في ﴿ بِهِ ﴾ يرجع إلى ﴿ رَبِّهِمْ ﴾، ويجوز أن يرجع إلى ﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ أي: بسببه مشركون.

وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ
فَالَوْأَ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ
الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا
يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا
لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا
يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾

تبديل الآية ﴿ مَكَانَ ﴾ الآية هو النسخ.

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ فينزل في كل وقت ما توجهه المصلحة، وما كان مصلحة أمس جاز أن يصير مفسدة اليوم وخلافه مصلحة، وهو سبحانه عالم بالمصالح كلها.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ أي: كاذب تأمر أمس بأمر واليوم بخلافه.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جواز النسخ، وآته من عند الله لجهلهم.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني: جبرئيل، أضيف إلى ﴿الْقُدُسِ﴾ وهو الطهر كقولهم: حاتم الجود، وزيد الخير، والمراد: الروح المقدس، وحاتم الجواد، وزيد الخير. والمقدس: المطهر من المآثم. وفي ﴿يُنَزَّلُ﴾ و﴿نَزَّلَهُ﴾ من المعنى آته نزله شيئاً بعد شيء على حسب المصالح، وفيه إشارة إلى أن التبديل أيضاً من باب المصالح.

﴿بِالْحَقِّ﴾ في موضع الحال من الهاء في ﴿نَزَّلَهُ﴾ أي: ملتبساً بالحكمة، يعني: أن النسخ من جملة الحق.

﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بما فيه من الحجج والبيّنات فيزدادوا تصديقاً ويقولوا: هو الحق من ربنا.

﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾ معطوفان على محلّ ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ والتقدير: تثبيتاً لهم وهداية وتبشيراً.

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ قالوا: يعلمه غلام رومي كان لحويطب بن عبد العزى اسمه: عايش أو يعيش، أسلم وحسن إسلامه وكان صاحب كتاب، وقيل: هو سلمان الفارسي^(١) قالوا: إنه يتعلم القصص منه.

﴿لَسَاتُ الَّتِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ أي: لغة الذي يضيفون إليه التعليم ويميلون إليه القول أعجمية، من ألحد القبر ولحده فهو ملحد وملحد: إذا أمال حفره عن الاستقامة، ثم استعير ذلك لكل إمالة عن استقامة، فقالوا: ألحد

(١) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ١٤: ١٢٠.

فلان في قوله، وألحد في دينه.

﴿وَهَذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لِسَانٌ عَكْرُوثٌ مُّثَبِّتٌ﴾ ذو بيان وفصاحة. وقرئ: يلحدون بفتح الباء والحاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِتَايَاتِ اللَّهِ﴾ أي: يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ لا يلفظ بهم ويخذهم.

﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ﴾ رد لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾، أي: إِنَّمَا يَلِيْقُ افتراء الكذب بمن لا يؤمن بالله، لأنَّ الإيْمان يمنع من الكذب.

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ
اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٧﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ لَنْ يَسْمَعُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴿١١٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
مِنْ بَعْدِ مَا فِتْنُوا ثُمَّ جَنَحُوا بِصَبْرٍ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾

﴿مَنْ كَفَرَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِتَايَاتِ اللَّهِ﴾، والمعنى: إِنَّمَا يَفْتَرِي الكذب ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ واستثنى منهم المكره. ويجوز أن ينتصب على الذم، أو يكون شرطاً مبتدأً محذوف الجواب، لأنَّ جواب ﴿مَنْ شَرَحَ﴾ يدلُّ عليه، كأنه قيل: من كفر بالله فعليهم غضب من الله، إلا من أكره. وروي: أَنَّ أَنَاسًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ارْتَدَّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ أَكْرَهَ فَأَجْرَى كَلِمَةً

الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم عمار وأبواه ياسر وسمية، وصهيب وبلال وخباب، وقتل أبو عمار وأمه فأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا، فقال قوم من المسلمين: كفر عمار، فقال رسول الله ﷺ: ((كلا، إنَّ عماراً ملئُ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. وجاء عمار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال له: ما وراءك؟ قال: شرَّ يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آهتهم بخير، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول: مالك، إن عادوا لك فعد لهم بها قلت))^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الوعيد بسبب استحبابهم ﴿الَّذِينَ عَلَى الْآخِرَةِ﴾ واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم.

﴿أُولَئِكَ هُمْ﴾ الكاملون في الغفلة فلا أحد أغفل منهم، إذ غفلوا عن تدبر عاقبة حالهم في الآخرة وذلك غاية الغفلة.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه، ومعنى إِنَّ رَبَّكَ لَهُمْ: إِنَّهُ لَهُمْ لَا عَلَيْهِمْ، بمعنى: إِنَّهُ وَلِيهِمْ وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم. وقيل: إِنَّ خَيْرَ ﴿إِنَّ﴾ قوله: ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وهذا من باب ما جاء في القرآن تكرير ﴿إِنَّ﴾، وكذلك الآية التي فيها بعد: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ يَجْهَلُونَ...﴾.

﴿مَنْ بَعْدَ مَا فِتْنُوا﴾ أي: عَذَّبُوا فِي اللَّهِ وَأَكْرَهُوا عَلَى الْكُفْرِ فَأَعْطَوْهُمْ بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم.

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ
 بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً
 كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
 فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ
 بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ
 فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِنْ
 رِزْقِكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
 إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ
 الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لِيغْيِرَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بِلَاغٍ وَلَا عَادٍ
 فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

انتصب ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ بـ ﴿رَحِيمٌ﴾ أو بـ (اذكر)، والمعنى: يوم يأتي ﴿كُلُّ﴾
 إنسان يجادل ﴿عَنْ﴾ ذاته لا يهيمه غيرها، كل يقول: نفسي نفسي. ومعنى المجادلة:
 الاحتجاج عنها والاعتذار لها، كقولهم: ﴿هُؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾^(١) ونحو ذلك.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي: جعل القرية التي هذه صفتها مثلاً لكل قوم
 أنعم الله عليهم فبطروا وكفروا النعمة وتولوا، فأنزل الله بهم العذاب والنقمة.
 ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ أي: قارة ساكنة لا يزعجها خوف أو ضيق.

﴿رَغَدًا﴾ أي: واسعاً، وسمي أثر ﴿الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ لباساً لأن أثرهما
 يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس، وقيل: لأنه شملهم الجوع والخوف كما يشمل
 اللباس البدن، فكانته قال: فأذاقهم ما غشيهم وشملهم من الجوع والخوف^(٢).

(١) الأعراف: ٣٨.

(٢) الكشف: ٢: ٦٣٩.

وقيل: هذه القرية هي مكة^(١) عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا القد والعلهز - وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ويؤكل - وكانوا مع ذلك خائفين من النبي ﷺ وأصحابه يغيرون على قوافلهم، وذلك حين دعا عليهم [فقال: ((اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم^(٢) سنين كسني يوسف))^(٣)].

﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ في موضع الحال.

ثم خاطب المؤمنين بقوله: ﴿فَكُلُوا﴾ أي: كلوا ﴿وَمِمَّا﴾ أعطاكم ﴿اللَّهُ﴾ من الغنائم وأحلها لكم، وما بعده مفسر في سورة البقرة^(٤).

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ
وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى
الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا
الْشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ
مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

يجوز أن تكون (ما) موصولة، ويتنصب ﴿الْكَذِبَ﴾ بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾، والمعنى: ولا تقولوا الكذب ﴿لِمَا﴾ تصفه ﴿أَلْسِنَتُكُمُ﴾ من البهائم بالحل والحرمة في قولكم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٤: ١٢٥.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) صحيح البخاري ج ١: ١٤٥، قرب الاسناد: ١٨٤.

(٤) الآية ١٧٢، ١٧٣.

أَزْوَاجِنَا^(١). واللام مثلها في قولك: ولا تقولوا لما أحلّ الله: هو حرام، وقوله: ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بدل من ﴿الْكَذِبَ﴾. ويجوز أن تكون (ما) مصدرية، ويتصب ﴿الْكَذِبَ﴾ بـ ﴿تَصِفُ﴾، والمعنى: ولا تقولوا: هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم [الكذب، أي: لا تحرموا ولا تحلّوا لأجل قول كذب نطقت به ألسنتكم]^(٢) لا لأجل حجة، ﴿لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ﴾ في إضافة التحريم والتحليل إليه، واللام في ﴿لِنَفْتَرُوا﴾ من التعليل الذي لا يتضمّن معنى الغرض.

﴿مَنْعٌ قَلِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم.

﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يعني في سورة الأنعام^(٣).

﴿بِمَجْهَلَةٍ﴾ في موضع الحال، أي: ﴿عَمِلُوا السُّوءَ﴾ جاهلين غير متدبرين للعاقبة.

﴿مَنْ بَعْدَهَا﴾ أي: من بعد التوبة أو الجهالة.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾
شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ وَمَآ تَبَيَّنَتْ
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّمَا
جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَكْمُرُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٣٤﴾

(١) الأنعام: ١٣٩.

(٢) ساقطة من أ.

(٣) الآية: ١٤٦.

﴿كَانَ أُمَّةٌ﴾ أي: كان وحده أمة من الأمم لكمالها في صفات الخير، وعن مجاهد: (كان مؤمناً وحده منفرداً في دهره بالتوحيد والناس كفار)^(١)، وعن قتادة: (كان إمام هدى وقدوة يؤتم به)^(٢).

﴿فَإِنَّا﴾ مطيعاً ﴿لِلَّهِ﴾ دائماً على عبادته ﴿حَنِيفًا﴾ مستقيماً في الطاعة، مائلاً إلى الإسلام غير زائل عنه.

﴿وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تكذيب لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم.

﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ يعني: لأنعم الله تعالى معترفاً بها. روي: أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف^(٣).

[﴿أَجْتَنَّهُ﴾ اختصه واصطفاه للنبوة ﴿وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى ملة الإسلام]^(٤).

﴿حَسَنَةً﴾ عن قتادة: (هي تنويه الله باسمه وذكره حتى أنه ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه)^(٥)، وقيل: هي النبوة^(٦)، وقيل: هي قول المصلي منا: كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم^(٧).

(١) الدر المنثور ج ٤: ١٣٤.

(٢) الدر المنثور ج ٤: ١٣٤.

(٣) العرائس: ٦١.

(٤) ساقطة من أ، ب، ج.

(٥) تفسير الطبري ج ١٤: ١٣٠.

(٦) الكشف والبيان ج ٦: ٥٠.

(٧) عن مقاتل بن حيان. معالم التنزيل ج ٢: ٢١٦.

﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من أهل الجنة، وناهيك بهذا ترغيباً في الصلاح.
 ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وفي ﴿ثُمَّ﴾ هذه تعظيم لمنزلة رسول الله ﷺ، وإعلام بأن أفضل ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع نبيتنا ﷺ ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها.
 [﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾] ^(١) المعنى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ﴾ وبال ﴿السَّبْتُ﴾ وهو المسخ ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فأحلوا الصيد فيه تارة وحرّموا أخرى، وكان الواجب عليهم أن يحرموه على كلمة واحدة ويتفقوا فيه.

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم
 بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
 وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ^(١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا
 عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ^(١٢٦) وَأَصْبِرْ
 وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ
 مِمَّا يَمْكُرُونَ ^(١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
 مُحْسِنُونَ ^(١٢٨)

﴿أَدْعُ إِلَى﴾ دين ﴿رَبِّكَ﴾ الذي هو [طريق إلى مرضاته ﴿بِالْحُكْمَةِ﴾
 بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي] ^(٢) الدليل الموضح للحق، وقيل: بالقرآن ^(٣).
 ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ وهي التي لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بها
 وتنفعهم فيها.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ساقطة من أ.

(٣) تفسير الطبري ج ١٤: ١٣١.

﴿وَحَدِّ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة وعنف ليكونوا أقرب إلى الإجابة.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ وإن أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة فعاقبوه بقدر ﴿مَا عَوْقَبْتُمْ بِهِ﴾ ولا تزيدوا عليه، وسمى الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة. وكان المشركون قد مثلوا بقتل أحد وبحمزة بن عبد المطلب، أخذت هند كبده فجعلت تلوكه، وجدعوا أنفه وأذنه، فقال المسلمون: لئن أمكننا الله منهم لتمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات، فنزلت^(١).

﴿لَهُوَ خَيْرٌ﴾ الضمير يرجع إلى الصبر وهو مصدر ﴿صَبْرْتُمْ﴾، ويراد بـ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ المخاطبون، والمعنى: ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون، ويجوز أن يراد جنس الصابرين، أي: الصبر خير للصابرين.

﴿وَأَصْبِرْ﴾ أنت يا محمد فيما تلقاه من الأذى ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا﴾ بتوفيق الله وتثبيتته.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المشركين في إعراضهم عنك، أو على قتلى أحد فإن الله تعالى نقلهم إلى كرامته.

وقرئ: في ضيق بفتح الضاد وكسرها، أي: لا يضيقن صدرك من مكرهم. ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: هو ولي الذين اتقوا الشرك والكبائر وولي ﴿الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ في أعمالهم.

سورة الإسراء

مكية، وهي مائة وإحدى عشرة آية كوفي، عشر في غيرهم، عدّ الكوفي ﴿لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة بني إسرائيل) فرق قلبه عند ذكر الوالدين أعطي في الجنة قنطارين من الأجر))^(١)، الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل ليلة جمعة لم يموت حتى يدرك القائم، ويكون من أصحابه))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ، لِزَيَّهِ، مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ① وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي
إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ② ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا
مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ③

﴿سُبْحَنَ﴾ علم للتسبيح [كعثمان للرجل]^(٣)، وانتصابه بفعل مضمر ترك

(١) الكشف والبيان ج ٦: ٥٤.

(٢) تفسير العياشي ج ٢: ٢٧٦.

(٣) ساقطة من أ، ط.

إظهاره، والتقدير: أَسْبَحَ الله سبحانه، ثُمَّ نَزَلَ ﴿سُبْحَانَ﴾ منزلة الفعل فسدَّ مسدّه، ودلّ على التنزيه البليغ من جميع القبائح.

و﴿أَسْرَى﴾ وسرى بمعنى، ونَكَرَ قوله: ﴿يَتْلَا﴾ لتقليل مدة الإسراء، وأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ [بعض]^(١) ليلة من جملة الليالي من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وقد عرج به إلى السماء من بيت المقدس في تلك الليلة، وبلغ البيت المعمور وبلغ سدره المنتهى، وقيل: إِنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةٍ^(٢).

و﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس، لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حِينَئِذٍ وَرَاءَهُ مَسْجِدٌ.

﴿نَرَكُنَا حَوْلَهُ﴾ يريد بركات الدين والدنيا، لَأَنَّهُ مُتَعَبِدُ الْأَنْبِيَاءِ وَمُهَبِّطُ الْوَحْيِ، وَهُوَ مُحْفُوفٌ بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُثْمَرَةِ.

﴿لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأُنْزِلَ﴾ العجيبة التي منها إسرائؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هناك، والعروج به إلى السماء، ورؤية الأنبياء، والبلوغ إلى البيت المعمور وسدره المنتهى. وروى: أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ وَحَدَّثَ بِذَلِكَ قَرِيشًا كَذَّبُوهُ، وَفِيهِمْ مَنْ سَافَرَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَاسْتَنْعَوْهُ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَجَلِيَ لَهُ فَطْفُقٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْعَتُهُ لَهُمْ حَتَّى وَصَفَ جَمَلَتَهُ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ: أَخْبَرْنَا عَنْ عَيْرِنَا، فَأَخْبَرَهُمْ بَعْدَ جَاهِلِهَا وَأَحْمَالِهَا، وَقَالَ: يَقْدُمُهَا جَلُّ أَوْرُقٍ^(٣)، وَيَطْلُعُ عَلَيْكُمْ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَخَرَجُوا يَشْتَدُونَ نَحْوَ الثَّانِيَةِ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: هَذِهِ وَاللَّهِ الشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ، وَقَالَ آخَرُ: هَذِهِ وَاللَّهِ الْإِبِلُ قَدْ أَقْبَلَتْ يَقْدُمُهَا جَلُّ أَوْرُقٍ كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا وَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ^(٤).

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ ق ١٤٣.

(٣) الأورق من الإبل: الذي في لونه بياض إلى سواد. (الصحاح: مادة ورق).

(٤) الكشف والبيان ج ٦: ٦٨.

وقري: ألا يتخذوا - بالياء - على: لئلا يتخذوا، وبالتاء على: أن لا تتخذوا، كقولك: كتبت إليه أن افعل كذا.

﴿وَكَيْلًا﴾ أي: معتمداً تكونون إليه أموركم.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ نصب على الاختصاص، وقيل: على النداء في قراءة من قرأ: لا تتخذوا - بالتاء - على النهي، والمعنى: قلنا لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلًا يا ذرية من حملنا مع نوح، أو لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلًا، فيكون ﴿وَكَيْلًا﴾ موحد اللفظ مجموع المعنى، كرفيق في قوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١)، أي: لا تجعلوهم أرباباً.

ومن ذرية من حل مع نوح عزيز وعيسى، ذكرهم سبحانه نعمته في إنجاء آبائهم من الغرق بحملهم في السفينة.

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: إن نوحاً ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر. روي عن الباقر والصادق عليه السلام: ((أنه كان إذا أصبح وأمسى قال: اللهم إني أشهدك أن ما أصبح أو أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها علي حتى ترضى وبعد الرضا، فهذا كان شكره))^(٢).

وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَرَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَثِيرًا ۖ ﴿١﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۖ ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَ أَحْسَنَتِهِ

(١) النساء: ٦٩.

(٢) علل الشرائع ج ١: ٢٩.

لِأَنْفُسِكُمْ^٦ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئَرُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيَسْزِفُوا مَا عَلَوُا تَنْبِيْرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِمَ
عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

أي: أوحينا ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وحياً مقضياً مقطوعاً بأنهم يفسدون ﴿فِي
الْأَرْضِ﴾ لا محالة، ويعلمون أي: يتعظمون ويبغون، والمراد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ التوراة.
وقوله: ﴿لِنُفْسِدَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، أو يكون القضاء المقطوع به
جارياً مجرى القسم فيكون ﴿لِنُفْسِدَنَّ﴾ جواباً له، فكأنه قال: أقسمنا لتفسدن
﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أولاهما: قتل زكريا وحبس إرميا حين أنذرهم سخط الله، والآخرى:
قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى.

﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ وعن علي^{عليه السلام}: عبيداً لنا، وهم سنحاريب وجنوده، وقيل:
بختنصر^(١)، فقتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وقتلوا سبعين ألفاً
منهم وسبوا سبعين ألفاً.

ومعنى قوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾: خَلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم،
فهو كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، وأسند
الجوس إليهم وهو التردد ﴿خِلَالِ الدِّيَارِ﴾ بالفساد، وتخريب المسجد وإحراق
التوراة من جملة الجوس.

وقوله: ﴿وَعَدْنَا أُولَئِهِمَا﴾ معناه: وعد عقاب أولاهما ﴿وَكَانَ﴾ وعد العقاب

(١) عن ابن اسحاق. معالم التنزيل ج ٢: ٢٢٥.

(٢) الأنعام: ١٢٩.

﴿وَعَدًا﴾ لا بد أن يفعل.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم، وأظهرناكم عليهم وأكثرنا أموالكم وأولادكم.

﴿وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أكثر عدداً من أعدائكم، وهو جمع نفر كالمعيز والعبيد، وقيل: النفير: من ينفر مع الرجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ فالإحسان مختص بـ ﴿أَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ فالإساءة مختصة بها، لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم. وعن علي عليه السلام: ((ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلا هذه الآية))^(١).

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيُسْتَوْأَ وَجُوهُكُمْ﴾ حذف لدلالة ذكره أولاً عليه، والمعنى: ليجعلوا وجوهكم تبدو آثار المساء والكآبة فيها. وقرئ: لِيُسْوَأَ، والضمير لله أو للوعد أو للبعث، ولنسوء. بالنون..

وقوله: ﴿مَا عَلَوْا﴾ محله نصب بآته مفعول ﴿وَلِيُسْتَبْرَأَ﴾ أي: ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه، ويجوز أن يكون بمعنى: مدة علوهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَلِنْ عُدَّتُمْ﴾ مرة أخرى ثالثة ﴿عُدْنَا﴾ إلى عقوبتكم، وقد عادوا فأعاد الله عليهم النعمة بتسليط الأكاسرة عليهم، وقيل: بيعث محمد ﷺ، فالمؤمنون يأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة^(٢). والحصير: السجن.

(١) تنبيه الغافلين: ١٣٦.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٥: ٣٥.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ
بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحُونًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً
لِنَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ
وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

﴿يَهْدِي﴾ للملة ﴿الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ المثل، أو للطريقة أو للحالة التي هي
أشد استقامة.

وعطف قوله: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ على ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ على
معنى: أَنَّهُ ﴿يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ببشارتين: بثوابهم وبعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ﴾ ربه عند غضبه ﴿بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله وماله كما يدعوه
لهم ﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا
يتأني فيه.

﴿آيَتَيْنِ﴾ أي: داليتين تدلان على وحدانية خالقهما، لما في كل واحد منهما من
الفوائد، فكل واحد من ﴿الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ آية في نفسه، وعلى هذا فيكون إضافة ﴿آيَةٍ﴾
إلى ﴿الَّيْلِ﴾ و﴿النَّهَارِ﴾ للتبيين كإضافة العدد إلى المعداد، أي: ﴿فَمَحُونًا﴾ الآية التي
هي الليل ﴿وَجَعَلْنَا﴾ الآية التي هي النهار ﴿مُبْصِرَةً﴾. وقيل: إِنَّ المراد: وجعلنا
نيري الليل والنهار آيتين، يعني: الشمس والقمر فمحونا آية الليل، أي: فجعلنا
الليل محو الضوء مظلمًا، وجعلنا النهار مبصرًا يبصر فيه الأشياء، أو فمحونا آية
الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعًا كشعاع الشمس، وجعلنا الشمس

ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء.

﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتتوصلوا بياض النهار إلى التصرف في معاشكم وطلب أرزاقكم.

﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ باختلاف الليل والنهار ﴿عَدَدَ اللَّيْلِ﴾ والشهور وجنس ﴿الْحِسَابِ﴾ وآجال الديون وغير ذلك، ولولاها لم يعلم شيء من ذلك، ولتعطلت الأمور.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّاهُ نَفْصِيًّا﴾ بيّناه بياناً غير ملتبس، وميّزناه تمييزاً بيّناً غير خاف.

وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمَتُهُ لَطِيئَتُهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ
حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ
نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

﴿لَطِيئَتُهُ﴾ عمله، وقيل: هو من قولك: طار له سهم: إذا خرج، يعني: لزمنه ما طار من عمله، يريد: أن عمله له لازم لزوم القلادة أو الغل العنق لا ينفك عنه، كما قيل في المثل: (تقلدها طوق الحمامة) ^(١). وقرئ: ونخرج له - بالنون -، ويخرج له - بالياء - والضمير لله عز وجل، ويخرج على البناء للمفعول، ويخرج من خرج، والضمير للطائر أي: يخرج الطائر ﴿كِتَابًا﴾. وانتصب ﴿كِتَابًا﴾ على الحال.

وقرئ: يُلْقَاهُ - بالتشديد - على البناء للمفعول. و﴿يُلْقَنُهُ مَنْشُورًا﴾ صفتان لكتاب، أو ﴿يُلْقَنُهُ﴾ صفة، و﴿مَنْشُورًا﴾ حال من ﴿يُلْقَنُهُ﴾.

﴿أَقْرَأْ﴾ على إرادة القول، وعن قتادة: (يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً)^(١).

و﴿تَنْفِسِكَ﴾ في محلّ الرفع فاعل ﴿كَفَى﴾، و﴿حَسِيبًا﴾ تمييز، وهو بمعنى حاسب، كضرب القداح بمعنى ضاربها.

و﴿عَلَيْكَ﴾ يتعلّق به من قولهم: حسب عليه كذا، ويجوز أن يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي به (على)، لأنّ الشاهد يكفي المدعي ما أمّته، وذكر ﴿حَسِيبًا﴾ لأنّه بمنزلة الشهيد والقاضي، والأغلب أنّ ذلك يتولاه الرجال، فكأنه قال: كفى بنفسك رجلاً حسيباً، أو تأوّل النفس بالشخص، كما يقال: ثلاثة أنفس.

﴿وَلَا نَزْرُ وَإِزْدَرٌّ وَزَرٌ أُخْرَى﴾ أي: كل نفس حاملة وزرها ولا تحمل وزر نفس أخرى.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ وما صحّ منا في الحكمة أن نعذب قوماً إلا بعد أن ﴿تَبَعَتْ﴾ إليهم ﴿رُسُولًا﴾ فنلزمهم الحجة.

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ رِبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ

جَهَنَّمَ يَصْلَحْنَهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ
مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا
كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۚ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ۚ آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُورًا ﴿٢٢﴾

المعنى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ﴾ أهل ﴿قَرْيَةً﴾ بعد قيام الحجة عليهم وإرسال
الرسول إليهم ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المتنعمين فيها بالإيمان والطاعة توكيداً للحجة عليهم
﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ بالمعاصي.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ أي: فوجب حيثنذ على أهلها الوعيد فأهلكناها إهلاكاً،
وإنها خصص المترفين - وهم الرؤساء - بالذكر لأن غيرهم تبع لهم، وقيل: معناه: كثرتنا
مترفيها^(١)، فيكون من باب أمرته فأمر، أي: كثرت فكثر، مثل: بشرته فبشر. وفي
الحديث: ((خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة))^(٢) أي: كثيرة التناج. وقرئ:
أمرنا، أي: أفعلنا، من أمر وأمره غيره، وأمرنا بمعناه، أو من أمر إمارة وأمره الله،
أي: جعلناهم أمراء وسلطانهم.

و ﴿كَمْ﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ تبين لـ ﴿كَمْ﴾ وتغيز له،
يعني: عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً.

﴿مَنْ﴾ كانت ﴿أَلْعَاجِلَةَ﴾ وهي النعم الدنيوية همته ولم يرد غيرها تفضلنا
عليه بـ ﴿مَا نَشَاءُ﴾ منها ﴿لَمَنْ نُرِيدُ﴾ فقيد الأمر بقيدتين: أحدهما: تقييد المعجل

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ١٥: ٤٣.

(٢) معاني الأخبار: ٢٧٨، معجم الطبراني الكبير ج ٧: ٩١.

بالمشيئة، والثاني: تقييد المعجل له بإرادته. وقوله: ﴿لَمَنْ تُرِيدُ﴾ بدل من ﴿لَهُ﴾ بدل البعض من الكل، لأنّ الضمير في ﴿لَهُ﴾ يرجع إلى ﴿مَنْ﴾ وهو للكثرة، وقيل: هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمرائي والمنافق.

﴿مَذْهُورًا﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى.

﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: حقها من السعي، اشترط ثلاث شرائط في كون السعي ﴿مَشْكُورًا﴾: إرادة الآخرة، والسعي فيما كلف من الفعل والترك، والإيمان الصحيح؛ وشكر الله سعيه هو ثوابه على الطاعة.

﴿كُلًّا﴾ أي: كل واحد من الفريقين، والتنوين عوض من المضاف إليه.

نمذهم: نزيدهم من عطائنا، ونجعل الآنف منه مدداً للسالف لا نقطعه، فنرزق المطيع والعاصي جميعاً على وجه التفضل، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ وفضله ممنوعاً لا يمنع من عاص لعصيانه.

﴿أَنْظُرْ﴾ بعين الاعتبار ﴿كَيْفَ﴾ جعلناهم متفاوتين في التفضل، ودرجات الآخرة ومراتبها ﴿أَكْبَرُ﴾ والتفاوت فيها أكثر.

﴿فَنَقَعَدُ مَذْمُومًا﴾ يعني: أنك إذا فعلت ذلك بقيت ما عشت مذموماً على السنة العقلاء ﴿تَحْذُولًا﴾ لا ناصر لك، وقيل: معنى القعود: الذل والخزي والعجز لا الجلوس، كما يقال: قعد به الضعف.

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ
عِنْدَكَ الْكَبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا
نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا
جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

معناه: أمر ﴿رَبُّكُمْ﴾ أمراً مقطوعاً به.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾: (أن) بمعنى أي، و﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ نهي، أو يريد: بأن لا تعبدوا.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ أي: وأحسنوا بالوالدين ﴿إِحْسَنًا﴾، أو بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً.

﴿إِنَّمَا﴾ هي (إن) الشرطية زيدت عليها (ما) تأكيداً، ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل، و﴿أَحْذَهُمَا﴾ فاعل ﴿يَبْلُغَنَّ﴾. وقرئ: يَبْلُغَانِ، وعلى هذا فيكون ﴿أَحْذَهُمَا﴾ بدلاً من ألف الضمير، و﴿كِلَاهُمَا﴾ عطف على ﴿أَحْذَهُمَا﴾.

﴿أَوِّي﴾ صوت يدلّ على تضجر. وقرئ: أف، - بالتونين والكسر، - وأف - بالفتح. وكذلك في الأنبياء^(١) والأحقاف^(٢)، وقرأ أبو السمال^(٣): أف - بالضم.. فأما الكسر فعلى أصل البناء، وأما الفتح فتخفيف للضمّة والتشديد ك(ثم)، وأما الضم فللإتباع ك(منذ).

ومعنى قوله: ﴿يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾: أن يكبرا ويكونا كلاً على ولدهما لا كافل لهما غيره، فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه، وربّما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال صغره، فأمر بأن يستعمل معها

(١) الآية: ٦٧.

(٢) الآية: ١٧.

(٣) أبو السمال قنبل بن أبي قنبل العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢: ٢٧.

لين الجانب وخفض الجناح والاحتمال حتى لا يقول لهما - عند الضجر بما يستقدر
منهما أو يستثقل من مؤونتهما -: أف، فضلاً عما يزيد عليه.

ولقد بالغ عزّ وعلا في التوصية بهما حيث شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ثم
ضيق الأمر في البر بهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تدلّ على التضجر مع موجبات
الضجر. وعن الصادق عليه السلام: ((أدنى العقوق: أف، ولو علم الله شيئاً أهون من أف
لنهي عنه))^(١).

﴿وَلَا نَنْهَرُهُمَا﴾ أي: لا تزجرهما عما يفعلانه، ولا تمتنع من شيء أراده
منك.

﴿وَقُلْ لَهُمَا﴾ بدل التأنيف والنهر ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جيلاً كما يقتضيه
حسن الأدب، وقيل: هو أن يقول: يا أبتاه ويا أماه كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه مع
كفره: ﴿يَا أَبَتِ﴾^(٢)، ولا تدعوها بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب^(٣).

وفي ﴿جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون كإضافة حاتم إلى الجود
إذا قلت: حاتم الجود، أي: فاقض لهما جناحك الذليل. والآخر: أن تجعل لذلّه
جناحاً منخفضاً، كما جعل لبيد للشمال يداً وللقرّة زماماً في قوله:

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقَرَّةً قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّالِ زِمَامُهَا^(٤)

أراد المبالغة في التواضع والتذلل لهما.

﴿مَنْ أَرْحَمَهُ﴾ من فرط رحمتك لهما لكبرهما، ولا تكتف برحمتك عليها

(١) الكافي ج ٢: ٣٤٨.

(٢) مريم: ٤٢.

(٣) عن الحسن الدر المنثور ج ٤: ١٧١.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٧٦، وفيه: قد وزعت... إذ....

التي لا بقاء لها، بل ادع الله سبحانه بأن يرحمهما رحمة الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتها عليك في حال صغرك وتربيتكما لك. وفي الصحيح: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((رغم أنفه - ثلاث مرات - قالوا: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ولم يدخل الجنة))^(١). وعن حذيفة: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي قَتْلِ أَبِيهِ وَهُوَ فِي صَفِّ الْمَشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((دعه يليه غيرك))^(٢).

﴿يَمَّا فِي نَفْسِكَ﴾ بما في ضمايركم من البر والعقوق.
﴿إِنْ تَكُونُوا﴾ قاصدين إلى الصلاح والبر ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ﴾ أي: التوابين الراجعين إلى الله فيما يتوبهم ﴿عَفُورًا﴾.

وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا
(١٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ
كَفُورًا (١٧) وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَنِّيغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ
قَوْلًا مَيْسُورًا (١٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (١٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٢٠)

وصى سبحانه بغير الوالدين من القربات، وبأن يؤتى حَقُّهم بعد أن وصى بهما، وقيل: إنَّ المراد بذِي القربى: قرابة النبي^(٣). وعن أبي سعيد الخدري^(٤): (أَنَّهُ لَمَّا

(١) صحيح مسلم ج ٨: ٥.

(٢) الكشف ج ٢: ٦٦٠.

(٣) عن الأئمة ﷺ تفسير الطبري ج ١٥: ٥٣، تفسير العياشي ج ٢: ٢٨٧.

(٤) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري الخزرجي، الصحابي المشهور، أول مشاهده الخندق توفي سنة ٧٤ هـ. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ٤٧، معجم رجال الحديث ج ٨: ٤٨.

نزلت أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً^(١).

﴿وَالْمَسْكِينُ﴾ أي: وآت المسكين ﴿حَقَّهُ﴾ الذي جعله الله له من الزكاة، وآت ﴿ابْنِ السَّبِيلِ﴾ حَقَّهُ وهو المنقطع به من المجتازين.

﴿وَلَا تُبْذَرِ﴾ والتبذير: تفريق المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف. وعن مجاهد: (لو أنفق مدّاً في باطل كان تبذيراً، ولو أنفق جميع ماله في الحق لم يكن مبدراً)^(٢). ومَرَّ رسول الله ﷺ بسعد^(٣) وهو يتوضأ فقال: ((ما هذا السرف يا سعد؟! قال: أو في الوضوء سرف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار))^(٤).

﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أمثالهم السالكون طريقتهن، وهذا غاية الذم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ فلا ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله من الشر.

وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك بإيتاء حقوقهم حياء من الرد، لتبتغي الفضل ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ والسعة التي يمكنك معها البذل ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْسُورًا﴾ أي: عدهم عدة جميلة، فوضع الابتغاء موضع فقد الرزق، لأن فاقد الرزق مبتغ له. ويجوز أن يتعلّق ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ بجواب الشرط مقدماً عليه، أي: فقل لهم قولاً سهلاً تطيباً لقلوبهم ابتغاء رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم. ويجوز أن يكون الإعراض عنهم كناية عن عدم الاستطاعة، أي: وإن لم تنفعهم.

ثم أمر سبحانه بالاعتصام الذي هو بين الإسراف والتقتير، وهو تمثيل لمنع

(١) شواهد التنزيل ج ١: ٣٣٩.

(٢) تفسير الطبري ج ١٥: ٥٤.

(٣) سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري، شهد بدراً وسائر المشاهد، أحد الستة الذين جعل فيهم الشورى، توفي في زمن معاوية. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ١٨، معجم رجال الحديث ج ٨: ٥٤.

(٤) سنن ابن ماجه ج ١: ١٤٧ ح ٤٢٥.

الشحيح وإعطاء المسرف.

﴿فَقَعْدَ مَلُومًا﴾ أي: فتصير ملوماً عند الله، لأنَّ المسرف غير مرضي عنده وعند الناس ﴿تَحْسُورًا﴾ منقطعاً بك لا شيء عندك، وقيل: محسوراً: عرياناً^(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يوسف ﴿الرِّزْقَ﴾ ويضيقه بحسب المصلحة مع سعة خزائنه.

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا تَحْنُ نَزُّهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلَهُمْ
كَانَ خَطَاً كَبِيراً ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرُبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً
وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا
﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

كانوا يندون بناتهم ﴿خَشْيَةً﴾ الفقر وهو الإملاق، فذلك قتلهم أولادهم،
فنهاهم الله سبحانه عن ذلك وضمن لهم أرزاقهم. وقرئ: خطأ، يقال: خطأ خطأ،
أي: أثم إثماً، والخطأ والخطأ كالخذر والخذر، وقرئ: خطأ. بالكسر والمد..

﴿فَنَحِشَةً﴾ قبيحة زائدة على حد القبح.

﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: وبئس طريقاً طريقه وهو أن يغصب على الغير امرأته

أو أخته أو بنته من غير سبب، والسبب ممكن وهو النكاح المشروع.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو أن يكفر بعد إيمان، أو يزني بعد إحصان، أو يقتل مؤمناً

عمداً.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ غير راكب واحدة من هذه الثلاث ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ﴾ الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه ﴿سُلْطَنًا﴾ أي: تسلطاً على القاتل في الاقتصاص منه.

وقرئ: ﴿فَلَا يُسْرِفُ﴾ بالياء والتاء، فالياء على أنَّ الضمير للولي، أي: فلا يقتل الولي غير القاتل، ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية، أو لا يمثل بالقاتل، وقيل: إنَّ الضمير للقاتل الأول، والتاء على أنَّ الخطاب للولي أو قاتل المظلوم.

﴿إِنَّهُ كَانَ مَظْهُورًا﴾ والضمير: إما للولي أي: نصره الله بأن أوجب له القصاص، وإما للمظلوم، لأنَّ الله ناصره بأن أوجب القصاص بقتله ويشبهه في الآخرة.

﴿يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي حفظه عليه.

﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي: مطلوباً يطلب من المعاهد أن يفي به، ويجوز أن يكون تخيلاً، كأنه يقال للعهد: لم نكتب؟ توبيخاً للناكث كما تسأل المؤودة ﴿يَأْتِي ذَنْبٌ قُتِلَتْ﴾^(١).

وقرئ: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بضم القاف وكسرهما، وهو الميزان صغيراً كان أو كبيراً.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وأحسن عاقبة، وهو تفعيل من آل: إذا رجع، وهو ما يؤول إليه.

وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ
لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ
سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ
الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا
﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ
لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

يقال: قفا أثره وقافه واقتفاه واقتافه بمعنى: اتبعه، ومنه القافة. أي: لا تكن
في اتباعك ﴿مَا﴾ لا علم ﴿لَكَ بِهِ﴾ من قول أو فعل كمن يتبع مسلماً لا يعلم
أنه يوصله إلى مقصده، والمراد: النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم أو يعمل بما
لا يعلم، ويدخل فيه النهي عن اتباع الظن وعن التقليد، وعن الحسن: (لا تقف
أخاك المسلم إذا مرّ بك فتقول: هذا يفعل كذا، ورأيتَه يفعل كذا ولم تر، وسمعتَه
ولم تسمع) (١).

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾.

و﴿عَنهُ﴾ في موضع الفاعل، أي: ﴿كُلُّ﴾ واحد منها كان ﴿مَسْئُولًا﴾ عنه،
فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور، يقال للإنسان: لم سمعت ما لا يحلّ لك سماعه؟
ولم نظرت إلى ما لا يحلّ لك النظر إليه؟ ولم عزمت على ما لا يحلّ لك العزم عليه؟
﴿مَرَحًا﴾ حال، أي: ذا مرح.

﴿لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ لن تجعل فيها خرقاً بشدة وطئك لها ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ﴾

طُولًا ﴿بِتَطَاوُلِكَ، وهذا تهكم بالمختال.

قريء: سيئة ﴿سَيِّئُهُ﴾ على إضافة سيء إلى ضمير ﴿كُلُّ﴾، والسيئة في حكم الأسماء بمنزلة الإثم والذنب، فلذلك قال: ﴿سَيِّئُهُ﴾ مع قوله: ﴿مَكْرُوهًا﴾ إذ لا اعتبار بتأنيثه، أي: كل ما نهى عنه من هذه الخصال المعدودة كان إثماً مكروهاً. ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى هذه الغاية، وسماه حكمة، لأنه كلام محكم لا مجال فيه للفساد بوجه. وعن ابن عباس: (إن هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى أولها: (لا تجعل مع الله إلهاً آخر)، جعل الله سبحانه فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك)^(١)، لأن التوحيد رأس كل حكمة.

﴿أَفَاصْفَكُمْ﴾ أي: أفخصكم ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وهم أفضل الأولاد لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه واتخذ الأدون وهي البنات وهذا خلاف الحكمة. وهو خطاب للذين قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿إِن كُنتُمْ لَنَقُولُوا قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بإضافتكم إليه الأولاد ثم بتفضيلكم أنفسكم عليه.

وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَنْفَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٤﴾

﴿صَوَّرْنَا﴾ أي: كررنا الدلائل وفصلنا العبر فيه، أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ ليتعظوا ويعتبروا. وقرئ: ليذكروا.
﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق، وعن سفيان: (زادني خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً)^(١).

﴿إِذَا﴾ يدلّ على أنّ قوله: ﴿لَا تَنْفَعُوا﴾ جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ ﴿لَوْ﴾، والمعنى: لطلبوا ﴿إِلَيَّ﴾ من له الملك والإلهية ﴿سَيِّلاً﴾ بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم ببعض. وفيه إشارة إلى دليل التنازع كما في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهَ لَفَسَدَتَا﴾^(٢).

﴿عُلُوًّا﴾ في معنى: تعالياً، والمراد: البراءة من ذلك والنزاهة، ووصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة عما وصفوه به.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ﴾ بلسان الحال، حيث تدلّ على صانعها وعلى صفاته العلى، فكأنّها تنطق بذلك، وكأنّها تنزه الله عما لا يجوز عليه من الشركاء، وليس شيء من الموجودات ﴿إِلَّا﴾ و﴿يُسَبِّحُ﴾ بحمد الله على هذا الوجه، إذ كلها حادث مصنوع [يحتاج إلى صانع غير مصنوع]^(٣)، فهو يدلّ على إثبات قديم غنيّ عن كل شيء سواه، لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات.

﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي: لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء، إذ لم تنظروا فيها فتعلموا دلالتها على التوحيد.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ لا يعاجلكم بالعقاب على سوء نظركم وشرككم.

(١) الكشف ج ٢: ٦٦٩.

(٢) الأنبياء: ٢٢.

(٣) ساقطة من أ.

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْنِهِمْ فَنُفُورًا ﴿١٦﴾
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَنبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا
لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَقَالُوا أَوَآدَا كُنَّا
عِظَمًا وَرَفُنَا أَنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٩﴾

﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ أي: ذا ستر كقولك: سيل مفعم أي: ذو إفعام، وقيل:
حجاباً مستوراً عن العيون من قدرة الله تعالى لا يبصر. حجه الله سبحانه عن
أبصار أعدائه من المشركين فكانوا يمرّون به ولا يرونه.

﴿وَحْدَهُ﴾ من نوع قولهم: رجع عوده على بدئه، في أنّه مصدر يسدّ مسدّد
الحال، يقال: وحد يحدّ وحداً وحدة، والأصل يحدّ وحده. والنفور: مصدر بمعنى
التولية، أو جمع نافر كشهود جمع شاهد، أي: أحبوا أن تذكر معه آلهتهم لأنهم
مشركون، فإذا لم تذكرهم نفروا.

﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ من اللغو والاستهزاء بالقرآن، و﴿بِهِ﴾ في موضع
الحال، أي: يستمعون هازئين.

و﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ نصب بـ﴿أَعْلَمُ﴾ أي: أعلم وقت استماعهم بما به
يستمعون.

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ وبها يتناجون به إذ هم ذوو نجوى، أي: متناجون.
﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿إِذْ هُمْ﴾ أي: ما ﴿تَنبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا﴾ قد سحر فجنّ

واختلط عليه عقله، وإنّا قالوا ذلك لينفروا عنه.

﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ مثلك بالساحر والمجنون ﴿فَضَلُّوا﴾ في ذلك ضلال المتحير في أمره لا يدري كيف يتوجه.

﴿وَرَفُنَا﴾ أي: تراباً وغباراً وانتثر لحومنا، أنبعث بعد ذلك ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ
فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدَنَّ قُلُوبَ الَّذِينَ فَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَوْنَ إِلَيْكَ
رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ
يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾
وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِن
الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ
يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾
وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى
بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

ردّ قوله: ﴿كُونُوا حِجَارَةً﴾ على قولهم: ﴿كُنَّا عِظَامًا﴾، فكأنه قال: كونوا حجارة ﴿أَوْ حَدِيدًا﴾ ولا تكونوا عظاماً فإنه يقدر على إعادتكم أحياء، وردكم إلى رطوبة الحي وغضاضته.

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ عن قبول الحياة، ويعظم عندكم أن يحياه الله.

﴿قُلِ الَّذِينَ فَطَرَكُمُ﴾ أي: خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر، وإنّا قال ذلك لكونهم مقرّين بالنشأة الأولى ﴿فَسَيُقْضَوْنَ﴾ أي: فسيحزكون نحوك ﴿رُءُوسُهُمْ﴾ تعجباً واستهزاء.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ أي: يبعثكم فتنبعثون منقادين غير ممتنعين، والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز هنا.

﴿يَحْمَدُوهُ﴾ حال منهم أي: حامدين لله، موحدين، وعن سعيد بن جبير: يخرجون من قبورهم قائلين: سبحانك اللهم وبحمدك^(١).

﴿وَتَنْظُنُّونَ﴾ أنكم ما ﴿لَيْسْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لسرعة انقلاب الدنيا إلى الآخرة، أو لعلمكم بطول اللبث في الآخرة. ونزل النفي منزلة الاستفهام في التعليق.

﴿وَقُلْ﴾ للمؤمنين: ﴿يَقُولُوا﴾ للمشركين الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وفسر ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ ولا تقولوا لهم ما يغيظهم ويغضبهم، وقيل: معناه: مرهم يقولوا الكلمة الحسنى وهي كلمة الشهادتين والأقوال المندوب إليها.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يفسد بينهم ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم العداوة والبغضاء.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ بأحوالكم وتدبير أموركم ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بفضلته وإن ﴿يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بعدله.

﴿وَكَيْلًا﴾ أي: رباً موكولاً إليك أمرهم تجبرهم على الإسلام، وإنّا أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم واحتمل منهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ ردّ على كفار قريش في إنكارهم نبوة نبيّنا محمد ﷺ، أي: ربك أعلم بأحوال ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومقاديرهم، فلا يختار من يختاره

من الملائكة والأنبياء ليله إليهم، وإننا يختارهم لعلمه ببواطنهم وبما يستأهل كل واحد منهم.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا﴾ إشارة إلى تفضيل رسول الله ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ دلالة على تفضيله - أيضاً - فإنه خاتم الأنبياء، ومكتوب في زبور داود: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١) وهم محمد وأهل بيته عليهم السلام.

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِيهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرِيبٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ آلِيقَمَةٍ أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَءَايَاتُنَا تَمُودُ النَّافَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرَّعْيَا أَلْحَىٰ أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِيهِ﴾ هم الملائكة، وقيل: عيسى وعزير^(٢)، وقيل: نفر من الجن عبدتهم قوم من العرب ثم أسلم الجن^(٣). والمعنى: ادعوهم فإنهم لا يقدرّون على أن يكشفوا ﴿عَنْكُمْ﴾ الضّرّ ﴿وَلَا﴾ أن يحولوه عنكم إلى غيركم.

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٥: ٧٣.

(٣) عن ابن مسعود. تفسير الطبري ج ١٥: ٧٢.

﴿أَوَّلِيكَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿يَبْغُوتُ﴾ يعني: إن ألهتهم يبتغون ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ وهي القرية ﴿وَإِنَّ﴾ الله عز وجل، و﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو ﴿يَبْغُوتُ﴾، و﴿أَي﴾ اسم موصول، أي: يبتغي من هو ﴿أَقْرَبُ﴾ منهم الوسيلة إلى الله فكيف غير الأقرب!، أو ضَمَنَ ﴿يَبْغُوتُ﴾ معنى يحرصون، [أي: يحرصون]^(١) أيهم يكون أقرب إلى الله، وذلك بأن يزيدوا في الطاعة والخير ﴿وَيَرْجُونَ﴾ ويخافون كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة!.

﴿إِلَّا تَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ بالقتل وأنواع العذاب، وقيل: الهلاك للصالحه والعذاب للطالحة^(٢)، والكتاب: اللوح المحفوظ.

استعار سبحانه المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة. و﴿أَنَّ﴾ الأولى منصوبة الموضع والثانية مرفوعة. والمعنى: ولم يمنعنا إرسال ﴿الْأَيَّتِ إِلَّا﴾ تكذيب الأولين، يريد الآيات التي اقترحوها من إحياء الموتى، وأن يحول الصفا ذهباً وغير ذلك. وقد حكم الله تعالى في الأمم أن من كذب بالآية المقترحة عوجل بعذاب الاستئصال، وقد علم سبحانه أنه لو أرسل هذه الآيات لكذبوا بها واستوجبوا العذاب العاجل المستأصل، ومن حكمه سبحانه في هذه الأمة أن لا يعذبهم بعذاب الاستئصال تشريفاً لنبيه ﷺ، وأن يؤخر أمرهم إلى يوم القيامة.

ثم ذكر سبحانه من الآيات التي ﴿كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ فأهلكوا: ناقة صالح، لأن آثارهم في بلاد العرب قريبة منهم.

﴿مُبْصَرَةٌ﴾ بَيِّنَةٌ ﴿فَظْلَمُوا﴾ أي: فكفروا ﴿بِهَا وَمَا تُرْسِلُ إِلَّا أَيَّتِ﴾ التي نظهرها على الأنبياء ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وإنذاراً بعذاب الآخرة.

(١) ساقطة من أ.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢: ٢٦٢.

واذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ أي: أوحينا إليك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ بقريش، يعني: بشركنا بوقعة بدر ونصرتك عليهم وهو قوله: ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرَ﴾^(١)، ﴿سَتَقْلَبُونَ وَتُخْسَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾^(٢)، فجعله سبحانه كأن قد كان، فقال: أحاط بالناس، على عادته سبحانه في إخباره، وقيل: معناه: أحاط علماً بأحوال الناس وأفعالهم، وما يستحقونه عليها من الثواب والعقاب وهو قادر على فعل ذلك بهم، عالم بما يصلحهم^(٣)، وهذا وعد له بالعصمة من أذى قومه.

واختلف في ﴿الرَّءْيَا أَلَيْ﴾ أريها النبي ﷺ، فقيل: هي رؤية العين المذكورة في أول السورة من الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج^(٤)، وأراد بالفتنة: الامتحان وشدة التكليف ليعرض المصدق بذلك لجزيل الثواب والمكذب لأليم العقاب، وقيل: هي الرؤيا التي في قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾^(٥) رأى أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة فصده المشركون عن دخولها يوم الحديبية، وإنما كانت فتنة لما دخل على بعض المسلمين من الشبهة والشك فقال: أليس قد أخبرتنا بأن ندخل المسجد الحرام آمين؟ فقال ﷺ: ((لم أقل: إنكم تدخلونها العام، لتدخلنها إن شاء الله))، ورجع ثم دخلها في العام القابل^(٦). وقيل: هي رؤيا رآها في منامه أن قروداً تصعد منبره وتنزل^(٧)، وقيل - على هذا التأويل -: إِنَّ ﴿الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي

(١) القمر: ٤٥.

(٢) آل عمران: ١٢.

(٣) التبيان ج ٦: ٤٩٤.

(٤) عن سعيد بن جبير وغيره. تفسير الطبري ج ١٥: ٧٦.

(٥) الفتح: ٢٧.

(٦) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٥: ٧٧، وينظر: القصة في مغازي الواقدي ج ٢: ٦٠٩.

(٧) الكشف والبيان ج ٦: ١١١.

الْقُرَّانَ ﴿١٠﴾ هي بنو أمية، أخبره الله سبحانه بتغلبهم على مقامه وقتلهم ذريته^(١)، وقيل: إن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم لعنت في القرآن^(٢) حيث لعن طاعموها من الكفار، فوصفت بلعن أصحابها على المجاز.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بمخاوف الدنيا والآخرة ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ أي: عتوا في الكفر لا يرجعون عنه.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْنَنَكَ ذَرَيْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ بَعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿١٣﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْجَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٥﴾

﴿طِينًا﴾ حال من الموصول الذي هو ﴿مَنْ خَلَقْتَ﴾ على معنى: ﴿أَسْجُدُ﴾

له وهو طين أي: أصله طين، أو من الضمير المحذوف من الصلة على معنى: ﴿لِمَنْ﴾ كان في وقت خلقه طينًا.

والكاف في ﴿أَرَأَيْتَ﴾ للخطاب، و﴿هَذَا﴾ مفعول به، والمعنى: أخبرني

(١) الدر المنثور ج ٤: ١٩١، التبيان ج ٦: ٤٩٤.

(٢) الصافات: ٦٢، الدخان: ٤٣، الواقعة: ٥٢، والقول عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٥:

عن ﴿هَذَا الَّذِي﴾ كَرَّمْتَهُ ﴿عَلَى﴾ أي: فضَّلْتَهُ عَلَيَّ [لَمْ اخْتَرْتَهُ عَلَيَّ] ^(١) وأنا خير منه؟ فحذف للاختصار.

ثم ابتداءً فقال: ﴿لَيْنَ أَخْرَتَيْنِ﴾ واللام لتوطئة القسم ﴿لَأَحْتَنِكَ دُرَيْتَهُ﴾ لأستأصلتهن بالإغواء ولأستولين عليهن، من احتنك الجراد الأرض: إذا أكل ما عليها، وأصله من الحنك. وإِنَّمَا طمع الملعون في ذلك لآثمه سبحانه أخبر الملائكة أَنَّهُ سيجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء.

﴿أَذْهَبَ﴾ معناه: امض لشأنك الذي اخترته، وليس هو من الذهب الذي هو ضد المجيء، ثم قال: ﴿فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ كما قال موسى للسامري: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ ^(٢). والتقدير: فَإِنَّ جَهَنَّمَ جزاؤهم وجزاؤك، فغلب المخاطب على الغائب فقال: ﴿جَزَاؤُكُمْ﴾.

﴿جَزَاءَ مَوْفُورًا﴾ مصدر على إضمار (تجازون)، أو لأنَّ ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ بمعنى: تجازون، والموفور: الموفر الكامل.

﴿وَأَسْتَفْرِزُّ﴾ واستخفَّ ﴿مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ﴾ واستزهم بوسوستك، والفر: الخفيف.

﴿وَأَتْلَبُ﴾ من الجلبة وهي الصباح، أي: صَحَّ ﴿بِحِيلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ واحشرهم عليهم، والرجل: اسم جمع للراجل، ونظيره الركب والصحب، وقرئ: ﴿وَرَجْلِكَ﴾ على أَنَّ فِعْلاً بمعنى فاعل [وبضم جيمها فيكون مثل ندس وندس وحدث وحدث] ^(٣)، يقال: رَجُلٌ وَرَجُلٌ، أي: راجل، ومعناه: وجمعك الرجل.

(١) ساقطة من أ.

(٢) طه: ٩٧.

(٣) ساقطة من أ، ط.

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ يريد كل معصية تحملهم عليها: في باب الأموال كالربا والإنفاق في الفسق ومنع الزكاة، وفي باب الأولاد بالزنا ودعوى الولد بغير سبب.

﴿وَعَدَهُمْ﴾ بالمواعيد الكاذبة من: شفاعاة الآلهة وتمني البقاء وطول الأمل.
﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الصالحين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ أي: لا تقدر أن تغويهم لأنهم لا يغترون بك ﴿وَكُنْ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم، يتوكلون عليه في الاستعاذة منك فيحفظهم من شرك.

رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ
إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ
تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا جَنَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿١٧﴾
أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿١٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً
أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا
تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ ذَبِيرًا ﴿١٩﴾

﴿يُرْسِلُ لَكُمْ الْفُلُوكَ﴾ أي: يسير ويجري لكم السفن ﴿فِي الْبَحْرِ﴾.
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ أي: خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾ أي: ذهب عن
أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه ﴿إِلَّا إِلَاهًا﴾ وحده، فلا ترجون هناك النجاة
إلا من عنده، ولا يخطر ببالكم أن غيره يقدر على إنقاذكم.

﴿فَلَمَّا جَنَّكُمُ﴾ من البحر ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾ فأمتم حملكم ذلك على الإعراض.
و﴿جَانِبَ الْبَرِّ﴾ منصوب ب﴿يُخْسِفُ﴾ مفعول به، كالأرض في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا

بِهِ وَيَدَارِهِ الْأَرْضَ^(١)، وَ﴿يَكْتُمُ﴾ حال، والمعنى: أن يقلب جانب البر وأنتم عليه.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهي الريح التي تحصب، أي: ترمي بالحصباء. والمعنى: وإن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرحمكم بها ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ حافظاً يصرف عنكم ذلك.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ﴾ يقوي دواعيكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن ﴿يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ وهي ﴿الرَّيْحُ﴾ التي لها قصيف، أي: صوت شديد، كأنها تتقصف أي: تتكسر، وقيل: هي التي لا تمر بشيء إلا قصفته^(٢).

﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ وقرئ بالتاء يعني: الريح، وبالنون، وكذلك ﴿يَخْصِفُ﴾ و﴿يُرْسِلُ﴾، و﴿يُعِيدَكُم﴾ قرئ بالياء والنون.

﴿يَمَّا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بكفرانكم النعمة في الإنجاء.

والتبعية: المطالب من قوله: ﴿فَاتَّبَاعُ الْمَغْرُوفِ﴾^(٣) أي: مطابقة، قال الشماخ:

كَمَا لَازَ الْغَرِيمُ مِنَ التَّبِيعِ^(٤)

والمعنى: إنا نفعل ما نفعل بهم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا﴾ أحداً يطالبنا بما فعلنا، انتصاراً منا.

(١) القصص: ٨١.

(٢) مجاز القرآن ج ١: ٣٨٥.

(٣) البقرة: ١٧٨.

(٤) ديوان الشماخ بن ضرار الديباني: ٢٢٧، وصدره: تلوذ ثعالب الشرفين منها.

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَيْلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِنْ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾
يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِسَمِيئِهِ
فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ
كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

يعني: كَرَّمْنَاهُمْ بالنطق والعقل والتميز والصورة الحسنة والقامة المعتدلة،
وتدبير أمر المعاش والمعاد، وبتسليطهم على ما في الأرض، وتسخير سائر الحيوانات
لهم ﴿وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَيْلِ﴾ على الدواب وفي ﴿الْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ هو ما سوى الملائكة، لأنَّ الفضل عام في جنس الملائكة
وخاص في بني آدم.

﴿بِإِسْمِهِمْ﴾ بمن ائتموا به من نبيٍّ أو إمام أو كتاب. الصادق عليه السلام: ((ألا
تحمّدون الله؟! إذا كان يوم القيامة فدعي كل قوم إلى من يتولّونه، وفرعنا إلى
رسول الله ﷺ وفرعتم إلينا، فإلى أين ترون يذهب بكم؟! إلى الجحّة وربّ الكعبة -
قالها ثلاثاً...))^(١).

﴿فَمَنْ أُوْفِيَ﴾ من هؤلاء ﴿كِتَابُهُ بِسَمِيئِهِ﴾ إشارة إلى ﴿مَنْ﴾
لأنّه في معنى الجمع ﴿يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ لا يجتنبون عن قراءته لما يرون فيه من
مواجب السرور ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ هو المفتول الذي في شق النواة، أي: لا
ينقصون من ثوابهم أدنى شيء.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي﴾ الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ لا يهتدي إلى طريق النجاة ﴿فَهُوَ فِي﴾

الْآخِرَةَ أَعْمَى ﴿ لا يهتدي إلى طريق الجنة، ويجوز أن يكون الثاني بمعنى التفضيل، ولذلك قرأ أبو عمرو الأول عمالاً والثاني بالتفخيم، لأن أفعّل التفضيل تمامه بـ (من) فكانت ألفه كأنها في وسط الكلمة، كقولك: أعمالكم.

وإن كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذِّى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتِرَى عَلَيْنا
غَيْرُهُ وَإِذاً لَتَأْخُذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلاَ أَنْ تُبَنِّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ
تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ
وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُكَ عَلَيْنا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كادُوا
لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ
خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا
وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً ﴿٧٧﴾

﴿إن﴾ هذه مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، ومعناه: إن الحديث أو الأمر قاربوا أن يصرفوك ﴿عَنِ﴾ القرآن ﴿الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: عن حكمه، لتضيف إلينا ما لم تنزله عليك.

﴿وَإِذاً لَتَأْخُذُوكَ خَلِيلاً﴾ أي: ولو اتبعت مرادهم لأظهروا خلكتك. روي: أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ: لا ندعك تستلم الحجر الأسود حتى تلم بأهتنا، فقال في نفسه: ما عليّ في أن ألم بها والله يعلم أنّي لها كاره ويدعوني أستلم الحجر، فأنزلت^(١). وروي غير ذلك وهو مذكور في موضعه^(٢).

﴿وَلَوْلاَ أَنْ تُبَنِّنَاكَ﴾ أي: لولا تبيننا لك بالعصمة والألطف ﴿لَقَدْ﴾ قاربت أن تميل ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أدنى ميل فتعطيهم بعض ما سألوك.

(١) لباب النقول: ١٧٧.

(٢) ينظر: الدر المنثور ج ٤: ١٩٤.

﴿إِذَا لَأَذِقْنَاكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿الْحَيَوَةِ وَضِعْفَ﴾ عذاب ﴿الْمَمَاتِ﴾

يعني: عذاب الدنيا والآخرة مضاعفين، أي: لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت، وفي هذا دليل على أنّ القبيح يكون عظم قبحه على مقدار عظم شأن فاعله. وعن ابن عباس: (إنّ رسول الله ﷺ معصوم، وإنّما هو تخويف لثلاث يركن مؤمن إلى مشرك في شيء من أحكام الله تعالى)^(١).

﴿وَأَن كَادُوا﴾ يعني: قريشاً ﴿لَيَسْتَفِرُّوكَ﴾ ليزعجونك ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾

أرض مكة بالإخراج.

﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ﴾ أي: لا يبقون بعد إخراجك ﴿إِلَّا﴾ زماناً ﴿قَلِيلاً﴾

فأنّ الله يهلكهم، وقد أهلكوا بدر بعد إخراجه بقليل، أو إلاناساً قليلاً منهم يريد من انفلت منهم يوم بدر ومن آمن، وقيل: من أرض المدينة، لأنّ اليهود قالوا له: إنّ الأنبياء بعثوا بالشام وهي مهاجر إبراهيم، فلو خرجت إلى الشام لآمتنا بك، فهم بالخروج إلى الشام فنزلت^(٢).

وقرئ: خلقت وخلافك ومعناها واحد، قال:

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوَاطِطُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا^(٣)

أي: بعدهم.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ يعني: إنّ كل قوم أخرجوا

رسولهم من بينهم فستة أن يهلكهم. وانتصابه بأنّه مصدر مؤكد، أي: سنّ الله ذلك سنة.

(١) مجمع البيان ج ٥-٦: ٤٣٢.

(٢) أسباب النزول: ٢٠٤.

(٣) شعر الحارث بن خالد المخزومي: ٦٣، وفيه: عقب الرذاذ خلافهم...

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ
 قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً
 لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي
 مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
 نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا
 ﴿٨١﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ
 الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

الدلوك: الزوال، وقيل: هو الغروب^(١)، والأول أصح، لتكون الآية جامعة
 للصلوات الخمس، فصلاتا دلوك الشمس: الظهر والعصر، وصلاتا ﴿غَسَقِ اللَّيْلِ﴾:
 المغرب والعشاء الآخرة، والمراد بـ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: صلاة الفجر.

و﴿غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: أول بدو الليل وظلمته، ﴿مَشْهُودًا﴾ يشهده ملائكة الليل
 والنهار، يصعد هؤلاء وينزل هؤلاء، فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار.
 ويجوز أن يكون ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ حثاً على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها
 مشهودة بالجماعة الكثيرة ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ وعليك بعض الليل ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾، والتهجد: ترك الهجود
 للصلاة، ونحوه: التأثم والتحرّج، ويقال للنوم: التهجّد أيضاً.

﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ أي: عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس، وضع ﴿نَافِلَةً﴾
 موضع تهجد، لأنّ التهجد عبادة زائدة فجمعها معنى واحد، فالمعنى: إنّ التهجد
 زيد لك على الصلوات المكتوبة فريضة عليك خاصة وتطوعاً لغيرك، وقيل: معناه:

(١) عن ابن مسعود. تاريخ الطبري ج ١٥: ٩١.

نافلة لك ولغيرك^(١). وخصّ بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير إلى الاستئذان بسترته.
﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ نصب على الظرف، أي: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ فيقيمك
مقاماً محموداً، أو ضمن ﴿يَبْعَثَكَ﴾ معنى: يقيمك، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى:
ذا مقام محمود، ومعنى المقام المحمود: المقام الذي يحمد فيه الأولون والآخرين،
وهو مقام الشفاعة، يسأل فيه فيعطى، ويشفع فيه فيشفع، ويشرف فيه على جميع
الخالقين فيوضع في كفه لواء الحمد يجتمع تحته الأنبياء والملائكة.

و﴿مُدْخَلَ﴾ و﴿مُخْرَجَ﴾ بمعنى المصدر، أي: ﴿أَدْخَلْنِي﴾ في جميع ما أرسلتني
به إدخالاً مرضياً ﴿وَأَخْرَجْنِي﴾ منه إخراجاً مرضياً يحمد عاقبته، وقيل: يريد إدخاله
مكة ظاهراً عليها بالفتح وإخراجه منها سالماً^(٢)، وقيل: هو عام.

﴿سُلْطَنًا﴾ حجة تنصري على من خالفني، أو ملكاً وعزاً ناصراً للإسلام
على الكفر، فأجيب دعوته صلوات الله عليه وآله بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ﴾^(٣)، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٤).

وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً لقبائل العرب يحجون إليها، فلما نزلت
هذه الآية يوم الفتح قال جبرئيل لرسول الله ﷺ: (خذ مخصرك ثم ألقها)، فجعل يأتي
صنماً صنماً وينكت بالمخصرة في عينه ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، فينكب
الصنم لوجهه، فألقاها جميعاً، وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير
صفر، فقال: ((يا عليّ أرم به))، فحمله رسول الله ﷺ حتى صعد فرمى به فكسره،

(١) عن مجاهد وغيره. معالم التنزيل ج ٢: ٢٤١.

(٢) عن الضحاك. معالم التنزيل ج ٢: ٢٤٣.

(٣) الفتح: ٢٨.

(٤) المائدة: ٥٦.

فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمد^(١).

﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ هلك وذهب، من قولهم: زهقت نفسه: إذا خرجت. و﴿الْحَقُّ﴾ الإسلام، و﴿الْبَاطِلُ﴾ الشرك ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ أي: مضمحلًا غير ثابت. ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾: (من) للتبيين أو للتبعض، أي: كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيمانًا، فيقع منهم موقع الشفاء من المرضي. وعن النبي ﷺ: ((من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله))^(٢).

ولا يزداد به الكافرون ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: نقصانًا، لتكذيبهم به وكفرهم.

وَإِذَا أُنْعِمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ آعَرَضَ وَنُنَاجِيهِ. وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ. فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَسْئَلُونَا عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾

﴿وَإِذَا أُنْعِمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بالصحة والغناء ﴿آعَرَضَ﴾ عن ذكر الله تعالى كأنه مستغن عنه ﴿وَنُنَاجِيهِ﴾ تأكيد للإعراض، لأن معنى الإعراض عن الشيء: أن يوليّه عرض وجهه، ومعنى النأي بالجانب: أن يوليّه ظهره، أو يريد التجبر والاستكبار، لأن ذلك من عادة المتكبر المعجب بنفسه.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أي: المحنة والشدة، أو الفقر ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ شديد القنوط واليأس من رجاء الفرج. وقرئ: وناء بجانبه، قدّم اللام على العين كما قالوا: راء

(١) الكشف والبيان ج ٦: ١٢٨ باختصار.

(٢) الكشف والبيان ج ٦: ١٢٩.

في رأى، أو يكون من ناء: إذا نهض.

﴿قُلْ﴾ كل أحد ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ أي: مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال، بدلالة قوله: ﴿فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ أي: أسد طريقة وأصوب مذهباً.

و﴿الرُّوحُ﴾ المسؤول عنه هو الروح الذي في الحيوان، سئل عليه السلام عن حقيقته فأخبر أنه ﴿مِنْ أَمْرِ﴾ الله، أي: مما استأثر الله به، وقيل: إن اليهود قالت: إن أجاب محمد عن الروح فليس بنبي، وإن لم يجب فهو نبي فإننا نجد في كتبنا ذلك^(١)، وقيل: هو جبرئيل عليه السلام^(٢)، أو ملك من الملائكة يقوم صفاً والملائكة صفاً^(٣)، وقيل: هو القرآن^(٤).

و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من وحيه وكلامه، ليس من كلام البشر.
﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ الخطاب عام ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: شيئاً يسيراً، لأن معلومات الله سبحانه لا نهاية لها.

﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جواب قسم محذوف وسدّ مسدّ جواب الشرط، والمعنى: إن ﴿شِئْنَا﴾ ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور فلم نترك له أثراً ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ﴾ بعد الذهاب ﴿يَوْمَ﴾ من يتوكل ﴿عَلَيْنَا﴾ باسترداده وإعادته محفوظاً مسطوراً.
﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك، كأن رحمته تتوكل عليه بالرد، أو يكون استثناء منقطعاً بمعنى: ولكن رحمة من ربك تركته

(١) أسباب النزول: ٢٥٥.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٥: ١٠٥.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٥: ١٠٥.

(٤) عن الحسن. تفسير الماوردي ج ٣: ٢٦٩.

غير مذهوب به. وهذا امتنان منه سبحانه ببقاء القرآن محفوظاً بعد المئة في تنزيله وتحفيظه.

قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً
﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِرَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴿٩٠﴾
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا
تَفْجِيراً ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفاً أَوْ تَأْتِي
بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفَى
فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِرَ لِرُفَيْكَ حَتَّى نُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرُؤُهُ قُلْ
سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً ﴿٩٣﴾

أي: لو تظاهر الثقلان ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في فصاحته وبلاغته
وحسن تأليفه ونظمه لعجزوا عن الإتيان ﴿بِمِثْلِهِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ أي: بينا لهم وكررنا ﴿مِنْ كُلِّ﴾ معنى هو كالمثل في
حسنه وغرابته، وقد احتاجوا إليه في دينهم ودنياهم فلم يرضوا.
﴿وَلَا كُفُوراً﴾ أي: جحوداً.

ولما تبين إعجاز القرآن، وانضاف إليه غيره من المعجزات ولزمتهم الحجة
﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ﴾ أي: تفتح ﴿لَنَا مِنْ﴾ أرض مكة ﴿يَنْبُوعاً﴾
أي: عيناً ينبع منه الماء لا ينقطع، وهو يفعل كي محبوب من عب. وقرئ: تفجر
- بالتخفيف -.

وقولهم: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ عناه به قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾

أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴿١١﴾. وقرئ: كسفاً - بفتح السين وسكونه - جمع كسفة.

﴿قَبِيلًا﴾ أي: كقبلاً بما تقول، شاهداً بصحته، والمعنى: أو تأتي بالله قبيلاً وبالملائكة قبيلاً، كقوله:

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ جَوْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي ﴿١٢﴾
أو يريد: مقابلاً لنا حتى نشاهده ونعاينه، أو جمع قبيلة أي: جماعة، حالاً من
﴿الْمَلَكَةِ﴾.

والزخرف: الذهب.

﴿أَوْ تَرْقَى فِي﴾ معارج ﴿السَّمَاءِ﴾ فحذف المضاف ﴿وَلَنْ تُؤْمِنَ﴾ لأجل
ريقك ﴿حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ من السماء ﴿كُتُبًا﴾ فيه تصديقك، وإنما قصدوا بهذه
الاقتراحات اللجاج والعناد.

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [وقرئ: قال سبحان ربِّي] ﴿١٣﴾، تعجب من اقتراحاتهم
عليه ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا﴾ مثل سائر الرسل، وقد كانوا لا يأتون أمهم إلا بما
يظهره الله عليهم من الآيات، وليس أمر الآيات إليّ، إنما هو إلى الله وهو العالم
بالمصالح، فلا وجه لطلبكم إيّاها مني.

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ
بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ

(١) سبأ: ٩.

(٢) شعر عمرو بن احر الباهلي: ١٨٧، وفيه: ومن أجل....

(٣) ساقطة من ب، ج.

مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِإِلَهِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا ۖ ذَٰلِكُمْ وَصَّاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿٢٠﴾

أي: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ الإيمان بالقرآن وبنوّة محمد ﷺ ﴿إِلَّا﴾ إنكارهم أن يرسل الله البشر، ف﴿أَنَّ﴾ الأولى مفعول ثانٍ ل﴿مَنَعَ﴾، و﴿أَنَّ﴾ الثانية فاعل، والهمزة في ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ﴾ للإنكار، فبين سبحانه أنَّ ما أنكروه غير منكر، وإنما المنكر خلافه عند الله، لأنَّ حكمته البالغة تقتضي أن لا يرسل الملك بالوحي إلا إلى الأنبياء أو إلى أمثاله من الملائكة.

ثم قرر سبحانه بآته ﴿لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشُونَ﴾ على أرجلهم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ ساكنين في الأرض لنزل الله ﴿عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ يهديهم إلى الرشd ويعلمهم الدين، فأما الإنس فإنها يرسل الملك إلى من يختاره منهم للنبوّة فيقوم بدعوتهم وإرشادهم.

﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أي قضيت ما عليّ من التبليغ وأنكم كذبتم، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ عالماً بأحوالهم، وهذا وعيد للكفار وتسليّة للنبي ﷺ.

و﴿شَهِيدًا﴾ تمييز أو حال.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ أي: يوفقه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ﴾ ومن يخذل ﴿فَلَنْ يَجِدَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أنصاراً.

﴿عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ يسحبون عليها إلى النار كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهائته وتعذيبه.

﴿عَمِيًّا﴾ عما يسرهم ﴿وَبُكَاءَ﴾ عن التكلم بما ينفعهم ﴿وَصُمًّا﴾ عما يمتنعهم، كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه، ويجوز أن يحشروا وقد إيفت^(١) حواسهم من الموقف إلى النار بعد الحساب، فقد أخبر عنهم بأنهم يتكلمون.

﴿كُلَّمَا حَبَّتْ﴾ أي: كلما احترقت جلودهم ولحومهم فسكن لها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة.

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ وهو تسليط النار على أجزائهم تأكلها وتغنيها ثم إعادتها، ليزيد بذلك تحسّرهم على التكذيب بالبعث.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أن ﴿مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ﴾ خلق أمثالهم من الإنس، لأنهم ليسوا بأشدّ خلقاً منهم كما قال: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾^(٢).

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو الموت أو القيامة، فأبوا مع وضوح الدليل ﴿إِلَّا﴾ الجحود.

(١) إيفت حواسهم: أصابها آفة. (الصحاح: مادة اوف).

(٢) النازعات: ٢٧.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ تقديره: لو تملكون أنتم تملكون، لأن ﴿لَوْ﴾ لا تدخل إلا على الفعل، فأضمر تملكون على شريطة التفسير، وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو ﴿أَنْتُمْ﴾، ف﴿أَنْتُمْ﴾ فاعل الفعل المضمر و ﴿تَمْلِكُونَ﴾ تفسيره، أي: لو ملكتم ﴿خَزَائِنَ﴾ أرزاق الله ونعمه على خلقه ﴿لَأَمْسَكْتُمْ﴾ شحاً وبخلًا. والقصور: البخيل، وقيل: هو جواب قولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَنْفُجَرَ لَنَا﴾ وما اقترحوه من الزخرف وغيره، ويريد: أنهم لو ملكوا خزائن الله لبخلوا بها.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ نَسْعَ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُهَا فَنَسَلَٰ بَيْنَ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾

الآيات التسع: هي العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والحجر، والبحر، والطور الذي رفع فوق بني إسرائيل، هذا قول ابن عباس^(١)، وقد ذكر أيضاً: الطوفان، والسنون، ونقص من الثمرات، مكان الحجر، والبحر، والطور^(٢)، وقيل: إنها تسع آيات في الأحكام، فروي: أن بعض اليهود سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: ((أوحى الله إلى موسى أن: قل لبني إسرائيل: لا تشركوا

(١) تفسير الماوردي ج ٣: ٢٧٧ باختلاف.

(٢) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ١٥: ١١٥.

بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت))، فقبل اليهودي يده وقال: أشهد أنك نبي^(١).

﴿فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: سلهم من فرعون وقل له: أرسل معي بني إسرائيل، أو سلهم عن حال دينهم، أو سلهم أن يعاضدوك، وقيل: معناه: فاسأل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه لتزداد يقيناً وطمأنينة قلب. وعلى القول الأول تعلق ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ بالقول المحذوف، أي فقلنا له: سلهم، وأما على القول الثاني فتعلق بـ ﴿ءَايَاتِنَا﴾ أو بإضمار (اذكر)، والمعنى: إذ جاء آباءهم ﴿مَسْحُورًا﴾ سحرت فخلوط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ حججاً وبيّنات مكشوفات ولكنك معاند، وقرئ: علمت، بمعنى: لست بمسحور بل أنا عالم بصحة الأمر، ثم قابل ظنه بظنه، فكأنه قال: إن ظننتني مسحوراً فإني أظنك ﴿مَسْحُورًا﴾ هالكا، وظني أصح من ظنك، فإن له أمانة ظاهرة وهي إنكارك ما تعرف صحته وعنادك.

﴿فَارَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ﴾ يستخف موسى وقومه ﴿مِنْ﴾ أرض مصر ويخرجهم منها، أو ينفيعهم عن ظهر ﴿الْأَرْضِ﴾ بالقتل، فاستفززه بأن أغرقناه وقومه بأجمعهم.

﴿وَقُلْنَا﴾ لبني إسرائيل ﴿اسْكُونُوا﴾ أرض مصر ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وهو قيام الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جميعاً مختلطين ثم يحكم بينكم، واللفيف:

الجماعات من قبائل شتى.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: ما أنزلنا القرآن إلا بالحق والحكمة وما ﴿نَزَّلَ﴾ إلا بالحكمة، لاشتماله على الهداية إلى الخيرات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا﴾ لتبشرهم وتذبرهم.

وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقْنَاهُ لِقِرَآءَةٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١١٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُسْأَلُ عَلَيْهِمْ يَجِزُونَ لِلَّذِينَ سَجَدَا ﴿١١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلَّذِينَ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١١٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا تَكْبِيرًا ﴿١٢١﴾

﴿وَقَرَأْنَا﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره: ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾، وقرئ بالتخفيف، وروي عن علي عليه السلام بالتشديد وعن ابن عباس وأبي وغيرهم، ومعنى المشدد: وجعلناه مفرقاً منجماً في النزول.

﴿عَلَى مَكِّثٍ﴾ أي: على تثبت وتؤدة وترتيل ليكون أمكن في قلوبهم ﴿وَنَزَّلْنَاهُ﴾ على حسب الحاجة والحوادث. وعن ابن عباس: (لأن أقرأ سورة البقرة وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن هذا).^(١)

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أمر بالإعراض عنهم وقلة الاكتراث بهم وبإيمانهم، وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان، فإن من هم أفضل منهم من الذين قرأوا الكتب وعلموا الشرائع قد آمنوا به، وصحّ عندهم أنه النبي الموعود في كتبهم،

فإذا تلي ﴿عَلَيْهِمْ﴾ خروا ﴿سَجْدًا﴾ تعظيماً لأمر الله، ولإنجازه ما وعده في الكتب المنزلة من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه، وهو المراد بالوعد في قوله: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ أي: إنه كان وعد الله حقاً كائناً.

وإنما ذكر الذن لأن الساجد أقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه، ومعنى اللام: الاختصاص، لأنهم جعلوا أذقانهم ووجوههم للسجود والخروج.

وكرر قوله: ﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ لاختلاف الحالين، وهما: خروجهم في حال كونهم ساجدين، وخروجهم في حال كونهم باكين ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ أي: لين قلب وتواضعاً لله.

والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، وهو يتعدى إلى مفعولين، تقول: دعوته زيداً، ثم تترك أحد المفعولين استغناء عنه فتقول: دعوت زيداً.

و﴿اللَّهُ﴾ و﴿الرَّحْمَنُ﴾ يريد بهما الاسم لا المسمى، و﴿أَوْ﴾ للتخيير، أي: سموا الله بهذا الاسم أو بهذا. والتنوين في ﴿أَيَّ﴾ عوض من المضاف إليه، و﴿مَا﴾ مزيدة مؤكدة للشرط، و﴿تَدْعُوا﴾ مجزوم بالشرط الذي يتضمنه ﴿أَيَّ﴾ والمعنى: أي هذين الاسمين سميتم أو ذكرتم ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، والضمير في ﴿لَهُ﴾ لا يرجع إلى أحد الاسمين لكن إلى مسماهما وهو ذاته عز اسمه، لأن التسمية للذات لا للاسم، والمراد: ﴿أَيُّ﴾ ما تدعوه فهو حسن، فوضع موضعه ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها، والمعنى في كون أسماؤه أحسن الأسماء: أنها تستقل بمعاني التمجيد والتعظيم والتقدير.

﴿وَلَا تَجْهَرُ﴾ بقراءة صلاتك حذف المضاف لفقد الالتباس، لأن الجهر والمخافتة معلوم أنها صفتان للصوت لا غير، والصلاة عبارة عن أفعال مخصوصة

وأذكار.

﴿وَأَبْتَعُ بَيْنَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَيِّئًا﴾ وسطاً، وقيل: بأن تجهر بصلاة الليل وتحافت بصلاة النهار^(١)، وقيل: بصلاتك: بدعائك^(٢).
﴿وَلَيْتُ مِنَ الذَّلِّ﴾ ناصر من الذل ومانع له منه يتعزز به، أو لا يوالي أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته.

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١: ٢٠٢.

(٢) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ١٥: ١٢٢.

سورة الكهف

مكية، مائة وإحدى عشرة آية بصري، عشر كوفي، عدّ البصري ﴿عِنْدَهَا قَوْمًا﴾.

في حديث أبي: ((من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة، ومن قرأ الآية التي في آخرها حين يأخذ مضجعه كان له في مضجعه نوراً يتلأل إلى الكعبة، حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يقوم))^(١)، الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً، وبعثه الله مع الشهداء))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ قِيمًا
لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِمَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَتَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣﴾
وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
وَلَا لِأَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ
إِلَّا كَذِبًا ۖ ﴿٥﴾

(١) تفسير السمرقندي ج ٢: ٣٦٦.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٧.

عَلَّمَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ كَيْفَ يَحْمَدُونَهُ عَلَى أَجَلٍ نَعَمَهُ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ مَا أَنْزَلَهُ ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ نَجَاتِهِمْ.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أي: شيئاً من العوج، والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، والمراد به: نفي التناقض عن معانيه.

وانتصب ﴿قِيَمًا﴾ بمضمر وليس بحال من ﴿الْكُتُبِ﴾، لأنَّ قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ معطوف على ﴿أَنْزَلَ﴾ فهو داخل في حَيْزِ الصَّلَةِ، فمن جعله حالاً من (الكتاب) يكون فاصلاً بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وذلك غير جائز، والتقدير: ولم يجعل له عوجاً بل جعله ﴿قِيَمًا﴾ لأنه إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، وجمع بينهما للتأكيد، وقيل: معناه: قِيماً بمصالح العباد، أو قِيماً على سائر الكتب شاهداً بصحتها^(١).

﴿لِيُنْذِرَ﴾ الذين كفروا ﴿بِأَسَاسٍ شَدِيدًا﴾ فاقتصر على أحد المفعولين.

﴿مَنْ لَدُنْهُ﴾ أي: صادراً من عنده. والأجر الحسن: الجنة.

﴿مَنْكِيَتٍ﴾ أي: لاثنين ﴿فِيهِ﴾ مؤيدين.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ لأنه ليس مما يعلم لاستحالته.

﴿كَلِمَةً﴾ نصب على التمييز، وفيه معنى التعجب، كأنه قال: ما أكبرها

كلمة، وقيل: ﴿كَبُرَتْ﴾ مثل نعمت، و﴿كَلِمَةً﴾ تفسير لفاعل ﴿كَبُرَتْ﴾،

و﴿تَخْرُجُ﴾ صفة لموصوف محذوف، والتقدير: كبرت الكلمة كلمة خارجة

﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾. والكلمة هي قولهم: ﴿أَتُخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ سُمِّيت كلمة كما سَمَوْا

القصيدة كلمة.

فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ تَفْسَكَ عَلَى ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
 أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ
 أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ﴿٨﴾

﴿بَنِيعٌ﴾ أي: قاتل ﴿تَفْسَكَ﴾ وجدأ وأسفا ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ بالقرآن،
 شبهه برجل فارقه أعزته فهو يتحسر ﴿عَلَى ءَاثَرِهِمْ﴾ ويخع نفسه تلهفاً على
 فراقهم.

و﴿أَسَفًا﴾ حال أو مفعول له، والأسف: المبالغة في الحزن والغضب،
 ورجل أسف وأسيف.

﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ يعني: ما يصلح أن يكون ﴿زِينَةً﴾ وحلية للأرض
 ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها.

﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾ أي: لنختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وهو من كان أزهد فيها.
 ثم زهد سبحانه فيها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ من هذه الزينة
 ﴿صَعِيدًا جُرًّا﴾ أي: مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء مؤنقة
 في زوال بهجته وذهاب رونقه وحسنه.

أَمَرُ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا
 ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ
 رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي
 الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى
 لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾

﴿الْكَهْفِ﴾ الغار الواسع في الجبل، واختلف في ﴿الرَّقِيمِ﴾ فقيل: هو

لوح من رصاص رقت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف^(١)، وقيل: هو اسم الوادي الذي كان فيها الكهف^(٢)، وقيل: هم نفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسد عليهم، فدعا كل واحد منهم بما عمله لله خالصاً ففرج عنهم^(٣).

﴿كَانُوا﴾ آية عجباً ﴿مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ وصفاً بالمصدر، أو ذات عجب.

﴿ءَايَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي: رحمة من خزائن رحمتك، وهي المغفرة والرزق

والأمن من الأعداء.

﴿وَهِيَئْنَا مِنْ أَمرِنَا﴾ الذي نحن فيه ﴿رَشْدًا﴾ حتى نكون بسببه راشدين،

أو اجعل أمرنا رشداً كله كقولك: رأيت منك رشداً.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ﴾ حجاباً من أن تسمع، يعني: أنمناهم إنامة ثقيلة

لا تنبههم منها الأصوات، فحذف المفعول الذي هو الحجاب، كما قالوا: بنى على امرأته، يعنون: بنى عليها القبة.

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي: ذوات عدد أي: سنين كثيرة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم.

﴿أَيُّ الْحَزِينِ﴾ فيه معنى الاستفهام، ولذلك علق عنه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ فلم يعمل

فيه، و﴿أَحْصَى﴾ فعل ماضٍ، ومعناه: أي الحزين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف ضبط أمداً لأوقات لبثهم، ولا يكون ﴿أَحْصَى﴾ من أفعال التفضيل في شيء، لأنه لا يبنى من غير الثلاثي المجرد.

ولم يزل سبحانه عالماً بذلك، وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم

(١) الكشف والبيان ج ٦: ١٤٧.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ١٥: ١٣١.

(٣) مسند أحمد ج ٤: ٢٧٤.

ليزدادوا إيماناً، وقيل: يعني بالحزبين: أصحاب الكهف وأتهم لما استيقظوا اختلفوا في مقدار لبثهم.

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ
هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ
قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ
بَيِّنٍّ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَى إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ
وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴿١٦﴾

﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ بالتوفيق والألطف الموقية لدواعيهم.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قويناها وشددنا عليها حتى صبروا على هجر
الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم الجبار
دقيانوس من غير مبالاة به ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا﴾ الذي نعبده ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
﴿شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم، من شط: إذا بعد.
﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ و﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان، وخبره ﴿اتَّخَذُوا﴾ وهو إخبار
في معنى الإنكار.

﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: هلا يأتون على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة
ظاهرة، وهو تبكيت لأن الإتيان بالحجة على ذلك محال، وفيه دلالة على فساد
التقليد.

﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه.

﴿وَإِذْ أَعَزَّ لَتْهُمُ﴾ خطاب من تملیخا - وهو رئیس أصحاب الکھف - لأصحابه ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ فی محلّ النصب للعطف علی الضمیر، یعنی: وإذ اعزّلتهم واعتزلتم معبودهم.

﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ يجوز أن يكون استثناء متصلاً علی أنهم كانوا یعترفون بالله ویشركون معه، وأن يكون منقطعاً. وقيل: هو اعتراض ومعناه: الإخبار من الله تعالی أنهم لم یعبدوا غیر الله.

﴿مِرْفَقًا﴾ قرئ بفتح المیم وكسرهما، وهو ما یرتفق به أي: ینتفع.
وَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أُنُفْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِسَاءِهِمْ بَنِينَ قَالِ قَائِلُ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

قرئ: ﴿تَزُورُ﴾ بالتخفيف والتشديد، فالتخفيف لحذف التاء، والتشديد

للإدغام، وقرئ: تزور، علی وزن تحمّر وكلها من الزور وهو الميل.

و﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ جهة اليمين، وحقيقتها الجهة المسماة باليمين ﴿تَقْرُضُهُمْ﴾ تقطعهم لاتقربهم، من معنى القطيعة والصرم ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي: في متسع من الكهف. ومعناه: إنهم لا تصيبهم الشمس في طلوع نهارهم ولا في غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح من غارهم، ينالهم فيه برد النسيم وروح الهواء.

﴿ذَلِكَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ﴾ وهو ما صنعه بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة، وقوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله فلطف بهم، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة.

﴿وَتَحْسِبُهُمْ﴾ خطاب لكل أحد، والأيقاظ جمع يقظ، أي: ﴿وَهُمْ﴾ نيام وعيونهم مفتحة، فيحسبهم من ينظر إليهم ﴿أَن يَقَاطُوا﴾ وقيل: لكثرة تقلبهم^(١).

وقرأ الصادق عليه السلام: وكالبهم أي: صاحب كلهم.

﴿بَسِطَ ذِرَاعِيهِ﴾ حكاية حال ماضية، لأن اسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان بمعنى المضارع، ولا يعمل إذا كان في معنى الماضي. والصيد: الفناء، وقيل: العتبة^(٢). والرعب: الخوف الذي يرعب الصدر، أي: يملؤه، وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم^(٣)، وقيل: لوحشة مكانهم^(٤).

وكما أنماهم تلك النوم ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ منها ﴿لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي: ليسأل بعضهم بعضاً، ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا ويستدلوا على معرفة صانعهم، ويزدادوا يقيناً إلى يقينهم.

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٢٧٤.

(٢) عن عطاء. معالم التنزيل ج ٢: ٢٥٨.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٢٧٥.

(٤) الكشف والبيان ج ٦: ١٦١.

﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وشعورهم ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ﴾ أي: ربكم أعلم بذلك، لا طريق لكم إلى علمه، فخذوا في شيء آخر مما يهكم.

وقرى: ﴿يُورِقُكُمْ﴾ بكسر الراء وسكونها وهو الفضة.

﴿أَيُّهَا﴾ أي: أي أهلها، فحذف، مثل: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(١).

﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أطيب وأحل وأكثر وأرخص.

﴿وَلَيْتَاطَفَ﴾ أي: وليتكلف اللطف في أمر البيع أو في أمر التخفي حتى

لا يعرف.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا يخبرن بمكانكم أحداً من أهل المدينة.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ﴾ يعلموا بمكانكم ويطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم وهي

أخبث القتلة ﴿أَوْ﴾ يدخلوكم ﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾ بالعنف ويصيروكم إليها ﴿وَلَنْ

تُفْلِحُوا﴾ إن دخلتم في دينهم ﴿أَبَدًا﴾.

وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿١١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَفِيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْمَارِ فِيهِمْ

إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَقِفْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا نَقُولَنَّ
لِشَأْنِي إِنْ فَعِلْتُ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَرَ رَبِّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

وكما أنماهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليعلم الذين
أطلعناهم على حالهم ﴿أَنْتَ وَعَدَ اللَّهُ﴾ الذي هو البعث ﴿حَقٌّ﴾ لأنَّ حالهم في
نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث.

و﴿إِذَا يَنْتَزِعُونَ﴾ يتعلق ب﴿أَعْرَضْنَا﴾ أي: أعرناهم عليهم حين ﴿يَنْتَزِعُونَ﴾
بَيْنَهُمْ ﴿أَمْرٌ دِينُهُمْ﴾ ويختلفون في البعث، فكان يقول بعضهم: يبعث الأرواح دون
الأجساد، ويقول بعضهم: يبعث الأجساد مع الأرواح؛ حتى يرتفع الخلاف
ويتبين أنَّ الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت.

﴿فَقَالُوا﴾ حين توفي الله أصحاب الكهف: ﴿أَبْنُوا﴾ على باب كهفهم
﴿بَنَيْنَا﴾ كما تبنى المقابر.

﴿قَالَ الَّذِي عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ﴾ من المسلمين وملكهم: ﴿لَنْتَخِذَنَّ﴾ على
باب الكهف ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أأحياء نيام هم أم أموات؟ فقد قيل: إنهم ماتوا، وقيل:
إنهم لا يموتون إلى يوم القيامة.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن خاض في قصتهم في زمان رسول الله ﷺ من
أهل الكتاب والمسلمين.

و﴿ثَلَاثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هم ثلاثة، وكذلك ﴿خَمْسَةٌ﴾ و﴿سَبْعَةٌ﴾.
و﴿رَأَيْبُهُمْ كُلُّهُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت صفة لـ ﴿ثَلَاثَةٌ﴾، وكذلك

﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ و﴿وَتَامَنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

وأما الواو الداخلة على الجملة الثالثة فإنها دخلت على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً عن المعرفة، تقول: جاءني رجل ومعه آخر، وجاءني زيد ومعه غلامه، وفائدة الواو تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أنّ اتصافه بها أمر ثابت مستقر، فهذه الواو تؤذن بأن قول الذين قالوا: ﴿سَبْعُهُ وَتَامَنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قول صادر عن علم لا عن رجم ظن كقول غيرهم.

ومعنى قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: رمياً بالخبر الخفي وإتياناً به، نحو قوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١) أي: يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظن كأنه قال: ظناً بالغيب، قال زهير:

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ^(٢)

أي: المظنون.

وعن ابن عباس: (حين وقعت الواو انقطعت العدة)^(٣)، يعني: لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع، ويدلّ عليه أنّه سبحانه أتبع القولين قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ وأتبع القول الثالث قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، وقال ابن عباس: (أنا من أولئك القليل)^(٤).

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ أي: فلا تجادل أهل الكتاب في أمر أصحاب الكهف

(١) سبأ: ٥٣.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى: ١٨، صدره: وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم.

(٣) تفسير الماوردي ج ٣: ٢٩٧.

(٤) تفسير الطبري ج ١٥: ١٥٠.

﴿إِلَّا﴾ جدالاً ﴿ظَهَرًا﴾ بحجة ودلالة، تقصّ عليهم ما أوحى الله إليك، وهو كقوله: ﴿وَجَادِثُهُمْ بِالنِّيْهِ هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ ولا تسأل ﴿أَحَدًا﴾ منهم عن قصّتهم.
﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ لأجل ﴿شَيْءٍ﴾ تعزم عليه: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾ الشيء
﴿عَدَاً﴾ أي: فيما يستقبل من الأوقات.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ متعلق بالنهي لا بقوله: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ﴾ لأنّه لو قال: إِنِّي فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه: إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله، وذلك ما لا مدخل فيه للنهي. وتعلّقه بالنهي على وجهين:

أحدهما: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه.
والثاني: لا تقولن ذلك إلا بأن يشاء الله أي: بمشيئة الله، وهو في موضع الحال يعني: إلا ملتبساً بمشيئة الله، قائلاً: إن شاء الله.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ [أي: مشيئة ربك]^(٢) وقل: إن شاء الله ﴿إِذَا﴾ اعتراك نسيان لذلك، يعني: ﴿إِذَا فَسَيْتَ﴾ كلمة الاستثناء ثم ذكرت فتداركها، وعن ابن عباس: (ولو بعد سنة)^(٣)، وعن الصادق عليه السلام: ((ما لم ينقطع الكلام))^(٤)، وقيل: معناه: واذكر ربك إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي.

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي﴾ بشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه ﴿رَشَدًا﴾ وأدنى خيراً ومنفعة. وقيل: معناه: لعل ربي يؤتيني من البينات على أي نبي ما هو

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) تفسير الطبري ج ١٥: ١٥١.

(٤) لم أعثر عليه في المصادر المتوفرة.

أعظم في الدلالة من نبأ أصحاب الكهف، وقد فعل سبحانه ذلك حيث قصّ عليه أخبار الأنبياء وأنباء من الغيوب بها هو أعظم من ذلك.

وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ
 اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ
 وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا
 ﴿٢٦﴾ وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ
 وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَى وَالْعَشَى يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ
 تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ
 هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ
 وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
 وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
 الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

﴿وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ... الآية﴾ بيان لما أجل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آدَانِهِمْ ...﴾

الآية ﴿٢٩﴾.

و﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان لـ ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾، وقرئ: ثلاثمائة سنين مضافاً، على

وضع الجمع موضع الواحد في التمييز، كما قال سبحانه: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿٣٠﴾.

﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي: تسع سنين، لأن ما قبله دلّ عليه.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ يريد أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم،

والحق ما أخبرك به. وروي: أن يهودياً سأل علياً عليه السلام عن مدة لبثهم، فأخبر بما في القرآن، فقال: إنا نجد في كتابنا ثلاثمائة، فقال عليه السلام: ((ذاك بسنيّ الشمس وهذا بسنيّ القمر))^(١).

ثم ذكر اختصاصه بما غاب في ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وأنه العالم بذلك، ثم جاء بما دلّ على التعجب من إدراكه السموعات والمبصرات، للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك كل سامع ومبصر، لأنّه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها.

﴿مَا لَهُمْ﴾ الضمير لأهل السماوات والأرض ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي: متول لأموالهم، وليس ﴿يُشْرِكُ فِي﴾ قضائه ﴿أَحَدًا﴾ منهم. وقرئ: ولا تشرك. بالتاء والجزم على النهي..

﴿لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ لا يقدر أحد على تبديل أحكام كلماته وتغييرها ولا ﴿يُجَدِّدُ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ وموثلاً، يقال: التحد إلى كذا: إذا مال إليه.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي: احبسها ﴿مَعَ﴾ المؤمنين ﴿الَّذِينَ﴾ يداومون على الدعاء عند الصباح والمساء، وقيل: المراد بـ﴿الْفُغْدَةِ وَالْعِشِيِّ﴾: صلاة الفجر والعصر^(٢) وقرئ: بالغدوة.

﴿وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تتجاوز عيناك عنهم بالنظر إلى غيرهم من أبناء الدنيا ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في مجالسة أهل الغنى، وهي جملة في موضع الحال. وكان النبي ﷺ حريصاً على إيمان عظماء المشركين طمعاً في إيمان أتباعهم، فأمر بالإقبال على فقراء المؤمنين كخباب وعمار وأبي ذر وغيرهم، وأن لا يرفع

(١) معالم التنزيل ج ٢: ٢٦٠.

(٢) عن قتادة. الكشف والبيان ج ٦: ١٦٦.

بصره عنهم.

﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ أي: جعلنا قلبه غافلاً بالخذلان، أو وجدناه غافلاً ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾، أولم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان، من أغفل إليه: إذا تركها بغير وسم. ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ في أفعاله ومشتهياته.

﴿فُرْطًا﴾ أي: إفراطاً وتجاوزاً للحد، ونبدأ للحق وراء ظهره، من قولهم: فرس فرط أي: متقدم للخيل.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ﴿الْحَقُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: جاء الحق وزاغت العلل فلم يبق إلا اختياركم لنفوسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك.

﴿أَعَدَدْنَا﴾ أي: أعددنا وهيناً للذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله، وشبهه سبحانه ما يحيط ﴿بِهِمْ﴾ من النار من جوانبهم بالسرادق.

﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَمْلِهِ﴾ وهو كل شيء أذيب كالنحاس والصفير، وقيل: هو دردي الزيت^(١)، وروي: أنه كعكر الزيت^(٢) فإذا قرب إليه سقطت فروة رأسه.

﴿يَشْوَى أَلْوَجُوهَ﴾ إذا قَدَّم ليشرب انشوى الوجه من حرارته ﴿يُنْسَكُ الشَّرَابَ﴾ ذلك ﴿وَسَاءَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ متكأ، من المرفق، وهو يشاكل قوله: ﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(١) عن ابن مسعود وغيره. الدر المنثور ج ٤: ٢٢١.

(٢) عن ابن عباس وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج ٤: ٢٢٠ - ٢٢١.

يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مِثْرَ كَيْنٍ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

وقع قوله: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ موقع الضمير العائد إلى اسم ﴿إِنَّ﴾،
و﴿أُولَئِكَ﴾ استئناف كلام، ويجوز أن يكون ﴿أُولَئِكَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ و﴿إِنَّا لَا
نُضِيعُ﴾ اعتراضاً.

و﴿مَنْ﴾ في ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ لابتداء الغاية، وفي ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ للتبيين،
والسندس: مارق من الديباج، والإستبرق: ما غلظ منه.

﴿مِثْرَ كَيْنٍ﴾ أي: متنعمين في تلك الجنات على السرر في
الجمال، لأن الاتكاء هيئة أهل النعم من الملوك وغيرهم.

وَأَصْرِبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَنْظِلْ
مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَلَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ
ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ
قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾

مثل سبحانه حال المؤمنين والكافرين بحال ﴿رَجُلَيْنِ﴾ متجاورين كان
﴿لِأَحَدِهِمَا﴾ بستانان أجنهما الأشجار ﴿مِنْ أَعْنَبٍ﴾ وهما محفوفتان ﴿بِنَخْلٍ﴾
يطيف النخل بهما، وبين البستانين مزرعة، وعن ابن عباس: (كانا ابني ملك في بني
إسرائيل ورثا مالاً جزيلاً، فأخذ المؤمن منها حقّه وتقرب به إلى الله، وأخذ الآخر

حقه فتملك به الجنتين والضياع والأموال)^(١).

﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلَهَا﴾ أي: كل واحدة من البستانين أعطت غلتها، و﴿ءَانَتْ﴾ محمولة على اللفظ، لأن لفظ ﴿كَلْنَا﴾ مفرد.
﴿وَلَمْ تَقْلِرْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: لم تنقص ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ أي: وشققنا وسط الجنتين ماء جارياً.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ أي: أنواع من المال، من ثمر ماله: إذا كثر. وقرئ: ثمر وثمر بضمين وبسكون الميم أيضاً في الموضعين، ويجوز أن يكون ثمر جمع ثمرة أو جمع ثمار ثم يخفف ويقال: ثمر مثل كتب، وقرئ: بفتح الثاء والميم وهو جمع ثمرة: ما يجتنى من ذي الثمرة.

﴿وَأَعَزَّنَا فِئْرًا﴾ يعني: أنصاراً وحشماً، وقيل: أولاداً ذكوراً^(٢) لأنهم ينفرون معه.

و﴿يَحَاوِرُهُ﴾ يراجعه الكلام، من حار يحور: إذا رجع.
﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ أخذاً بيد صاحبه المسلم يطوف به ويريه أملاكه ويفاخره بأمواله ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي: معجب بما أوتي، مفتخر به، كافر لنعمة ربه.
﴿وَلَيْنِ زُيْدَتْ إِلَى رَبِّي﴾ أقسم على أنه إن رد إلى ربه على سبيل التقدير كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة ﴿خَيْرًا﴾ من جنته في الدنيا، وقرئ: خيراً منهما بعود الضمير إلى ﴿الْجَنَّتَيْنِ﴾.
﴿مُنْقَلَبًا﴾ مرجعاً وعاقبة، وانتصابه على التمييز.

(١) الكشف والبيان ج ٦: ١٦٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢: ٢٨٩.

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكَ سَائِرَ
بِرِّ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن
يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ
فَتُصْبِحُ صَِصِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ
طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيط بِشَمْرِهِ فَاصْبِرْ يَبْلُغْ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ
خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ
لَهُ فِتْنَةً يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ
لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

﴿خَلَقَكَ﴾ أي: خلق أصلك ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ لأنَّ خلق أصله سبب في خلقه،
فكَانَ خلقه خلق له.

﴿ثُمَّ سَوَّكَ﴾ أي: عدلك وأكملك إنساناً معتدلاً الخلق بالغاً مبلغ الرجال.
﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾ أصله: (لكن أنا) فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون
(لكن) فالتقت النونان فأدغم، و﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، أي: الشأن ﴿اللَّهُ رَبِّي﴾،
والجملة خبر ﴿أَنَا﴾ والراجع منها إليه ياء الضمير. وقرئ بحذف ألف ﴿أَنَا﴾ في
الوصل، وقرئ أيضاً بإثباتها في الوصل والوقف جميعاً، وحسن ذلك وقوع الألف
عوضاً من حذف الهمزة، يقول لصاحبه: أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد.

﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿مَا﴾ موصولة مرفوعة المحل على خبر الابتداء، والتقدير:
الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة المحل والجزاء محذوف، والتقدير: أي شيء
شاء الله كان. والمعنى هلا ﴿قُلْتَ﴾ عند دخول ﴿جَنَّتَكَ﴾: الأمر ما شاء الله،

اعترافاً بأنها حصلت لك بمشيئة الله وفضله، وأن أمرها بيده إن شاء حال بينك وبينها ونزع بركتها عنك.

﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ إقراراً بأن قوته على عمارتها بمعونته، إذ لا يقوى أحد في بدنه وما يملكه إلا بالله.

و﴿أَنَا﴾ فصل، و﴿أَقْلَّ﴾ مفعول ثان ل﴿تَرَنَّ﴾، وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾ دلالة على أن النفر في قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ المراد به الأولاد. والمعنى: ﴿إِنْ﴾ ترني أفقر ﴿مِنْكَ﴾ فأنا أتوقع من صنع الله ﴿أَنْ﴾ يرزقني ﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّكَ﴾ ويسلبك نعمه، ويخرب جنتك لإيماني وكفرانك.

والحسبان: مصدر بمعنى الحساب، أي: مقداراً قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها، وقيل: ﴿حُسْبَانًا﴾: مرامي من عذابه: حجارة أو صاعقة^(١).

﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضاً مستوية لا نبات عليها، يزلق عنها القدم لملاستها، و﴿زَلَقًا﴾ و﴿غُورًا﴾ كلاهما وصف بالمصدر.

﴿وَأُحِيطَ﴾ به عبارة عن الهلاك، وأصل الإحاطة: إدارة الحائط على الشيء، وتقليب الكفين عبارة عن الندم والتحسر، لأنَّ النادم يفعل ذلك، فكأنه قال: فأصبح يندم ﴿عَلَى مَا أَتَقَقَّ فِيهَا﴾ أي: في عمارتها.

﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يعني: سقطت عروش كرومها على الأرض وسقطت فوقها الكروم، قالوا: أرسل الله عليها ناراً فأهلكها وغار ماؤها^(٢). ثم تمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه، ويجوز أن يكون توبة من الشرك ودخولاً في الإيمان.

(١) مجاز القرآن ج ١: ٤٠٣.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٥: ١٦٥.

وقرئ: ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ بالتاء والياء، و﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ [محمول على المعنى دون اللفظ، والمعنى: ﴿لَمْ تَكُنْ لَهُ﴾ جماعة تقدر على نصرته] ^(١) [﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾] ^(٢) أي: هو سبحانه وحده القادر على نصرته، لا يقدر أحد غيره أن ينصره، إلا أنه لم ينصره لأنه استوجب الخذلان.

﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ أي: ممتنعاً بقوته عن انتقام الله.

قرئ: ﴿الْوَلِيَّةُ﴾ بفتح الواو وكسرهما، والفتح بمعنى النصرة، والكسر بمعنى السلطان والملك.

و﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك المقام وتلك الحال النصرة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يستطيعها أحد سواه، أو السلطان لله لا يمتنع منه، أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر، يعني: إن قوله: ﴿يَلْبِسُنِي لَمَ أَشْرِكُ﴾ كلمة ألقاها الضرورة إليها.

و﴿الْحَقِّ﴾ قرئ بالرفع صفة لـ ﴿الْوَلِيَّةُ﴾، وبالجر صفة لله.

﴿هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا﴾ لأوليائه و﴿وَحَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: عاقبة، يعني: عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، وقرئ بضم القاف وسكونها.

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١٥﴾ أَمْوَالٌ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من أ.

لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّتُنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٩﴾

﴿فَاخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي: تكاثف بسببه حتى خالط بعضه بعضاً
﴿فَأَصْبَحَ هَبِيبًا﴾ متهيباً متحطماً ﴿تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾ فتنقله من موضع إلى موضع،
وقرئ: تذروه الريح. شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك
بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فطيره الرياح.

﴿وَالْبَقِيَّةُ الْفَصْلُ الْخَامِسُ﴾ هي الطاعات والحسنات يبقى ثوابها أبداً، وقيل:
هي الصلوات الخمس^(١).

خير ﴿ثَوَابًا﴾ يعني: ما يتعلق بها من الثواب، وما يتعلق بها من الأمل، لأن
صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة.

وقرئ: تسير، من سيرت، و﴿تُسِيرُ﴾ من سيرنا. وتسيرها: قلعها من
أماكنها وجعلها هباءً منثوراً، أو تسيرها في الجو.

﴿بَارِزَةً﴾ ليس عليها ما يسترها عما كان عليها.

﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ جمعناهم إلى الموقف، ويقال: غادره وأغدره أي: تركه، ومنه
الغدير: ما غادره السيل.

وشبّهت حالهم بحال الجنود يعرضون على الملك ﴿صَفًّا﴾ مصطفين
ظاهرين، ترى جماعتهم كما يرى كل واحد منهم.

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٥: ١٦٥.

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ على إرادة القول، والمعنى: قلنا لهم: لقد بعثناكم ﴿كَمَا﴾ أنشأناكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقيل: جئتمونا عراة لا شيء معكم.

﴿مَوْعِدًا﴾ أي: وقتاً لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الرسل من البعث.

و﴿الْكِتَابِ﴾ للجنس، يعني: صحائف الأعمال.

﴿يُؤَيِّلُنَا﴾ ينادون هلكتهم الخاصة من بين الهلكات.

﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ عبارة عن الإحاطة بالجميع ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ أي:

عدّها وضبطها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ في الصحف، أو وجدوا جزاء ما عملوا.

﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: لا ينقص ثواب محسن، ولا يزيد في عقاب

مسيء.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾

﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ كلام مستأنف، والفاء للتسبيب، جعل كونه من الجن سبباً

في فسقه، ومعنى فسق: خرج عما أمره به ربه من السجود، أو صار فاسقاً كافراً بسبب ﴿أَمَرَ رَبِّهٖ﴾ الذي هو قوله: ﴿تَسْجُدُوا﴾.

﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ﴾ الهمزة للإنكار والتعجب، أي: أبعد ما وجد منه تتخذونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُ أُولَٰئِكَ مِن دُونِ﴾ وتستبدلوهم بي؟! ﴿يَقْسَ﴾ البدل من الله إبليس لمن استبدله.

وقرى: ما أشهدناهم، أي: ما أحضرت إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: اعتضاداً بهم ﴿وَلَا﴾ أشهدت بعضهم ﴿خَلَقَ﴾ بعض، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١).

﴿وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا﴾ وضع ﴿الْمُضِلِّينَ﴾ موضع الضمير ذماً لهم بالإضلال، أي: فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة. وقرى: ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون، وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم يريد الجن.

والموبق: المهلك، من وبى يبق: إذا هلك. ويجوز أن يكون مصدراً أي: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ وادياً من أودية جهنم، هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً، وعن الفراء: (البين: الوصل، أي: جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة)^(٢). ويجوز أن يريد بالشركاء: الملائكة وعزيراً وعيسى، وبالموبق: البرزخ البعيد، أي: جعلنا بينهم أمداً بعيداً.

﴿فَقَطَّوْا﴾ أي: فأبقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ مخالطوها واقعون في عذابها. ﴿مَصْرِفًا﴾ أي: معدلاً.

(١) النساء: ٢٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٢: ١٤٧.

﴿أَكْثَرُ شِقْوَةٍ جَدَلًا﴾ أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها، جدلاً: خصومة ومعاراة في الباطل، وانتصابه على التمييز.

﴿أَنْ﴾ الأولى نصب، والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف، والتقدير: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ الإيمان والاستغفار ﴿إِلَّا﴾ انتظار ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهي الإهلاك ﴿أَوْ﴾ انتظار أن ﴿يَأْتِيَهُمْ﴾ عذاب الآخرة ﴿قَبْلًا﴾ عياناً. وقرئ: قبلاً أنواعاً.

وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا عَيْنِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾

جداهم: قولهم للأنبياء: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(١)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾^(٢) ونحو ذلك.

﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: ليزيلوا ويبطلوا، من إدحاض القدم وهو إزلاقها. ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾: (ما) موصولة والعائد إليها من الصلة محذوف، أي: وما أنذروا من البعث والجزاء، أو مصدرية بمعنى: وإنذارهم ﴿هُزُوًا﴾ أي: موضع

(١) يس: ١٥.

(٢) المؤمنون: ٢٤.

استهزاء.

﴿بَيَّانَتْ رَبِّهِ﴾ بالقرآن، ولذلك عاد الضمير إليه مذكراً في قوله: ﴿أَنْ يَقْفَهُهُ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن ذكر بالقرآن فلم يتذكر حين ذكر، وأعرض عنه جانباً ﴿وَسَيِّءٌ عَاقِبَةُ﴾ مَاقَدَمَتِ يَدَاهُ ﴿من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها.

ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، وجمع بعد الأفراد للحمل على لفظ (مَنْ) ومعناه.

﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾ أي: فلا يكون منهم اهتداء البتة، و﴿إِذَا﴾ جواب وجزاء يعني: أنهم جعلوا ما كان يجب أن يكون سبب الاهتداء سبباً في انتفائه.

و﴿الْفُجُورُ﴾: البليغ المغفرة ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ الموصوف بالرحمة فلا ﴿يُؤَاخِذُهُمْ﴾ عاجلاً مع استحقاقهم العذاب.

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ يعني: يوم القيامة، وقيل: يوم بدر^(١).

﴿لَنْ يَحْذُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ ملجأ ومنجأ، يقال: وأل إليه: إذا لجأ إليه، ووأل: إذا نجى.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ إشارة إلى قرى عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، و﴿الْقُرَى﴾ صفة لـ ﴿تِلْكَ﴾ و﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، و﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ خبره. ويجوز أن يكون ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ نصباً بفعل مضمر يفسره أهلكنا، والمعنى: وتلك أصحاب القرى ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ مثل ظلم قريش.

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ أي: لإهلاكهم أو لوقت إهلاكهم، وقرئ: لمهلكهم، ومعناه: هلاكهم، أو لوقت هلاكهم ﴿مَوْعِداً﴾ معلوماً، والموعِد: وقت أو

(١) تفسير الطبري ج ١٥: ١٧٤.

مصدر.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرِحُ حَقَّقَ أَتْلُغَ مَجْمَعِ
الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا
حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ
ءَاَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ
إِذْ أَوْثَقْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ
أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ
فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾

فتاه: يوشع بن نون، وسماه فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه ليأخذ منه العلم. وفي الحديث: ((ليقل أحدكم: فتاي وفتاتي، ولا يقل: عبدي وأمتي)).^(١)

﴿لَا أُبْرِحُ﴾ بمعنى: لا أزال، وخبره محذوف لدلالة الحال عليه، لأنها كانت حال سفره، فلو كان بمعنى: لا أزل على الإقامة، فلا بد أن يكون المعنى: ﴿لَا أُبْرِحُ﴾ أسير ﴿حَقَّقَ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام، وهو ملتقى بحري فارس والروم، فبحر الروم مما يلي المغرب وبحر فارس مما يلي المشرق.

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾ أو أسير زماناً طويلاً، والحقب: ثمانون سنة، أو سبعون. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أي: نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمانة على وجدان البغية، وقيل: نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، وكان سمكة مملوحة. وقيل: إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكنة فتزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت

ووقعت في الماء، وقيل: توضع يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووثب في الماء^(١).

﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ﴾ أي: طريقه ﴿فِي الْبَحْرِ سَرِيًّا﴾ أي: مسلماً يذهب فيه، صار الماء عليه مثل الطاق وحصل من الماء في مثل السرب.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت، ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رآه من حوته ووقوعه في الماء، ألقى على موسى النصب والجوع ولم يجع ولم يتعب قبل ذلك، فتذكر موسى الحوت وطلبه.

وقوله: ﴿مِنْ سَفَرِنَا هَذَا﴾ إشارة إلى مسيرهما حين جاوزا الصخرة وسارا تلك الليلة والغد إلى الظهر.

ولما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك، فكأنه ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾ ما دهاني ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾ ونسيت حديثه، وقيل: معناه: تركت الحوت وفقدته.

و﴿أَنْ أَذْكُرُ﴾ بدل من الهاء في ﴿أَنْسَيْنِيهِ﴾ أي: وما أنساني ذكره ﴿إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ وقرأ حمزة: (وما أنسانيه) وفي الفتح ﴿عَلَيْهِ اللَّهُ﴾^(٢) بضم الهاء.

و﴿عَجَبًا﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿اتَّخَذَ﴾ مثل ﴿سَرِيًّا﴾، أي: واتخذ سبيله سبيلاً عجباً وهو كونه مثل السرب، وقوله: ﴿وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرُ﴾ اعترض بين المعطوف والمعطوف عليه.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى اتخاذه سبيلاً، أي: ذلك الذي ﴿كُنَّا﴾ نطلب من العلامة.

(١) ينظر: الأقوال والقصة الدر المشرج ٤: ٢٢٩ وما بعدها.

(٢) الآية: ١٠.

﴿فَارْتَدَّا﴾ أي: رجعا في الطريق الذي جاءا منه يقصّان آثارهما ﴿قَصَصَا﴾، وقرئ: ﴿نَبَعَ﴾ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن.

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رَسُولًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ۖ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَفَهَا قَالَ أَخْرِقَهَا لِتَمُرَّ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَنَا أَقَلُّ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا وَرَكِبَتُنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَنَا أَقَلُّ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ هي الوحي والنبوة ﴿مِمَّا لَدُنَّا﴾ مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب.

وقرئ: رَشَدًا ومعناه: علمًا ذا رشد أرشد به في ديني.

﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ﴾ نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ثبوته، وعلل ذلك بأنه يأتي بما لا يعرف هو باطنه ولا يعلم حقيقته فظاهره عنده منكر. والخبر: العلم، و﴿خُبْرًا﴾ تمييز، أي: ﴿لَمْ﴾ يحيط ﴿بِهِ﴾ خبرك.

﴿وَلَا أَعْصِي﴾ في محل نصب عطف على ﴿صَابِرًا﴾ أي: ﴿سَتَجِدُنِي﴾ صابراً وغير عاص، وعلّق صبره بمشيئة الله علماً منه بشدة الأمر.

وقرى: ﴿فَلَا تَسْتَلْنِي﴾ بالنون الثقيلة، والمعنى: إن من شرط اتباعك لي أن لا تسألني ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ أفعله مما تنكره علي إذ يخفى عليك وجه حسنه ﴿حَقَّقَ﴾ أكون أنا مفسره ﴿لَكَ﴾. وهذا من أدب المتعلم على العالم والمتبوع على التابع.

﴿فَانْطَلَقَا﴾ على ساحل البحر يطلبان السفينة ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين مما يلي الماء منها، فحشاها موسى بثوبه وجعل يقول: ﴿أَخْرَقْنَاهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا﴾، وقرئ: ليغرق أهلها.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيماً، من قولهم: أمر الأمر: إذا عظم.

﴿بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: بشيء نسيت، أو بالذي نسيت، أو بنسياني، [أراد: أنه نسي وصيته ولا مؤاخذه على الناسي، وعن أبي: (إنه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام)^(١)]، أراد: إنه أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذه بالنسيان يومه أنه قد نسي، ويجوز أن يريد بالنسيان: الترك، أي: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا تَرَكَتْ من وصيتك أول مرة.

﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ أي: لا تكلفني ﴿مِنْ أَمْرٍ﴾ مشقة، وعاملني باليسر، ورهقه: غشيه، وأرهقه إياه، فكأنه قال: ولا تغشني ﴿عُتْرًا﴾ من أمري وهو اتباعه إياه، وقرئ: عُسراً بضمين.

فخرجوا من البحر وانطلقا يمشيان، فلحقيا ﴿عُلَمًا فَقَنَلَهُ﴾ الخضر.

﴿رَكْبَةً﴾ أي: طاهرة من الذنوب، وقرئ: زاكية.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: لم يقتل نفساً فيقتص منها.

(١) تفسير الطبري ج ١٥: ١٨٤.

(٢) ساقطة من أ.

﴿تُكْرَا﴾ أي: فظيعاً منكراً. وقرئ بضميتين.

[﴿أَمْرٌ أَقْلَ لَكَ﴾] ^(١) وفي زيادة ﴿لَكَ﴾ هنا زيادة العتاب على ترك الوصية.

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ۚ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْفُلُفُلُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۖ وَمَا فَعَلْتُهُ ۖ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرة، أو بعد المسألة ﴿فَلَا تُصَحِّحْنِي﴾ أي: فلا

تتابعني على صحبتك وإن طلبتها، وقرئ: فلا تُصَحِّحْنِي، أي: فلا تكن صاحبي.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد أعذرت فيما بيني وبينك إذ أخبرني أن لا

أستطيع معك صبراً. وعن النبي ﷺ: ((استحيا نبي الله موسى، فلو صبر لرأى ألفاً من العجائب)) ^(٢). وقرئ: من لدني بتخفيف النون.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) تفسير الطبري ج ١٥: ١٨٦ بالمعنى.

﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية، وقيل: أيلة^(١)، وقيل: قرية على ساحل البحر تسمى ناصرة^(٢).

﴿أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا﴾ أي: لم يضيفهما أحد من أهلها، [والتضييف والإضافة]^(٣) بمعنى، وعن النبي ﷺ: ((كانوا أهل قرية لثاماً))^(٤)، وقيل: شرّ القرى التي لا يضاف الضيف فيها، ولا يعرف لابن السبيل حقّه^(٥).

﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ أي: أشرف على أن ينهدم، استعيرت الإرادة للمشاركة والقرب كما استعير الهمّ والعزم لذلك، قال:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَزْعَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ^(٦)
وقال حسان:

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ^(٧)
وانقض: أسرع سقوطه، وهو انفعل مطاوع قضضته، وقيل: هو افعّل من النقض كأحرّ من الحمرة.

﴿فَأَقَامَهُ﴾ بيده، وقيل: مسحه بيده فقام واستوى^(٨). ولما أقام الجدار

(١) عن ابن سيرين. تفسير الطبري ج ١٥: ١٨٦.

(٢) عن الصادق عليه السلام. تفسير العياشي ج ٢: ٣٣٣.

(٣) في ب: التضييف والضيافة.

(٤) صحيح مسلم ج ٧: ١٠٦.

(٥) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٥: ١٨٦.

(٦) البيت للحارثي. مجاز القرآن ج ١: ٤١٠، وفيه: صدر بني براء....

(٧) ديوان حسان بن ثابت ج ١: ٥١٧، والبيت ساقط في ج.

(٨) عن سعيد بن جبير. معالم التنزيل ج ٢: ٢٧٠.

وكانت الحال حال افتقار إلى المطعم ولم يجدوا مواسياً، لم يملك موسى عليه السلام نفسه أن ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ﴾ اتخذت ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ حتى نسد به جوعتنا. وقرئ: لتخذت، والتاء من تخذت أصل، اتخذ افتعل منه كاتبع من تبع، وليس من الأخذ في شيء. ﴿قَالَ هَذَا﴾ أي: هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل: هذا فراق بيني وبينك، فأضاف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به.

﴿لَمَسَكِينَ﴾ لفقراء ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بها ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ ويتعيشون بها. ﴿وَرَأَوْهُمْ﴾ أمامهم كقوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾^(١)، وقيل: خلفهم^(٢)، وكان طريقهم في رجوعهم عليه، وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندي، وقرأ أبي وعبد الله: كُلُّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضْبًا. وقرأ أبي وابن عباس: وأما الغلام فكان كافراً وأبواه مؤمنين. وكلاهما قراءة أهل البيت عليه السلام.

﴿فَخَشِينَا﴾ أي: فخشنا ﴿أَن﴾ يغشى الوالدين المؤمنين ﴿طُغَيْنَا﴾ عليهما ﴿وَكُفِّرَا﴾ لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويلحق بهما بلاء، أو يعدبهما برأيه فيحملهما على الطغيان والكفران.

وقرئ: ﴿بُئِدِلَهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف. والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب، والرحم: الرحمة والعطف. الصادق عليه السلام: ((إنهما أبدلا بالغلام المقتول جارية فولدت سبعين نبياً))^(٣).

(١) المؤمنون: ١٠٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٣٠٥.

(٣) تفسير العياشي ج ٢: ٣٣٦.

واختلف في الكنز، فقيل: مال مدفون من الذهب والفضة^(١)، وقيل: كتب علم مدفونة^(٢)، وقيل: لوح من ذهب مكتوب فيه: عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله^(٣). الصادق عليه السلام: ((إنه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء))^(٤).

﴿رَحْمَةً﴾ مفعول له، أو مصدر منصوب بـ ﴿أَرَادَ رَبُّكَ﴾ لآته في معنى رحمهما، وما فعلت ما رأيت ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي: عن اجتهادي ورأيي، وإنما فعلته بأمر الله، وفي قراءة علي عليه السلام: وَمَا فَعَلْتُهُ يَا مُوسَى عَنْ أَمْرِي.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَاتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَنْبَعُ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنْبَعُ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَنْبَعُ سَبَبًا ﴿٩٢﴾

(١) عن عكرمة. تفسير الطبري ج ١٦: ٦.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٦: ٥.

(٣) عن الصادق عليه السلام. الكشف والبيان ج ٦: ١٨٨.

(٤) تفسير الطبري ج ١٦: ٥.

ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا، وقيل: ملك الدنيا مؤمنان: ذو القرنين وسليمان، وكافران: نمرود وبخت نصر^(١). واختلف فيه فقيل: كان عبداً صالحاً أعطاه الله العلم والحكمة وملكه الأرض، وقيل: كان نبياً فتح الله على يديه الأرض^(٢). وعن علي^(٣): ((كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله، فسَمِّيَ ذا القرنين، وفيكم مثله))^(٤). وقيل: سَمِّيَ ذا القرنين لأنه قد بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب^(٥)، وقيل: كان لتاجه قرنان.

والسائلون: هم اليهود، سألوه على وجه الامتحان، وقيل: سألوه أبو جهل وأشياعه^(٥).

﴿وَأَنبِئْهُمْ مِنْ﴾ أسباب ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ أرادته من أغراضه ومقاصده في ملكه ﴿سَبِيلاً﴾ طريقاً موثقاً إليه، فأراد بلوغ المغرب فاتبع سبباً يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق فاتبع سبباً وأراد بلوغ السدين فاتبع سبباً، وقرئ: ﴿فَاتَّبَعَ﴾ بقطع الهمزة، أي: فاتَّبَعَ أمره سبباً، أو أتبع ما هو عليه سبباً. وقرئ: ﴿حِمَّةٍ﴾ من حمَّت البئر: إذا صارت فيها الحمأة، وحامية، أي: حارة.

﴿وَوَجَدَ﴾ عند العين ناساً كانوا كفرة، فخيرَهم الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن

(١) الخصال: ٢٣٢.

(٢) عن عكرمة. تفسير السمرقندي ج ٢: ٣٥٩.

(٣) تفسير الطبري ج ١٦: ٨، تفسير العياشي ج ٢: ٣٣٩.

(٤) عن الزهري. الدر المنثور ج ٤: ٢٤٢.

(٥) تفسير الطبري ج ١٥: ١٢٧.

يدعوهم إلى الإسلام، فاختر دعوتهم واستمالتهم، فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على أعظم الظلم وهو الكفر فذاك هو المعذب في الدارين.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ وأصلح فله جزاء الحسنی، أي: جزاء الفعل الحسنی. وقرئ: ﴿جَزَاءً﴾ بالنصب والتنوين، ومعناه: فله المثوبة الحسنی جزاء أي: مجزية، فهو مصدر وضع موضع الحال.

﴿مِنْ أَمْرٍ نَّاسِئًا﴾ أي: لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الخراج وغير ذلك، وتقديره: ذا سر.

وقرئ: ﴿مَطْلَعٌ﴾ بفتح اللام وكسرهما وهو مصدر، والمعنى: بلغ مكان مطلع الشمس.

﴿عَلَى قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ لم يكن بها جبل ولا شجر ولا بناء، وعن كعب: (كان أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب، فإذا طلعت الشمس دخلوها، فإذا غربت تصرفوا في أمورهم ومعاشهم)^(١)، وقيل: الستر: اللباس^(٢)، وعن مجاهد: (من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض)^(٣).

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيماً لأمره.

﴿وَقَدْ أَحْطَأْنِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجنود والآلات وأسباب الملك.

﴿خُبْرًا﴾ أي: علماً تكثيراً لذلك. وقيل: يريد ﴿بَلَّغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ مثل ذلك أي: كما بلغ مغربها، وقيل: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم،

(١) عن قتادة. الكشف والبيان ج ٦: ١٩٢.

(٢) تفسير ابن عباس ج ٣: ١٩٢.

(٣) الكشف ج ٢: ٧٤٥.

ومعناه: أنهم كفرة مثلهم، وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم.

حَقَّ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ
يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي
خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ
حَقَّ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَقَّ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي
أُفْرِجْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا
لَهُ نَقَبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ
وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾

السَّدَّان: جبلان سدّ ذو القرنين ما بينهما، وقرئ: بالضم والفتح، وقيل: ما كان من عمل العباد فهو مفتوح، وما كان من خلق الله فهو مضموم، لأنّه فعل بمعنى مفعول فعله الله وخلقّه، والمفتوح مصدر فهو حدث يحدثه الناس.

و ﴿بَيْنَ﴾ انتصب على أنّه مفعول به، كما انجر بالإضافة في قوله: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾^(١). وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق.

﴿مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ قيل: هم الترك^(٢).

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها، وقرئ: يُفْقَهُونَ، أي: لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبيتونه، لأنّ لغتهم غريبة مجهولة.

(١) الكهف: ٧٨.

(٢) عن ابن جريج. الدر المنثور ج ٤: ٢٤٩.

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ اسمان أعجميان، وقرئنا: بالهمزة.

﴿مُفْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: كانوا يأكلون الناس^(١). وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه^(٢). وعن النبي ﷺ في صفتهم: ((أنه لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح))^(٣). وقيل: إنهم صنفان: طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر^(٤).

وقرئ: ﴿خَرَجًا﴾ وخراجاً، أي: جعلاً نخرجه من أموالنا، ونظيرهما النول والنوال.

﴿مَأْمَكَنِي﴾ أي: ما جعلني ربّي فيه مكيناً من كثرة المال واليسار ﴿خَيْرٌ﴾ مما تبدلونه لي من الخراج فلا حاجة بي إليه، وقرئ: بالإدغام وفكه.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: برجال وصناع يحسنون البناء وبالألات.

﴿رَدْمًا﴾ أي: حاجزاً حصيناً، والردم: أكبر من السد، قيل: حفر للأساس حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب، والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سدّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فالتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلباً^(٥).

(١) عن سعيد بن عبد العزيز. تفسير الطبري ج ١٦: ١٤.

(٢) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ٢: ٢٧٣.

(٣) تفسير الطبري ج ١٦: ١٩.

(٤) عن عليّ رضي الله عنه. الكشف والبيان ج ٦: ١٩٦.

(٥) الكشف والبيان ج ٦: ١٩٦.

والصدفان بفتحتين: جانباً الجبلين، لأنهما يتصادفان أي: يتقابلان، وقرئ:
الصدفين بضمّتين وبضمة وسكون.

والقطر: النحاس المذاب، و﴿قَطْرًا﴾ منصوب ب﴿أَفْرَغَ﴾ وتقديره: أتوني
قطراً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه. وقرئ: قال اثنتوني، أي:
جيثوني.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بحذف التاء للخفة، وقرئ: فما اصطاعوا بقلب السين
صاداً ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أن يعلوه، أي: لا حيلة لهم في صعوده لارتفاعه وملاسته،
ولا في نقبه لصلابته وثخانته.

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى السد، أي: هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده.
﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي﴾ أي: دنا مجيء يوم القيامة جعل السد دكاً، أي: مذكوكاً
مبسوطاً مسوّى بالأرض، وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك. وقرئ: ﴿دَكَاةٌ﴾
بالمدة، أي: أرضاً مستوية.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ هذا آخر حكاية قول ذي القرنين.

وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ بِمَوْجٍ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ مَّجَعًا ﴿١٠٩﴾
وَعَرَّضْنَاهُمْ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ
عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١١١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن
يُنْجُوا عِبَادِي مِن دُونِي أُولَئِكَ إِنَّا أَعَدْنَا لَهُمُ الْكَافِرِينَ نَزْلًا ﴿١١٢﴾
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِمْ فَحُطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴿١١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ
هُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١١٦﴾

﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ أي: وجعلنا بعض الخلق يوم خروج يأجوج ومأجوج ﴿يُؤْجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي: يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى، أو يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد. وقد روي: أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس، ثم يبعث الله نغفاً^(١) في أقفاثهم فتدخل أذانهم فيهلكون بها.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ وأبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها.

﴿عَنْ ذِكْرِي﴾ عن آياتي والتفكر فيها، ونحوه: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِي﴾^(٢).

﴿وَكَاؤُنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: وكانوا صماً عنه.

وقراءة أمير المؤمنين عليه السلام: أفحسب الذين كفروا، أي: أفكافيهم ومحسبهم ﴿أَنْ يَخْذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ وهم الملائكة، فهو مبتدأ وخبر، وبمنزلة الفعل والفاعل، لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل، كقولك: أقائم الزيدان، والمعنى: إن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا. وأما القراءة المشهورة فمعناها: أفحسبوا أن يتخذوهم من دوني أرباباً ينصرونهم، أي: لا يكونون لهم أولياء ناصرين، والنزل: ما يقام للنزول وهو الضيف، ونحوه: ﴿قَبَشَرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣).

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ أي: ضاع وبطل عملهم، وهم الرهبان ﴿وَهُمْ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ﴾ محسنون، وأن أفعالهم طاعة وقربة. وعن علي عليه السلام: هو كقوله: ﴿عَامِلَةٌ

(١) النغف - محرّكة -: الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم. (الصحاح: مادة نغف)

(٢) البقرة: ١٧١.

(٣) آل عمران: ٢١.

نَاصِبَةً^(١) وقال: ((منهم أهل حروراء))^(٢).

﴿فَلَا نُعِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾ أي: لا يكون لهم عندنا وزن ومقدار، ونزدي

٣٣٢

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ
رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثَلِّمٌ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ
رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

الحَوْل: التحول، يقال: حال عن مكانه حولاً، كما قالوا: عادي حبها عوداً،
أي: لا يطلبون تحولاً ﴿عَنْهَا﴾ إلى موضع آخر لكمال طيبها.

المداد: اسم ما تمد به الدواة، والمعنى: ﴿لَوْ﴾ كتبت كلمات علم الله وحكمته
و﴿كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ لها، والمراد بالبحر: الجنس ﴿لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَذَ﴾ الكلمات
﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ لنفذ أيضاً والكلمات لا تنفذ. و﴿مَدَدًا﴾ تمييز،
كقولك: لي مثله رجلاً، والمدد مثل المداد: وهو ما يمد به، وقرئ: ينفذ بالياء.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ أي: يأمل حسن ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، أو
فمن كان يخاف سوء لقاءه. والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة: أن لا يراني بعمله،
وأن لا يتبغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يريد به غيره. وعن النبي ﷺ قال: ((قال الله
عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه

(١) الغاشية: ٣.

(٢) تفسير الطبري ج ١٦: ٢٧، تفسير العياشي ج ٢: ٣٥٢.

بريء، فهو للذي أشرك))^(١). وعن الصادق عليه السلام: ((ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلا تيقظ في الساعة التي يريد))^(٢).

(١) سنن ابن ماجه ج ٢: ١٤٠٥، ح ٤٢٠٢، وينظر: الكافي ج ٢: ٢٩٥.

(٢) الكافي ج ٢: ٥٤٠.

سورة مريم

مكية، ثمان وتسعون آية، عذ الكوفي ﴿كهيعص﴾ آية ولم يعدّها غيرهم، ولم يعدّوا ﴿الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ وعدّها غيرهم.

وفي حديث أبي: ((من قرأها أُعطي من الأجر بعدد كل من صدّق بزكريا ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات... الخبر بتمامه))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من أدامن قراءة (سورة مريم عليه السلام) لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله وولده، وأُعطي في الآخرة مثل ملك سليمان بن داود في الدنيا))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ② إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ⑤ يَرْفُئِي وَزَيِّرْهُ مِن عَالِي يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥ يَنْزَكَرِيَّا

(١) الكشف والبيان ج ٦: ٢٠٥، وتمامه: وبعدد من دعا لله ولداً، وبعدد من لم يدع له ولداً.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾

قرأ أبو عمرو بإمالة (هاء) وتفخيم (ياء)، وقرأ على عكسه، وقرأ بإمالتهم.

أي: هذا ﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ ذكر يا ﴿عَبْدُهُ﴾، ف﴿ذَكَرُ﴾ مضاف إلى المفعول، و﴿رَحْمَتِ﴾ مضاف إلى الفاعل، وانتصب ﴿عَبْدُهُ﴾ لأنه مفعول ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾، والرحمة: إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً﴾ أي: دعا ربه دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ يخفيه في نفسه. وفي الحديث: ((خير الدعاء الخفي))^(١). وعن الحسن: (دعاء لا رياء فيه)^(٢). أو أخفاه لئلا يلام في طلب الولد وقت الشيخوخة.

وأضاف الوهن إلى (العظم) لأن به قوام البدن، فإذا وهن تساقطت قوته، واللام للجنس، يعني: إن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام قد أصابه الوهن، وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه، وانتشاره في شعره باشتعال النار، وأسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وجعل الشيب ممزاً، ولم يقل: رأسي اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأسه، ثم توسل إليه سبحانه بما سلف له معه من الاستجابة.

و﴿الْمَوْلَى﴾: هم العمومة وبنو العم ﴿مِنْ وَرَاءِي﴾ أي: من بعد موتي.

(١) إرشاد القلوب ج ٢: ١٥٤، مسند أحمد ج ١: ١٧٢، وفيه: خير الذكر الخفي.

(٢) الكشف ج ٣: ٣.

وقرأ علي بن الحسين ومحمد بن علي عليه السلام: خَفَّتْ الموالِي من ورائي، ومعناه: قل بنو عمي وأهلي ومن أخلفه من بعدي.

﴿وَكَاَنَتْ أَمْرًا نِي﴾ عقيماً لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ أي: ولداً يليني ويكون أولى بميراثي. وقوله: ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ تأكيد لكونه ﴿وَلِيًّا﴾ مرضياً بكونه مضافاً إلى الله وصادراً من عنده.

﴿يَرْثِي وَيَرِثُ﴾ بالجزم على الجواب للدعاء، وبالرفع على الصفة، كقوله: ﴿رِذَاءً يُصَدِّقُنِي﴾^(١). وقرأ علي عليه السلام وابن عباس وجعفر بن محمد عليهم السلام والحسن وجماعة: يَرْثِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ. ويسمى التجريد في علم البيان، وتقديره: فهب لي ولياً يرثني به وارث من آل يعقوب وهو نفسه الوارث، وهذا ضرب غريب كأنه جرد منه وارثاً، ومثله قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾^(٢) وهي نفسها دار الخلد. ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: واجعل يا رب هذا الولي مرضياً عندك ممثلاً لأمرك.

﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ لم يسم أحد بـ ﴿رَحْمَنِي﴾ قبله. وعن الصادق عليه السلام: ((وكذلك الحسين عليه السلام لم يكن له من قبل سمي، ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً، قيل له: وما كان بكاؤهما؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء، وكان قاتل يحيى ولد زنا، وقاتل الحسين عليه السلام ولد زنا))^(٣). وعن مجاهد: ﴿سَمِيًّا﴾ أي:

(١) القصص: ٣٤.

(٢) فصلت: ٢٨.

(٣) كامل الزيارات: ٧٧ باختصار.

مثلاً وشبيهاً^(١)، كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(٢)، وإنا قيل للمثل: سمي، لأن كل متشابهين يسمّى كل واحد منهما باسم شبيهه، فكل واحد منهما سمي لصاحبه. ﴿وَكَانَتْ أَمْرًا عَاقِرًا﴾ أي: كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل، فما رزقت الولد لاختلال أحد السبين، أفحين اختل السبين جميعاً أرزقه؟!.

والعتي: اليبس والجساوة في العظام والمفاصل من أجل الكبر. وقرئ: ﴿عَتِيًّا﴾ بكسر العين، وكذلك ﴿صَلِيًّا﴾^(٣)، و﴿جَنِيًّا﴾^(٤)، و﴿بُكِيًّا﴾^(٥). ﴿كَذَلِكَ﴾ الكافر رفع، أي: الأمر كذلك تصديق له، ثم ابتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾، أو هو نصب بـ ﴿قَالَ﴾، و(ذلك) إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾، ونحوه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾^(٦). ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ يعتد به. وقرئ: وقد خلقناك.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ
ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ
إِلَيْهِمْ أَنِ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ يَتَخَيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ
وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا

(١) تفسير الطبري ج ١٦: ٣٨.

(٢) مريم: ٦٥.

(٣) الآية: ٧٠.

(٤) الآية: ٦٨.

(٥) الآية: ٥٨.

(٦) الحجر: ٦٦.

﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ
يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

يعني: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي﴾ علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به ﴿قَالَ﴾: علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سوي الخلق ما بك خرس. ودلّ ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران^(١) على أنّ ذلك كان ثلاثة أيام لبليائها.

﴿فَأَوْحَى﴾ أي: أشار إليهم بيده، وقيل: كتب لهم على الأرض^(٢).

﴿سَخَّرَهَا﴾ أي: صلّوا، أو هو على الظاهر و﴿أَنَّ﴾ هي المفسرة.

﴿خُذِ الزِّكْرَ﴾ أي: التوراة ﴿يَقُورَ﴾ بجذّ وصحة عزيمة على القيام به.

﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ﴾ أي: الحكمة والنبوة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين.

﴿وَحَنَانًا﴾ وآتيانه رحمة ﴿مِّنْ﴾ عندنا وتعطفاً ونحنناً على العباد، وقيل لله عزّ

اسمه: حنان، كما قيل: رحيم على سبيل الاستعارة.

﴿وَزَكَاةً﴾ لمن قبل دينه فيكون زكياً طاهراً، وباراً.

﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ محسناً إليهما، مطيعاً لهما، طالباً رضاهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ﴾ متكبّراً

متطاولاً على الناس.

﴿عَصِيًّا﴾ عاصياً لربه.

﴿وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ﴾ منا في هذه الأحوال. وخصّه سبحانه بالكرامة والسلامة

في هذه المواطن الثلاثة التي هي أوحش المواطن: ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ فيرى نفسه خارجاً

مما كان فيه ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ فيرى أشياء ليس له بها عهد ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ﴾ فيرى نفسه

(١) الآية: ٤١.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٦: ٤٢.

في المحشر العظيم.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا
بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنَّيْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴿١٨﴾
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ
أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا
فَصَيًّا ﴿٢٢﴾ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثْتُ
قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي
قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾

﴿إِذِ﴾ بدل من ﴿مَرْيَمَ﴾ وهو بدل الاشتغال، وفيه دلالة على أَنَّ المقصود
بذكر مريم ذكر هذا الوقت لوقوع قصتها العجيبة فيه، و﴿انْتَبَذَتْ﴾ أي: اعتزلت
في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس قد تخلت للعبادة فيه، وإنَّها اتخذت النصرى
الشرق قبلة لأن مريم انتبذت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ﴾ دون أهلها ﴿حِجَابًا﴾ أي: سترًا وحاجزاً بينها وبينهم.
﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبرئيل عليه السلام، أضافه إلى نفسه تشريفاً له،
فأتاها فانتصب بين يديها في صورة آدمي شاب سوي الخلق، لم ينتقص من صورة
الآدمي شيئاً.

﴿قَالَتْ إِنَّيْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾ أرادت: إن كان يرجى منك أن
تتقي الله وتحشاه فإنِّي عائدة به منك.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ﴾ من استعذت به ﴿لَا هَبَ لَكِ﴾ لأكون سبباً في هبة ﴿عُلَّمْنَا ذِكْكِنَا﴾ طاهراً من الأدناس، أو تام في أفعال الخير، أو هو حكاية لقول الله عز وجل. وقرئ: ليهب، والضمير للرب وهو الواهب.

﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ جعل المس عبارة عن النكاح الحلال، كقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَمْسُوهُمْ﴾^(١)، ويقال في الزنا: فجر بها وما أشبه ذلك.

والبغي: الفاجرة التي تبغي الرجال، وهي فعول عند المبرد. بَغْوِي - فادغمت الواو في الياء^(٢)، وقيل: هي فعيل، ولو كانت فعولاً لكان يقال: بغو كما قيل: فلان نهو عن المنكر.

﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك فحذف، أو هو معطوف على تعليل مضمّر، أي: لنبيّن به قدرتنا ولنجعله آية.

﴿وَوَكَاتَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مقدّراً، مسطوراً في اللوح لا بد من جريه عليك، أو كان أمراً حقيقاً بأن يقضى لكونه آية ورحمة، والمراد بالآية: العبرة والبرهان على قدرة الله تعالى، وبالرحمة: الشرائع والألطف، وما كان كذلك فهو جدير بالتكوين.

[﴿فَحَمَلَتْهُ﴾]^(٣) وعن ابن عباس: (فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفع في جيب درعها فحملت من ساعتها)^(٤). وعن الباقر عليه السلام: ((فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل الولد في أرحام النساء بتسعة أشهر))^(٥). وقيل: حملته وهي

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) ينظر الكامل في اللغة والأدب ج ٢: ١٨٩.

(٣) زيادة يقتضيهما السياق.

(٤) الدر المنثور ج ٤: ٢٦٥.

(٥) الكافي ج ٨: ٣٣٢ عن الصادق عليه السلام.

بنت ثلاث عشرة سنة^(١)، وقيل: بنت عشر^(٢).

﴿فَأَنْبَذَتْ بِهِ﴾ أي: اعتزلت وهو في بطنها، كقوله تعالى: ﴿تَبْتُ بِالْذَّهْنِ﴾^(٣) أي: تبنت ودهنها فيها. والجار والمجرور في موضع الحال.
﴿قَصِيًّا﴾ بعيداً من أهلها.

و(أجاء) منقول من (جاء)، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، ونظيره: آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء.

و﴿الْمَخَاضُ﴾: تمخض الولد في بطنها، أي: ألجأها وجع الولادة ﴿إِلَى جَنْعٍ﴾ نخلة في الصحراء يابسة، ليس لها ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء، والتعريف للعهد، أي: ﴿النَّخْلَةُ﴾ المعروفة في تلك الصحراء.

وقرى: ﴿مِثُّ﴾ بالضم والكسر، يقال: مات يموت، ومات يما. و﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ أي: شيئاً حقيراً متروكاً، وهو ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الحائض، كما أنَّ الذبيح اسم ما من شأنه أن يذبح. وقرئ: ﴿نَسِيًّا﴾ بالفتح وهما لغتان كالوتر والوتر.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ عيسى أو جبرئيل، والضمير في ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ لـ ﴿النَّخْلَةِ﴾. وقرئ: مَنْ تَحْتِهَا. وقيل: كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها: ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾. وسئل النبي ﷺ عن السري، فقال: ((هو الجدول))^(٤)، قال لبيد:

(١) تاريخ الطبري ج ٢: ١٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢: ٣١٠.

(٣) المؤمنون: ٢٠.

(٤) المستدرک علی الصحیحین ج ٢: ٣٧٣.

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قَلَامُهَا^(١)

أي: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ﴾ تحت قدميك نهراً تشرين منه وتطهرين، وقيل: السري: الشريف الرفيع، من السرو يعني: عيسى عليه السلام، وعن الحسن: (كان والله عبداً سرياً)^(٢).

وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٥٥﴾ فَكُلْ
وَأَشْرَبْ وَقَرَىٰ عَيْنًا فَإِمَّا تَرَىٰ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنَأْكِلَمُ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٥٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا
تَحِيَّةً ۖ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٥٧﴾ تَأْخُذَ هَرُونَ
مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بِغِيًّا ﴿٥٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ
قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٥٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٦٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٦١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٦٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٦٣﴾

أي: واجدني ﴿إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ﴾. وقرئ: ﴿سَقَطَ﴾ بالتاء والياء
والتشديد، والأصل: تتساقط ويتساقط فادغم، وتساقط - بطرح التاء الثانية -
وتساقط - بضم التاء وكسر القاف - والتاء لـ ﴿النَّخْلَةِ﴾ والياء للجدع. و﴿رُطْبًا﴾
تميز أو مفعول على حسب القراءة، والباء في ﴿بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ﴾ مزيدة للتأكيد كما في

(١) ديوان لبید بن ربیعہ العامری: ١٧٠.

(٢) الدر المنثور ج ٤: ٢٦٩.

قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾^(١)، أو على معنى: افعلوا الهَرَبَ به. والجني: المجني، من جنيت الثمرة.

﴿فَكُلِّي﴾ يا مريم من هذا الرطب ﴿وَأَشْرِي﴾ من ماء السري، وقد جعلنا لك في السري والرطب فائدتين: إحداهما: الأكل والشرب، والأخرى: قرة العين وسلوة الصدر لكونهما معجزتين. وعن الباقر^(٢): ((لم تستشف النفساء بمثل الرطب، لأن الله أطعمه مريم في نفاسها))^(٣).

﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ﴾ أصله: ترأين إلا أنَّ الاستعمال بغير همز، والياء فيه ضمير المخاطب المؤنث، أي: إن تري ﴿أَحَدًا﴾ من البشر يسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي﴾ أوجبت على نفسي صوماً أي: صمتاً، يريد إمساكاً عن الكلام، لأنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم، وقد نهى النبي^(٤) عن صوم الصمت لأنه نسخ في شريعته^(٥). ﴿تَحْمِلُهُ﴾ حال من الضمير المرفوع في ﴿فَأَتَتْ﴾ أو من الهاء المجرور في ﴿بِهِ﴾ أو منها جميعاً.

﴿شَيْئًا قَرِيًّا﴾ أي: عظيماً بديعاً أو أمراً قبيحاً.

و﴿هَٰزُونَ﴾ كان أخاها من أبيها، وكان معروفاً بحسن الطريقة، وقيل: هو أخو موسى^(٦)، وكانت من ولده^(٧) كما يقال: يا أخا تميم أي: يا واحداً منهم، وقيل: رجل صالح أو طالح في زمانها شَبَّهَها به^(٨)، أي: كنت عندنا مثله في الصلاح، أو

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) المحاسن ج ٢: ٥٣٥ عن الصادق^(٣).

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٤: ٢٦٦، الاستذكار ج ٦: ١٩٠.

(٤) عن السدي. تفسير الطبري ج ١٦: ٥٩.

(٥) ينظر: الدر المنثور ج ٤: ٢٧٠.

شبهوها به في الفساد.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ فأومأت إلى عيسى بأن كلموه.

﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: من وجد صبياً في المهد.

أنطقه الله أولاً بأنه ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ ردّاً لقول النصارى ﴿ءَاتَيْنَا الْكِتَابَ﴾ يعني: الإنجيل ﴿وَجَعَلْنِي نَبِيًّا﴾ أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً.

﴿وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا﴾ أي: نفاعاً، معلماً للخير حيث ﴿مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ كلّفنيهما ﴿مَا﴾ بقيت ﴿حَيًّا﴾ مكلفاً.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ﴾ أي: باراً بالذي مؤدياً شكرها ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي﴾ من الجبارة الأشقياء.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله، كقولك: جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا، والمعنى: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ.

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٦﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّ لِلَّهِ بِهِ رُؤُوسَ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٩﴾ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٢﴾

أي: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قال: إني عبد الله ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، لا ما يقوله

النصارى من: أنه ابن الله، وأنه إله.

﴿قَوْلُكَ الْحَقِّ﴾ قرئ بالنصب والرفع، فالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو على أنه خبر بعد خبر، أو بدل؛ والنصب على المدح إن فُسِّرَ بكلمة الله، وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الصدق كقولك: هو عبد الله الحق لا الباطل، وإنما قيل لعيسى عليه السلام: (كلمة الله) و﴿قَوْلُكَ الْحَقِّ﴾، لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: ﴿كُنْ﴾ من غير واسطة أب، تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمي الغيث بالسماء. أي: أمره حق يقين وهم ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكّون، أو يتهاونون يتلاحون. قالت اليهود: ساحر كذاب، وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ تكذيب للنصارى وتبكيك لهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه، وأنه مما لا يتصور في العقول، وأنّ من المحال أن يكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد.

ثم بين ﴿سُبْحَنَهُ﴾ إحالته بأنّ من أراد شيئاً من الأجناس كلها أوجده بـ﴿كُنْ﴾ فهو منزّه من شبه الحيوان الوالد.

وقرئ: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها، فالفتح على معنى: ولأنه ﴿رَبِّي وَرَبُّكَ فَاعْبُدُوهُ﴾، أو بأنّه أي: بسبب ذلك فاعبدوه، والكسر على استئناف الكلام. و﴿الْأَحْزَابُ﴾: اليهود والنصارى، وقيل: النصارى، لأنهم تفرّقوا ثلاث فرق: نسطورية، ويعقوبية، وملكاوية^(١).

وقال: ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ لأنّ منهم من ثبت على الحق.

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٦: ٦٥.

﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف، أو من وقت الشهود، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم، وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألستهم وأيديهم وأرجلهم بسوء أفعالهم، أو من مكان الشهادة أو وقتها.

﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْصِتْ﴾ أي: ما أسمعهم وأبصرهم، ولا يوصف الله بالتعجب، والمراد: إن إسماعهم وإبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صماً عمياً في الدنيا.

﴿لَكِنَّ الْفَالِغُونَ﴾ وقع الظاهر موقع المضمّر إيذاناً بأن لا ظلم أعظم من ظلمهم حيث أغفلوا النظر والاستماع.

﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب، وحكم بين الخلائق بالعدل، وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار. و﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ أو منصوب بـ﴿الْحَسْرَةِ﴾، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يتعلق بقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، و﴿أَنْذَرُهُمْ﴾ اعتراض، أو يتعلق بـ﴿أَنْذَرُهُمْ﴾ والمعنى: وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: نميت سكانها، فلا يبقى فيها مالك ولا متصرّف.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ

وَلِيًّا ﴿١٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَابِرْهُمْ لِيْن لَمْ تَنْتَهَ
لَا زُجْمَكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿١٦﴾ قَالَ سَلِمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ
رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿١٧﴾ وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿١٨﴾
فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿١٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ
صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٢٠﴾

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ في القرآن، والصدّيق: من أبنية المبالغة، أي: المبالغ في الصدق
وكثير التصديق لكتب الله وأنبياؤه، وكان ﴿نَبِيًّا﴾ في نفسه.

و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وما بينهما اعتراض، أو يتعلق به ﴿كَانَ﴾
أي: كان جامعاً لخصائص الصّديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات
في أحسن ترتيب، فطلب منه العلة أولاً في عبادته ﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ مع أن
العبادة لا يستحقّها إلا المنعم الذي له غاية الإنعام، وهو الله الخالق الرازق الذي
منه أصول النعم.

ثم دعاه إلى اتباعه بأن قال: ﴿قَدْ جَاءَنِي مِنَ اللَّهِ عَلِيمٌ﴾ بالله والمعرفة به ﴿مَا
لَمْ يَأْتِكَ﴾، ثم نهاه عن عبادة ﴿الشَّيْطَانِ﴾ وطاعته فيما يدعوه إليه، وذكر عصيان
الشیطان للرحمن واستكباره، ثم خوفه سوء العاقبة لما هو فيه.

وصدّر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله: ﴿يَتَأْتِيَ﴾ استعطافاً له، والتاء
في ﴿يَتَأْتِيَ﴾ عوض من ياء الإضافة، فلا يقال: يا أبتي. وقرئ: يا أبت - بفتح
التاء ..

و﴿مَا﴾ في ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾ و﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ يجوز أن تكون موصولة وموصوفة، والمفعول في ﴿لَا يَسْمَعُ﴾ و﴿لَا يُبْصِرُ﴾ غير منوي، والمراد: ما ليس به استماع ولا إبصار، و﴿شَيْئًا﴾ في موضع المصدر، أي: شيئاً من الغناء، أو مفعول به من قولهم: أغن عني وجهك، أي: أبعد عني.

﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي﴾ أي: أ معرض أنت عن عبادة آلهتي التي هي الأصنام، وزاهد فيها؟ ﴿لَئِنْ لَمْ﴾ تمتنع عن هذا ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: لأرميتك بلساني، يريد الشتم والذم، ومنه الرجيم: الرمي باللعن؛ أو لأقتلنك من رجم الزاني؛ أو لأطردنك رمياً بالحجارة. وأصل الرجم: الرمي بالرجام.

﴿مَلِيًّا﴾ أي: زماناً طويلاً، من الملاوة. وعطف ﴿وَأَهْجُرَنِي﴾ على محذوف، أي: لأرجمنك فاحذرنى واهجرني.

﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ سلام توديع ومتاركة ومباعدة منه، كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١). ويجوز أن يكون دعاء له بالسلامة استمالة، ويدل عليه أنه وعده الاستغفار. والحفي: البليغ في البر والألطف، يقال: حفي به وتحفي به.

﴿وَأَعَزِّزْ لَكُمْ﴾ أي: وأتحنى منكم جانباً، أراد مهاجرته إلى الشام.

﴿وَادْعُوا رَبِّي﴾ أي: أعبدوه، ومنه قوله ﷺ: ((الدعاء هو العبادة))^(٢)، ويجوز أن يريد بالدعاء ما حكاه الله في سورة الشعراء^(٣)، وقوله: ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ فيه تعريض لشقاوتهم بدعاء آلهتهم مع التواضع لله عز اسمه في كلمة ﴿عَسَىٰ﴾.

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) الكافي ج ٢: ٤٦٧، مسند أحمد ج ٤: ٢٦٧.

(٣) الآيات ٨٣-٨٩.

ولما فارقههم وتركهم وهب الله سبحانه ﴿لَهُمْ﴾ أولاداً أنبياء، وأراد بالرحمة: النبوة، وعن الحسن: (المال والبنون)^(١)، وهي عامة في كل خير ديني ودنيوي أوتوه، ولسان الصدق: الثناء الحسن، وعبر باللسان عما يوجد باللسان، كما يعبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية، قال:

إِنِّي أَتَنِّي لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَا^(٢)

أي: رسالة، ولسان العرب: لغتهم وكلامهم.

﴿عَلَيْهَا﴾ أي: مرتفعاً، فكل أهل الأديان يتولونه ويشنون عليه وعلى ذريته، وقيل: معناه: أعلينا ذكرهم بأن محمداً وأمه يذكرونهم بالجميل، ويصلون عليهم إلى يوم القيامة.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾
وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا
أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ
وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ
رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ
ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ
هَدَيْنَا وَأَجْنَبَيْنَا إِذَا ثُلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

قري: ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام وكسرهما، ومعناه بالكسر: إنه أخلص العبادة

(١) الكشف والبيان ج ٦: ٢١٨ عن الكلبي.

(٢) البيت لأعشى باهلة. ملحق ديوان الأعشى: ٢٦٦، وبقية: من علو لا عجب منها ولا سخر.

عن الشرك والرياء، وأخلص نفسه وأسلم وجهه لله، وبالفتح: إنه الذي أخلصه الله. والرسول: من الأنبياء الذي معه كتاب، والنبى: الذي ينبى عن الله وإن لم يكن معه كتاب.

و﴿الْأَيْمَنَ﴾ من اليمين، أي: من ناحية ﴿الطُّورِ﴾ اليمنى، أو من اليمين فيكون صفة لـ ﴿الطُّورِ﴾، ﴿وَقَرْنَتْهُ﴾ حيث كَلَمناه بغير واسطة ملك ورفعنا منزلته. ﴿يَحْيَا﴾ أي: مناجياً كلياً.

﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ أي: من أجل رحمتنا له ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ هارون.

﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ إذا وعد بشيء وفى به، وذكر بصدق الوعد وإن كان غيره من الأنبياء كذلك، تشريفاً له وإكراماً، أو لآتة المشهور من خصاله، وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) فوفى، وعن ابن عباس: (إنه واعد رجلاً أن ينتظره في مكان ونسي الرجل فانتظره سنة)^(٢).

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ وقومه ﴿بِالصَّلَاةِ﴾ والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم، ولأنهم أولى بذلك من سائر الناس، وهو كقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣)، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾^(٤)، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾^(٥).

قيل: سَمِي ﴿إِدْرِيسَ﴾ لكثرة دراسته كتاب الله. وفيه نظر، لأن الاسم

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) تفسير الماوردي ج ٣: ٣٧٦.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) التحريم: ٦.

(٥) طه: ١٣٢.

أعجمي، ولذلك امتنع من الصرف، ولو كان إفعيلاً من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية فكان يجب أن ينصرف.

والمكان العليّ: شرف النبوة والقربة من الله، وقد أنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة، وهو أوّل من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود، وهو أوّل من خطّ بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، وقيل: لأنّه رفع إلى السماء الرابعة^(١) أو السادسة^(٢).

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس عليه السلام.

و﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ للبيان، لأنّ جميع الأنبياء منعم عليهم، و﴿مِنْ﴾ الثانية للتبعيض. والبكي: جمع باك، كالسجود والقيود في جمع ساجد وقاعد.

خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْعِيقِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

يقال: خلفه: إذا عقبه، ثمّ يقال في عقب الخير: خلف - بالفتح - وفي عقب السوء خلف - بالسكون - كما قيل: وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشرّ، وعن

(١) عن أبي سعيد الخدري. تفسير الطبري ج ١٦: ٧٣.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٦: ٧٢.

ابن عباس: (هم اليهود)^(١)، وقيل: ﴿أَصَاغُوا الصَّلَاةَ﴾ بتأخيرها عن أوقاتها^(٢).
﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ رَوَا عَنْ عَلِيٍّ: ((من بنى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور))^(٣). وكل شرّ عند العرب غيٍّ، وكل خير رشاد، قال:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يُحْمَدِ النَّاسُ أَمْرُهُ وَمَنْ يَغْوَ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لَانِيَا^(٤)

وقيل: يريد جزاء غيٍّ^(٥)، كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٦) أي: مجازاة أثام، أو ﴿غِيًّا﴾ عن طريق الجنة، وقيل: غيٍّ: واد في جهنم^(٧).

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقصون ﴿شَيْئًا﴾ من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه.
﴿جَنَّتْ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿الْجَنَّةِ﴾، لأنَّ ﴿الْجَنَّةَ﴾ اشتملت عليها. قيل: إنّ المأتي مفعول بمعنى فاعل، والوجه: أنّ الوعد هو الجنة وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحساناً، فمعناه: ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ مفعولاً منجزاً.

﴿لَغَوًّا﴾ أي: فضول كلام لا طائل فيه، وهو تنبيه على وجوب تجنب اللغو حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها ﴿إِلَّا﴾ تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم، أي: فإن كان ذلك لغواً ف﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ إلا ذلك، فيكون من قبيل قول الشاعر:

(١) الكشف ج٣: ٢٦.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ٧٤.

(٣) الكشف والبيان ج٦: ٢٢١.

(٤) البيت للمرقش الأصغر. الشعر والشعراء ج١: ٢١٥، وفيه: ومن يلق....

(٥) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٣٣٦.

(٦) الفرقان: ٦٨.

(٧) عن ابن عباس مرفوعاً. الدر المنثور ج٤: ٢٧٨.

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفُهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ^(١)

كانت العرب تكره الوجبة، وهي الأكلة الواحدة في اليوم الواحد، فأخبر سبحانه أَنَّ ﴿لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ وهي العادة المحمودة، ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير.

وقرئ: ﴿نُورٌ﴾ بالتشديد، والمعنى: يبقی عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث، وقيل: أورشوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا^(٢).
﴿وَمَا نَنْزِلُ﴾ حكاية قول جبرئيل عليه السلام حين استبطأه رسول الله، والتنزل له معنيان: أحدهما: النزول على مهل، والآخر: النزول على الإطلاق. والمراد هنا: أَنَّ نزولنا وقتاً بعد وقت ليس ﴿إِلَّا بِأَمْرِ﴾ الله ﴿لَهُ مَا﴾ قدامنا ﴿وَمَا خَلَفْنَا﴾ من الجهات والأماكن وما نحن فيها، فلا نتنقل من جهة إلى جهة إلا بأمره ومشيته، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما بقي منها والحال التي نحن فيها، وقيل: ما مضى من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة^(٣).

﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما بين النفختين وهو أربعون سنة. وقيل: الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض^(٤).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي: تاركاً لك يا محمد، كقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾^(٥)، وقيل: وما كان ربك ناسياً لأعمال العاملين.

(١) ديوان النابتة الذبياني: ١١.

(٢) عن ابن شودب. الدر المنثور ج ٤: ٢٧٨.

(٣) عن الربيع وغيره. تفسير الطبري ج ١٦: ٧٨.

(٤) الكشف والبيان ج ٦: ٢٢٣.

(٥) الضحى: ٣.

وكيف يجوز النسيان والغفلة على من له ملك ﴿التَّسَنُّوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾
 فحين عرفته بهذه الصفة ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَأَسْطَرِ﴾ لمشاق ﴿عِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ،
 سَعِيًّا﴾ أي: مثلاً وشبيهاً، أي: إذا صحَّ أن لا معبود إلا هو وحده لم يكن بد من
 عبادته. وعن ابن عباس: (لا يسمّى أحد الرحمن غيره)^(١)، وقيل: لم يسم شيء بالله
 قط^(٢).

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ
 الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ
 وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ
 مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ
 هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا
 مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا
 ﴿٧٢﴾ وَإِذَا ثُنِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ
 الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ
 هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَءً يَا ﴿٧٤﴾

يجوز أن يكون المراد بـ ﴿الْإِنْسَانُ﴾ الجنس بأسره، لما كانت هذه المقالة موجودة
 في جنسهم أسندت إلى جميعهم، وأن يكون بعض الجنس وهم الكفرة. وانتصب
 ﴿إِذَا﴾ بفعل مضمّر يدلّ عليه ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾، لأنّ ما بعد لام الابتداء لا
 يعمل فيها قبله، ودخلت ﴿مَا﴾ للتوكيد، كأنهم قالوا: أحقّ أنّا سنخرج أحياء بعد
 الموت؟! والواو عطفت ﴿لَا يَذْكُرُ﴾ على ﴿يَقُولُ﴾، والمعنى: أيقول ذلك ولا

(١) الدر المنثور ٤: ٢٧٩.

(٢) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ٣: ٩.

يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى، فإن تلك أعجب وأدلّ على قدرة الصانع، إذ أخرج الجواهر من العدم إلى الوجود على غير مثال سبق من غيره. وأما الثانية فقد تقدّمت نظيرتها وليس فيها إلا ردّها على ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ دليل على هذا المعنى. وقرئ: ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ﴾ بالتخفيف.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه.

أقسم سبحانه باسمه مضافاً إلى رسول الله ﷺ، تفخياً لشأنه ورفعاً لقدره، ويجوز أن تكون الواو في ﴿وَالشَّيَاطِينِ﴾ للعطف، وأن تكون بمعنى مع، أي: يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أضلوهم، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة ﴿ثُمَّ﴾ يحضرون ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ متجائنين مستوفزين على الركب، متخاصمين يتبرأ بعضهم من بعض، ومثله: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾^(١).

والشبهة هنا هي الطائفة التي شاعت، أي: تبعت غاوياً من الغواة، والمعنى: نستخرج ﴿مِنْ كُلِّ﴾ طائفة من طوائف الغي والضلال أعتاهم وأعصاهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب، تقدّم أولاهم بالعذاب فأولاهم، ويجوز أن يريد بأشدّهم ﴿عَيْنًا﴾: رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم، فإنهم ضلال ومضلّون، كقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(٢).

واختلف في إعراب ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ فقال الخليل^(٣): (إنّه مرفوع على الحكاية،

(١) الجاثية: ٢٨.

(٢) العنكبوت: ١٣.

(٣) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري، صاحب العربية والعروض، له كتاب العين المشهور، توفي سنة ١٧٥ هـ على قول. ينظر: بغية الوعاة ج ١: ٥٥٧.

والتقدير: لنزاعن الذين يقال فيهم أشد^(١)، وقال سيويه: (هو مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة ﴿أَيُّهُمْ﴾، وأصله: لنزاعن من كل شيعة أيهم هو أشد منصوباً)^(٢).

﴿وَإِنْ مَنَكُمْ﴾ التفات إلى الإنسان، ويعضده قراءة ابن عباس: منهم. أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور، فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود: دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار النار بغيرهم، وعن ابن مسعود والحسن: (هو الجواز على الصراط، لأنّ الصراط ممدود عليها)^(٣)، وعن ابن عباس: (قد يرد الشيء الشيء وإن لم يدخله، كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾^(٤)، ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله)^(٥)، وعن مجاهد: ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا^(٦)، لقوله ﷺ: ((الحمى من فيح جهنم))^(٧)، و((الحمى حظ كل مؤمن من النار))^(٨).

وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى ظاهر.

والحتم مصدر حتم الأمر: إذا أوجبه فسمي به الموجب، أي: وكان ورودهم واجباً على الله، أوجبه على نفسه وقضى به.

(١) الكتاب ج ٢: ٣٩٩.

(٢) الكتاب ج ٢: ٣٩٩.

(٣) الدر المنثور ج ٤: ٢٨١.

(٤) القصص: ٢٣.

(٥) الكشف ج ٣: ٣٤.

(٦) تفسير الطبري ج ١٦: ٨٣.

(٧) صحيح البخاري ج ٤: ١٤، المجازات النبوية: ٤٢٢ باختلاف.

(٨) مسند الشهاب ج ١: ٧٢، الكافي ج ٣: ١١٢.

وقرى: ﴿تُنَجِّي﴾ وننجي - بالتشديد والتخفيف .. ﴿جِثْيًا﴾ حال، وهو جمع جاث.

﴿يَنْتَبِ﴾ ظاهرات الحجج، مبيّنات المقاصد، وهي حال مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾^(١).

وقرى: مقاماً - بالضم - وهو موضع الإقامة، وقرى بالفتح وهو موضع القيام.

والندي: المجلس وحيث ينتدي القوم، والمعنى: إنهم إذا سمعوا الآيات قالوا: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ من المؤمنين بها والجاحدين لها أوفر حظاً من الدنيا.

و﴿كَمْ﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِنْ﴾ تبين لإيهامها، أي: كثيراً من القرون أهلكنا، و﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ في موضع نصب صفة ل﴿كَمْ﴾.

والأثاث: متاع البيت. وقرى: ﴿وَرِيًّا﴾ بالهمزة وغير الهمزة وهو فعل بمعنى مفعول من رأيت، ومن لم يهمز قلب الهمزة ياء وأدغم، ويجوز أن يكون من الرّي الذي هو النعمة والترفيه، من قولهم: ريان من النعم.

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ
جُودًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ
الضَّالِّحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي
كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ
اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ
مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنُزِّلُهُ، مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

المعنى: مَدَّ ﴿لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: أمهله وأملى له في العمر، فأتى به على لفظ الأمر ليعلم بذلك أنه حتم مفعول لا محالة كالمأمور به، ليقطع عذر الضال إذ عمره ما يمكنه التذكر فيه، أو يكون في معنى الدعاء بأن يمهله الله، أو بمعنى: فليعيش ما شاء فإنه لا ينفعه طول عمره.

﴿حَقَّ إِذَا رَأَوْا﴾ الموعود رأي العين: ﴿إِنَّمَا الْعَذَابُ﴾ في الدنيا وهو ظفر المسلمين بهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً ﴿وَأَمَّا السَّاعَةُ﴾ أي: يوم القيامة، وما ينالهم من النكال، فحينئذ يعلمون أن الأمر على عكس ما قدروه، وأنهم ﴿شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ لا ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ كما قالوه.

و﴿حَقَّ﴾ هذه هي التي تحكى بعدها الجمل، والجملة هي قوله: ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ... فَسَيَعْلَمُونَ﴾. والندي: المجلس الجامع لوجوه القوم.

﴿وَيَزِيدُ﴾ معطوف على موضع ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾، والمعنى: يزيد في ضلال الضلال بخذلانه، ويزيد في هداية المهتدين بتوفيقه.

﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ﴾ وهي أعمال الآخرة كلها ﴿خَيْرٌ﴾ ثواباً من مفاخرات الكفار ﴿وَخَيْرٌ﴾ مرجعاً وعاقبة أو خير منفعة، من قولهم: ليس لهذا الأمر مرد وهو أرد عليك أي: أنفع، قال:

وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدًا^(١)

ولما كانت رؤية الشيء طريقاً إلى علمه وصحة الخبر عنه، استعملوا أرأيت في معنى أخبر، والفاء جاءت للتعقيب، فكأنه قال: أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك وهو العاص بن وائل: كان لخباب بن الأرت عليه دين

فتقاضاه، فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، فقال: لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً، ولا حين تبعث. قال: فإني لمبعوث؟! فإذا بعثت سيكون لي مال وولد فأعطيك^(١).

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ من قولهم: أطلع الجبل: إذا ارتقى إلى أعلاه، والمعنى: أو قد بلغ من عظمة قدره أن ارتقى إلى علم الغيب حتى علم أننا سنؤتيه مالاً وولداً ﴿أَرِ أَخْذَ عِنْدَ﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾؟ فإن ما ادعاه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين. وقرئ: ولداً وهو جمع ولد.

﴿كَلاً﴾ ردع وتنبه على الخطأ، أي: هو مخطئ فيما تصوره لنفسه وتمناه، فليرتدع عنه.

﴿وَنَرِيَّهُ، مَا يَقُولُ﴾ أي: ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه.

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ وحيداً بلا مال ولا ولد ولا عدة ولا عدد.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ نَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُزُّ الْجِبَالُ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾

أي: ليتعزوا بآلهتهم بأن يكونوا لهم شفعاء في الآخرة.

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم وإنكار لتعزّزهم بهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ الضمير للآلهة أي: سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون: والله ما عبدتمونا، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ قَالَوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١)، أو للمشرّكين، أي: ينكرون أن يكونوا عبدوها كما في قوله: ﴿وَاللهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٢).

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ هو في مقابلة ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾ والمراد: ضد العزّ وهو الذل والهوان، أي: يكونون عليهم ضدّاً لما قصدوه وذلاً لهم لا عزّاً، أو يكونون عليهم عوناً، والصد: العون، لأنّه يضاده بإعانتته عليه، وإنّما وُحِدَ لأنّهم كشيء واحد في تضامهم وتوافقهم، كقوله ﷺ: ((وهم يد على من سواهم))^(٣).

﴿تَوَزُّؤُهُمْ أَرْأَى﴾ أي: تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، وتهيجهم وتغريهم لها بالوساوس، والمعنى: خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولم نحل بينهم وبينهم بالإلجاء.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح منهم، فليس بينك وبين هلاكهم إلا أياماً معدودة قليلة. وعن ابن عباس: أنّه كان إذا قرأها بكى وقال: (آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلّك، آخر العدد دخول قبرك)^(٤). وعن ابن السّمك^(٥): (إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما

(١) النحل: ٨٦.

(٢) الأنعام: ٢٣.

(٣) أمالي المفيد: ١٨٧، سنن النسائي ج ٨: ١٩.

(٤) الكشف ج ٣: ٤٢.

(٥) أبو عمرو عثمان بن أحمد الدقاق (ابن السّمك) من أهل بغداد، كان مكثراً من الحديث ويقال له الباز الأشهب، مات في ربيع الآخر سنة ٣٤٤ هـ ببغداد ودفن بمقبرة باب الدّير. ينظر: الأنساب ج ٣: ٢٩٠.

أسرع ما تنفذ^(١).

ذكر ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفاة على الملوك ينتظرون فضله وإكرامه، وذكر الكافرين بأنهم يساقون إلى النار باستخفاف وإهانة كأنهم إبل عطاش تساق إلى الماء.

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ الواو ضمير العباد، ودل عليه ذكر ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ و﴿الْمُجْرِمِينَ﴾. و﴿مَنْ أَخَذَ﴾ بدل، ويجوز أن تكون علامة الجمع على لغة من قال: أكلوني البراغيث، والفاعل ﴿مَنْ أَخَذَ﴾ لأنه في معنى الجمع، وإن نصبت ﴿مَنْ أَخَذَ﴾ على تقدير حذف المضاف جاز، أي: ﴿إِلَّا﴾ شفاعة من اتخذ، والمراد: لا يملكون أن يشفع لهم، واتخاذ العهد هو الاستظهار بالإيمان والإقرار بوحداية الله وتصديق أنبيائه وأوليائه. وقيل: إن المعنى: لا يشفع إلا من أطلق الرحمن له الشفاعة وأذن له فيه كالأنبياء والأئمة وخيار المؤمنين. وعن ابن مسعود: إن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: ((أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً؟ قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يقول: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك بأنني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وإنك إن تكلمني إلى نفسي تقرّبي من الشرّ وتباعدي من الخير، وإنّي لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفيني به يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد. فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة))^(٢).

والإد: العظيم المنكر، وقيل: العجب.

(١) الكشف والبيان ج ٦: ٢٣٠.

(٢) الكشف والبيان ج ٦: ٢٣١.

وقرئ: ﴿تَكَادُ﴾ بالياء والتاء، وقرئ: ينفطرون من الانفطار، و﴿يَنْفَطَرْنَ﴾.

و﴿هَذَا﴾ أي: مهدودة، أو تهدّ هذا، أو مفعول له أي: لأنها تهدّ. و﴿أَنْ دَعَوْا﴾ يجوز أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في ﴿مِنْهُ﴾؛ ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفشاء الفعل أي: لأن دعوا، فيكون قد علل الخور بالهدّ، والهدّ بدعاء الولد للرحمن؛ ومرفوعاً بأنّه فاعل ﴿هَذَا﴾ أي: ﴿تَحْتَخِرُ﴾ لأنّ هدها دعاء الولد للرحمن.

وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا
﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا
يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا
﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ
تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

انبغي مطاوع بغى: إذا طلب، أي: ﴿مَا﴾ يتأتى لله اتخاذ الولد، وما يتطلب له لو طلب مثلاً لأنّه مستحيل.

﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ﴾ أي: حصرهم بعلمه، والمعنى: ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة ومن الناس ﴿إِلَّا﴾ وهو يأتي ﴿الرَّحْمَنِ﴾ أي: يأوي إليه ﴿عَبْدًا﴾ منقاداً لا يدعي لنفسه ما يدعيه هؤلاء له.

﴿وَكُلُّهُمْ﴾ مقهورون، متقلبون في ملكوته، وهو محيط بهم وبجمل أمورهم وتفصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من أحوالهم، وكل واحد منهم يأتيه

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ منفرداً، بريئاً من هؤلاء المشركين.

﴿وَدًّا﴾ عن ابن عباس: (يعني يحبهم الله ويحبهم إلى خلقه)^(١)، وروي عن الباقر عليه السلام وجابر بن عبد الله: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً، فقالهما، فنزلت))^(٢). وعن قتادة: (ما أقبل العبد إلى الله تعالى إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه)^(٣).

بلغ هذا القرآن وبشّر به وأنذر ﴿فَإِنَّمَا﴾ أنزلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهو اللسان العربي، و﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ لك لتبشّر وتنذر. واللذ: جمع الألد وهو الشديد الخصومة بالباطل، الآخذ في كل لديد أي: كل جانب من الجدال، يريد أهل مكة. ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ تخويف لهم، و﴿نُحِشُّ﴾ من أحسنه: إذا شعر به، ومنه الحاشّة.

والركز: الصوت الخفي، أي: لا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت، وكانوا أكثر أموالاً وأكبر أجساماً وأشدّ خصاماً من هؤلاء، فحكم هؤلاء حكمهم.

(١) تفسير الطبري ج ١٦: ١٠٠.

(٢) شواهد التنزيل ج ١: ٣٥٩. الكشف والبيان ج ٦: ٢٣٣.

(٣) تفسير الطبري ج ١٦: ١٠٠.

سورة طه

مكية، وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي، اثنان بصري، عدّ الكوفي: ﴿طه﴾، ﴿تُسَبِّحُكَ كَثِيرًا﴾، ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾، ﴿لِنَفْسِي﴾، ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾، ﴿رَأَيْتُهُمْ ضَلُّوا﴾، وعدّ البصري: ﴿فَتُونَا﴾، ﴿مِنِّي هُدًى﴾، ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

في حديث أبي: ((من قرأها أُعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((لا تدعوا قراءة (طه)، فإن الله يحبها ويحبّ من يقرأها، ومن أدامن قراءتها أعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بها عمل في الإسلام، وأُعطي من الأجر حتى يرضى))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكُرَ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

(١) الكشف ج ٣: ١٠٠ مرسلًا.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

قرئ بتفخيم الطاء وإمالة الهاء، وقرئ بإمالتها وتفخيمها، وعن الحسن: (طه) وفسر بأنه أمر بالوطء، وأن النبي ﷺ كان يقوم في تهجدته على إحدى رجليه، فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معاً، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام^(١)، والأصل طأ، فقلبت همزته هاء، أو قلبت ألفاً في يطأ ثم بني عليه الأمر، والهاء للسكت.

﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ إن جعلت ﴿طه﴾ اسماً للسورة احتمل أن يكون خبراً عنه وهو مبتدأ و﴿الْقُرْآنَ﴾ أوقع موقع الضمير لأن السورة قرآن، واحتمل أن يكون جواباً له وهو قسم.

﴿لَتَشْقَى﴾ أي: لتتعب هذا التعب، وكان عليه يصلي الليل كله ويعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم، فأمره الله سبحانه أن يخففه على نفسه. والشقاء يجيء بمعنى التعب، ومنه المثل: (أتعب من راضٍ مهر وأشقى من راضٍ مهر)^(٢).

﴿تَذَكَّرَ﴾ علة للفعل، و﴿لَتَشْقَى﴾ كذلك، إلا أن هذا وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس بفاعل الفعل المعلن، والمعنى: لكن أنزلناه لتذكر به من يخشى الله. والتذكرة بمعنى التذكير.

﴿تَنْزِيلًا﴾ أي: تنزل تنزيلاً، ويجوز أن ينصب ب﴿أَنْزَلْنَا﴾ لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، أو يكون بمعنى: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وما بعد ﴿تَنْزِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ تعظيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته.

(١) ينظر تفسير القمي ج ٢: ٥٧.

(٢) مجمع الأمثال ج ١: ٢٦٠.

و﴿الْعَلَى﴾ جمع العليا تأنيث الأعلى، ووصف ﴿السَّوَاتِ﴾ بذلك دلالة على عظم اقتدار من يخلق مثلها في علوها.

و﴿الرَّحْنُ﴾ مرفوع على المدح على تقدير: هو الرحمن، والجملة التي هي ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ يجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف، وأن تكون مع ﴿الرَّحْنُ﴾ خبرين للمبتدأ.

ولما كان الاستواء ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ الذي هو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى على العرش بمعنى: ملك، ونحوه: قولهم: يد فلان مبسوطة أي: هو جواد، ويده مغلولة أي: هو بخيل، من غير تصور يد ولا غل ولا بسط.

﴿وَمَا تَحْتِ الْأَرْضِ﴾ أي: ما في ضمن الأرض من الكنوز والأموات.
﴿يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ وهو ما أسرته إلى غيرك ﴿وَأَخْفَى﴾ من ذلك وهو ما أخطرته ببالك، أو ما أسرته في نفسك ﴿وَأَخْفَى﴾ منه وهو ما ستره فيها، والمعنى: وإن تجهر بذكر الله وغيره فاعلم أنه غني عن جهرك لأنه يعلم السر وأخفى منه.
و﴿الْحُسْنَى﴾ تأنيث الأحسن.

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا
إِنِّي نَسِيتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى
﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ
إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخَذْتُكَ بِأُذُنَيْكَ
﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي
﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى
﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾

ثم قفاه بقصة موسى ﷺ ليقتردي به في الصبر على تكاليف الرسالة ومقاساة الشدائد.

و﴿إِذْ﴾ ظرف ل﴿حَدِيثُ﴾ أو مفعول ل(اذكر). استأذن موسى ﷺ شعبياً في الخروج إلى أمه، وخرج بأهله، فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة، وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولم ينقذح زناده، ف﴿رَأَى نَارًا﴾ من بعيد ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ في مكانكم.

﴿إِنِّي ءَاسِسْتُ﴾ أي: أبصرت، والإيناس: الإبصار البين الذي لا شبهة فيه، وقيل: هو إبصار ما يؤنس به^(١)، ولما كان الإيناس متيقناً حقيقته بلفظة (إِنَّ)، ولما كان الإينان بالقبس - وهو النار المقتبسة - ووجود الهدى متوقعين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع فقال: ﴿لَعَلِّي﴾ لئلا يعد ما ليس الوفاء به مستيقناً.

وأراد ب﴿هُدًى﴾ قوماً يهدونه إلى الطريق، أو ينفعونهم بهداهم في أبواب الدين، لأن أفكار الأبرار مغمورة بالهمم الدينية في جميع أحوالهم، والمعنى: ذوي هدى، أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى.

وقرى: آتٍ - بالفتح - أي: ﴿نُودِيَ﴾ بآتي ﴿أَنَارُكَ﴾. ومن كسر المعنى: نودي فليل: ﴿يَتَمُوسَى﴾، أو لأن النداء ضرب من القول، والمعنى في تكرير الضمير: توكيد الدلالة وتحقيق المعرفة. وروي: إنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها تتوقد فيها نار بيضاء، وسمع تسبيح الملائكة، ورأى نوراً عظيماً لم تكن الخضرة تطفئ النار ولا النار تحرق الخضرة، فعلم أنه لأمر عظيم، فبهت فألقيت عليه السكينة^(٢).

(١) التبيان ج ٧: ١٦٢.

(٢) الكشف والتبيان ج ٦: ٢٣٩.

ثم نودي: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أمر بخلع النعلين لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، وقيل: ليباشر الوادي بقدميه متبركاً به واحتراماً له^(١).

﴿طَوَى﴾ قرئ بالتنوين وغير التنوين بتأويل المكان والبقعة، وقيل: سمي به لأنه قدس مرتين فكأنه طوي بالبركة كرتين^(٢).

﴿وَأَنَا أَخَفَرْتُكَ﴾ أي: اصطفتيك للرسالة، وقرئ: وأنا اخترناك.

﴿لَمَّا يُوحَى﴾ تعلق اللام بـ ﴿اسْتَمِعْ﴾ أو بـ ﴿اخْفَرْتُكَ﴾، و(ما) موصولة أو مصدرية.

﴿لَذِكْرِي﴾ أي: لتذكرني فإن ذكرني أن أعبد ويصلي لي، أو لتذكرني فيها لأن ﴿الصَّلَاةَ﴾ تشتمل على الأذكار، وعن مجاهد: (لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها)^(٣)، وقيل: لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق، أو لذكرني خاصة لا تشوبه بذكر غيري، أو لأوقات ذكرني وهي مواقيت الصلاة. واللام مثلها في قولك: جئتكم لوقت كذا ولست مضين، ومثله قوله: ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٤)، وقيل: إنه ذكر الصلاة بعد نسيانها^(٥) أي: أقمها متى ذكرت كنت في وقتها أو لم تكن، وروي ذلك عن الباقر عليه السلام^(٦)، وكان ينبغي أن يقال: لذكرها، ولكنه على حذف المضاف أي: لذكر صلاتي، أو لأنه إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله.

(١) عن الحسن. تفسير الطبري ج ١٦: ١٠٩-١١٠.

(٢) عن الحسن. تفسير الطبري ج ١٦: ١٠٩-١١٠.

(٣) الكشف ج ٣: ٥٥ دون نسبة إلى مجاهد.

(٤) الفجر: ٢٤.

(٥) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج ٤: ٢٩٤.

(٦) الكافي ج ٣: ٢٩٣ بالمعنى.

﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ أي: فلا أقول: هي ﴿ءَانِيَةٌ﴾ لفرط إرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به. وفي مصحف أبي: أكاد أخفيها من نفسي، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام.

﴿لَتُجْزَى﴾ يتعلّق بـ ﴿ءَانِيَةٌ﴾، ﴿بِمَا تَسْعَى﴾ أي: بسعيها.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ عن تصديقها، والضمير للقيامة أو عن الصلاة.

﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ بالقيامة، ولا يهولتك كثرة عددهم ووفور سوادهم فإن بناء أمرهم على اتباع الهوى.

﴿فَتَرَدَّى﴾ أي: فتهلك.

وَمَا تِلْكَ بِبِمِيسِكَ يَمْوَسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا
عَلَيْنَا وَأَهْشَأُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ
أَلْفَهَا يَمْوَسَى (١٩) فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى
جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا
الْكُبْرَى (٢٣) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي
صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا
قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَازِنُونَ آخِي (٣٠) أَشَدُّ بِهِ
أَزْرَى (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ تَسْحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا
(٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَى (٣٦)

﴿بِمِيسِكَ﴾ في موضع الحال، والعامل فيه معنى الإشارة، وإنها سأله ليريه عظم ما يفعلها بها، وينبئه على باهر قدرته.

﴿أَتَوَكَّنْهُ عَلَىٰ أُعْيُنَيْهَا﴾ أَعْتَمَدَ عَلَيْهَا إِذَا مَشِيَتْ أَوْ وَقَفَتْ عَلَىٰ رَأْسِ الْقَطِيعِ.
 ﴿وَأَهْمُّهُنَّ﴾ أَي: أَخْبَطُ الْوَرَقِ ﴿بِهَا عَلَىٰ﴾ رُؤُوسِ ﴿عَنِّي﴾ تَأْكُلُهُ.
 ﴿وَلَوْ فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَىٰ﴾ أَي: حَاجَاتُ أُخْرَى، قَالُوا: انْقَطَعَ لِسَانُهُ مِنَ الْهَيْبَةِ
 فَأَجْمَلَ.

﴿سَتَعْنَى﴾ أَي: تَمْشِي بِسُرْعَةٍ وَخَفَةِ حَرَكَةٍ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: (انْقَلَبَ ثُعْبَانًا
 ذَكَرًا يَتَلَعَّ الصَّخْرَ وَالشَّجَرَ، فَلَمَّا رَأَاهُ مُوسَى خَافَ)^(١).
 وَلَمَّا ﴿قَالَ﴾ سَبْحَانَهُ: ﴿حُذِّهَا وَلَا تَخَفْ﴾ بَلَغَ مِنْ ذَهَابِ خَوْفِهِ أَنْ أَدْخَلَ
 يَدَهُ فِي فَمِهَا وَأَخَذَ بِلَحْيِهَا.

وَالسَّيْرَةُ: مِنَ السَّيْرِ كَالرَّكْبَةِ مِنَ الرُّكُوبِ ثُمَّ نَقَلْتُ إِلَىٰ مَعْنَى الطَّرِيقَةِ فَقِيلَ:
 سِيرَ الْأَوَّلِينَ، فَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الظَّرْفِ أَي: ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ فِي طَرِيقَتِهَا
 ﴿الْأُولَىٰ﴾ أَي: فِي حَالِ مَا كَانَتْ عَصَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِ(أَعَادَ)،
 أَوْ يَنْتَصِبُ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ وَالْمَعْنَى: سَنُعِيدُهَا سَائِرَةً ﴿سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ حَيْثُ كُنْتَ
 تَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا وَلَكَ ﴿فِيهَا﴾ الْمَآرِبُ الَّتِي عَرَفْتَهَا.

﴿وَأَضْمَمْتُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إِلَىٰ جَنْبِكَ تَحْتَ الْعِضْدِ مُسْتَعَارٌ مِنْ جَنَاحِ
 الطَّائِرِ.

﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ كُنَايَةٌ عَنِ الْبَرَصِ كَمَا كُنِيَ عَنِ الْعُورَةِ بِالسَّوَاءِ^(٢). رَوَى:
 أَنَّهُ ﷺ كَانَ آدَمَ^(٣)، فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ مَدْرَعَتِهِ ﴿بَيْضَاءَ﴾ لَهَا شُعَاعٌ كَشَعَاعِ الشَّمْسِ

(١) الدر المنثور ج: ٤، ٢٩٥.

(٢) كما قال عز وجل: ﴿مَا وَوَرَيْ غَنَمًا مِنْ سَوَآئِبِهِمَا﴾. الأعراف: ٢٠.

(٣) آدم: أسمر. (الصحيح: مادة آدم)

يغشي البصر^(١).

وقوله: ﴿بَيَّضَاءَ﴾ و﴿ءَايَةً﴾ حالان، و﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ حال من معنى ﴿بَيَّضَاءَ﴾ أي: ابيضت من غير سوء، ويجوز أن ينتصب ﴿ءَايَةً﴾ بإضمار خذ ونحوه، وتعلّق به ﴿لِنُرِيكَ﴾ أي: خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴾ أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا، ويجوز أن يكون التقدير: لنريك من آياتنا فعلنا ذلك.

ولما أمره سبحانه بالذهاب ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ عرف أنه كلف أمراً عظيماً، فسأل ربّه أن يشرح صدره حتى لا يضجر ولا يغتم، ويستقبل الشدائد بجميل الصبر، وأن يسهّل عليه أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مقاساة الخطوب الجليلة، وعن ابن عباس: (كان في لسانه رتة^(٢)) لما روي من حديث الجمرة^(٣).

واختلف في زوال العقدة: فقليل: انحلت عن لسانه وزالت، وهو الصحيح لقوله: ﴿أَوْتَيْتَ سَوْءَكَ يَمْوَسَّىٰ﴾، وقيل: بقي بعضها^(٤) لقوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾^(٥).

والوزير من الوزر، لأنّه يتحمل عن الملك أوزاره، أو من الوزر، لأنّ الملك يعتصم برأيه، أو من المؤازرة وهي المعاونة. ﴿وَزِيْرًا﴾ و﴿هَارُونُ﴾ مفعولان لـ ﴿أَجْعَلُ﴾ أي: اجعل هارون وزيراً ﴿لِي﴾ فقدّم عناية بأمر الوزارة، وقيل:

(١) الكشف والبيان ج ٦: ٢٤٢.

(٢) الرتة: العجمة في الكلام. (الصاحح: مادة رت).

(٣) تاريخ الطبري ج ١: ٢٠١.

(٤) عن الجبائي. التبيان ج ٧: ١٧٠.

(٥) القصص: ٣٤.

إِنَّ الْمَفْعُولِينَ ﴿لِي وَزِيرًا﴾ و﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ عطف بيان. وقرأ ابن عامر: اشدد، وأشركه على الجواب..

والأزر: القوة، وأزره: قواه، أي: اجعله شريكى في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك ونزايد الخير.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: عالماً بأحوالنا، وأن هارون نعم المعين لى والشاد لعضدى.

والسؤل: الطلبة، فعل فى معنى مفعول كالحبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول.

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾
 أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ
 عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾
 إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ
 إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَلَّتِ نَفْسًا فَجَنَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ
 وَفَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْسِي
 ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا
 فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا
 لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَن يُقِرَّطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن
 يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأَنبَاهُ
 فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ
 جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ
 أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا﴾ أي: ألهمناها ﴿مَا﴾ يلهم، وهو ما كان سبب نجاتك من القتل، أو بعثنا إليها ملكاً كما بعثنا إلى مريم.

﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ في اليم أي: ضعيه وألقيه، وهي ﴿أَنِ﴾ المفسرة، لأنّ الوحي بمعنى القول، والضمائر كلها ترجع إلى موسى.

﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ وهو شط البحر، كأنه أمر البحر كما أمر أم موسى، وهذا على طريق المجاز جعله كذي تميز، أمر بذلك لطبع، لما كانت مشيئته عز اسمه إلقاءه إلى الساحل ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ وهو فرعون، لأنّه تصوّر أنّ ملكه ينقرض على يده.

﴿مَتَى﴾ إن تعلق بـ ﴿الْقَيْتُ﴾ فالمعنى: إني أحببتك ومن أحبه الله أحبه القلوب، وإن تعلق بمحذوف هو صفة لـ ﴿مَحَبَّةٌ﴾، فالمعنى: ﴿الْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ﴾ واقعة ﴿مَتَى﴾ قد ركزته أنا في القلوب وزرعته فيها ولذلك أحبتك فرعون وكل من رآك.

و﴿تُصْنَعُ﴾ معطوف على علة مضمرة، مثل: ليعطف عليك ونحوه، أو حذف المعلل أي: ولتصنع فعلت ذلك. والمعنى: ولتربي وتغذى ويحسن إليك وأنا أراعيك كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، وكما تقول للصانع: اصنع هذا على عيني أنظر إليك ليكون صنيعك على حسب ما أريده منك. وقرئ: ولتصنع بالجزم وسكون اللام أو كسرها على أنّه أمر.

والعامل في ﴿إِذْ تَمْشِي﴾: ﴿الْقَيْتُ﴾ أو ﴿تُصْنَعُ﴾، أو يكون بدلاً من ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا﴾.

وروي: أنّ أخت موسى عليه السلام لما قالت لها أمه: قصّيه، اتبعت موسى متعرّفة خبره، فرأتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها لأنّه كان لا يقبل ثدي امرأة، فقالت:

﴿هَلْ أَدْلَكُنَّ﴾ فجاءت بأم موسى فقبل ثديها^(١).

﴿وَقُلْتَ نَفْسًا﴾ يعني: القبطي الذي استغاثه عليه الذي هو من شيعة فوكزه فقتله ﴿فَتَجِنَّاكَ مِنْ﴾ غم القصاص ومن بأس فرعون.

و﴿فُونًا﴾ يجوز أن يكون مصدرًا على فعول في المتعدي كالشكور والشبور، وأن يكون جمع فتن أو فتنه كبدور في جمع بدره، أي: ﴿فَتَنَّاكَ﴾ ضرورًا من الفتن فتنه بعد فتنه، وذلك أنه ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، وألقته أمه في البحر، وهم فرعون بقتله، وقتل القبطي، وأجر نفسه عشر سنين. والفتنة: المحنة وكل ما يشق على الإنسان.

و﴿مَدَيْنَ﴾ على ثمانين مراحل من مصر.

﴿عَلَى قَدَرٍ﴾ على مقدار من الزمان يوحي فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة، وقيل: معناه: سبق في قدري وقضائي أن أكلّمك في وقت بعينه، فجئت على ذلك القدر^(٢).

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ اتخذتك صنيعتي وخالصتي، واختصصتك بكرامتي.

﴿وَلَا لَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ الونى: الفتور والتقصير، يعني: ولا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما كنتما، أو يريد بالذكر تبليغ الرسالة أي: لا تضعفا في ذلك ولا تقصرا.

والقول اللين: نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ

(١) العرائس: ١٠٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٢: ١٧٩.

فَتَخْشَى ﴿١﴾، وقيل: عداها شباباً لا يهرم بعده، وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت ﴿٢﴾، واذها على رجائكما وطمعكما فعل من يبذل أقصى وسعه وطاقته، وإنما أرسلهما إليه مع علمه بأنه لا يؤمن، إلزاماً للحجة.

﴿يَتَذَكَّرُ﴾ أي: يتأمل فينصف من نفسه ويدعن للحق ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ أن يكون الأمر كما تصفان.

﴿نَخَافُ﴾ أي: نخاف ﴿أَنْ﴾ يعجل ﴿عَلَيْنَا﴾ بالعقوبة، يقال: فرط منه فعل أي: سبق، وفرس فرط: يسبق الخيل.

﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ أي: يجاوز الحد في الإساءة بنا.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالحفظ والنصرة، أي: حافظكما وناصركما ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ما يجري بينكما وبينه، وكانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون، والقبط يعذبونهم بتكليف الأعمال الشاقة والسخرة في كل شيء.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: بمعجزة وبرهان على ما ادعيناه وسلام الملائكة، أو السلامة من عذاب الله ﴿عَلَى﴾ المهتدين، و﴿الْعَذَابَ عَلَى﴾ المكذبين.

قَالَ فَمَنْ رَبِّكُمَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ

(١) النازعات: ١٨، ١٩.

(٢) عن السدي. معالم التنزيل ج ٣: ١٦.

وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا
فَكَذَّبَ وَإِنِّي ﴿٥٦﴾

خاطب الاثنين ووجه النداء إلى موسى، لأن الأصل في النبوة موسى، أو حمله خبثه على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون. ﴿خَلَقَهُ﴾ مفعول أول لـ ﴿أَعْطَى﴾ أي: أعطى خلقه يعني: خليقته ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاجون إليه، أو مفعول ثان بمعنى: أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يوافق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يطابق الاستماع، وكذلك باقي الأعضاء. وقيل: أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة أي: زوجه^(١)، وقرئ: خَلَقَهُ، أي: كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه.

﴿مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ أي: ما حال الأمم الماضية في السعادة والشقاوة؟ فأجاب بأن علم أحوالها مكتوب ﴿عِنْدَ رَبِّي﴾ اللوح المحفوظ، لا يخطئ شيئاً ولا ينساه، وقيل: لا يتركه حتى يجازيه، أي: ﴿لَا يَضِلُّ﴾ كما تضل أنت ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ كما تنسى يا مدعي الربوبية.

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ صفة لـ ﴿رَبِّي﴾ أو خبر مبتدأ محذوف. مهذاً أي: مهدها مهذاً، أو يمهدونها فهي لهم كالمهد الذي يمهد للصبي، وقرئ: ﴿مَهْدًا﴾ أي: فراشاً وبساطاً.

﴿وَسَلَّكَ لَكُمُ﴾ أي: حصل لكم فيها سبلاً ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم على طريقة الالتفات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٦: ١٣١.

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴿١١﴾ وفيه تخصيص بآنا نحن نقدر على مثل ذلك ولا يدخل تحت قدرة أحد.

﴿أَزَوَجًا﴾ أصنافاً، و﴿شَقَى﴾ جمع شتيت. والنبات: مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع، يعني: إنها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل. والمعنى: قائلين: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾ حال من الضمير في ﴿أَخْرَجْنَا﴾ أي: مبيحين أكلها والانتفاع بها.

﴿أَرْزَنَهُ أَيَيْنَا كُلُّهَا﴾ يعني: الآيات التسع، أي: معجزاتنا الدالة على صدق موسى عليه السلام ﴿فَكَذَّبَ﴾ بجميع ذلك ﴿وَأَيَّ﴾ أن يؤمن.

قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأَيِّنَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا الْجَوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لِسِحْرَيْنِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقِكُمُ اللَّيْلِ ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَمْوَسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا لَسَعَى ﴿٦٦﴾

قوله: ﴿بِسِحْرِكَ﴾ تعلل من فرعون، وإلا فلا يخفى على أحد أن ساحراً لا

يقدر على أن يخرج ملكاً مثله من أرضه بالسحر، ويلوح من كلامه هذا أنه كان يخاف منه أن يغلبه على ملكه.

﴿مَوْعِدًا﴾ مصدر بمعنى الوعد على تقدير مضاف محذوف، أي: مكان موعد، والهاء في ﴿تُخْلِفُهُ﴾ للموعد، و﴿مَكَانًا﴾ بدل من المكان المحذوف، وهو بمعنى الوقت في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ أي: وقت الموعد ﴿يَوْمُ الزَّيْنَةِ﴾ وهو يطابق ما تقدم معنى وإن لم يطابقه لفظاً من حيث أنَّ الاجتماع يوم الزينة لا بد أن يكون في مكان مشهور، فبذكر الزمان يعلم المكان.

ويجوز أن لا يقدر في الأول مضاف محذوف ويكون المعنى: اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه، وينتصب ﴿مَكَانًا﴾ بالمصدر، ويكون ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ معناه: وعدكم وعد يوم الزينة. وقرئ: لا نخلفه - بالجزم - على جواب الأمر. وقرئ: سِوَى، وسِوَى بكسر السين وضمها، ومعناه: منصفاً بيننا وبينك أي: يستوي مسافته على الفريقين. وقرئ: يوم الزينة - بالنصب - وهو مثل قولك: قيامك يوم الجمعة، فيكون ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ مصدراً والظرف خبراً عنه، أو على تقدير: إنجاز موعدكم يوم الزينة.

و﴿أَنْ يُحْشَرَ﴾ في موضع جر، أي: موعدكم يوم الزينة وحشر الناس، فيكون معطوفاً على ﴿الزَّيْنَةِ﴾، أو في موضع رفع، أي: إنجاز موعدكم وحشر الناس ﴿شُحِّي﴾ في يوم الزينة، وهو يوم عيد كان لهم في كل عام، وقيل: يوم كانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون ذلك اليوم^(١)، وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون ظهور دين الله وعلو كلمته وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الناس.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ أي: انصرف ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي: حيلته ومكره وذلك

جمعه السحرة.

﴿لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا تكذبوا على الله بأن تدعوا آياته ومعجزاته سحراً. قرئ: فَيَسْحَتُكُمْ، وَفَيَسْحَتُكُمْ. والسحت والإسحات بمعنى وهو الاستئصال.

﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: تشاوروا وتجادبوا أهداب القول.

﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ يعني: السحرة، ونجواهم: إن غلبنا موسى اتبعناه، وقيل: إن كان ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر^(١). ولما ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا﴾ قالوا: ما هذا بقول ساحر.

قال فرعون وقومه للسحرة: إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ، وهي لغة بلحرت بن كعب، جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها ألف كعصا وسلمى ولم يقلبوها ياء في الجر والنصب، وقيل: ﴿إِنْ﴾ هنا بمعنى: نعم، وساحران خبر مبتدأ محذوف تقديره: لهما ساحران، وقرئ: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ وهو مثل قولك: إن زيد لمنطلق، واللام هي الفارقة بين (إن) النافية والمخففة من الثقيلة، وقرأ أبو عمرو: إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ على الوجه الظاهر، وقرئ: هذان بتشديد النون وهو لغة.

و﴿الْمُتَنِّي﴾ تأنيث الأمثل، وهو الأفضل والأشبه بالحق، والمعنى: ﴿يُرِيدَانِ﴾ أن يصرفا وجوه الناس إليهما. وقيل: الطريقة: اسم لوجوه الناس وأشرفهم الذين هم قدوة لغيرهم^(٢)، ويقال أيضاً للواحد: هو طريقة قومه، وقيل: إِنَّ

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٦: ١٣٦.

(٢) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ١٦: ١٣٨.

طريقتهم المثلث: بنو إسرائيل وكانوا أكثر القوم عدداً ومالاً^(١)، أي: يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهم لقول موسى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٢).

﴿فَاَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي: أزمعوه واجعلوه مجمعاً عليه حتى لا تختلفوا، وهذا قول فرعون للسحرة أو قول بعض لبعض، وقرئ: فاجمعوا، ويعضده قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾.

﴿ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا﴾ أي: مصطفين مجتمعين ليكون أشد هيبتهن.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ أي: فاز من غلب وعلا.

﴿أَنْ تُلْقَى﴾ مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا، أو منصوب بفعل مضمر معناه: اختر أحد الأمرين، وهذا التخيير منهم حسن أدب وخفض جناح له.

﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ﴾: (إذا) هذه للمفاجأة، والتقدير: فإذا جابههم وعصيتهم خيلة إليه السعي، وقوله: ﴿أَنَّهُ تَنَعَّى﴾ فاعل ﴿يُخِيلُ﴾، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ يرجع إلى موسى عليه السلام، وقيل: إلى فرعون. وقرئ: تخيل - بالتاء - على أن يكون مسنداً إلى ضمير الحبال والعصي، ويكون ﴿أَنَّهُ تَنَعَّى﴾ بدلاً من الضمير وهو بدل الاشتغال، كقولك: أعجبني زيد علمه.

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿١٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى
﴿١٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجُودًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ
وَمُوسَى ﴿٢٠﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٦: ١٣٨.

(٢) طه: ٤٧.

عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا صَلَينَكُم
فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن
نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَينَتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ
إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا عَامِنَا بِمَا رَبُّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا
وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

أوجس الخوف: أضرمت شيئاً منه، وكان إيجاس الخيفة من موسى ﷺ للجبلية
البشرية عند رؤية أمر فظيع، وقيل: لأجل أن يتخالج فيه شك على الناس فلا
يتبعوه^(١).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ فيه تقرير لقهره وغلبته، وتأکید بالاستثناف وبكلمة
التحقيق وبتكرير الضمير وبلاد التعريف وبلطف العلو - وهو الغلبة الظاهرة -
وبلفظ التفضيل.

قرئ: تلقف - بالرفع - على الاستثناف أو على الحال، أي: ألقها متلقفة،
وقرئ: تلقف بالتخفيف.

﴿مَا صَنَعُوا﴾ أي: ما زوروا وافتعلوا ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ أي: الذي صنعوه ﴿كَيْدٌ﴾
سحر، أي: ذوي سحر، أو بين الكيد بسحر كما بين المائة بدرهم، لأن الكيد يكون
سحراً أو غير سحر، ومثله: علم فقه. وقرئ: كيد ساحر، وخذ لأن القصد معنى

الجنسية لا معنى العدد، يدلّ عليه قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ أي: هذا الجنس ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ هو كقولهم: أينما كان، وأية سلك.

وها هنا حذف أي: فألقى عصاه فتلقفت ما صنعوا ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾. وعن عكرمة: (لما سجدوا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة)^(١).

﴿قِيلَ إِنَّ آذَانَ لَكُمْ﴾ أي: من غير إذني.

﴿إِنَّهُ لَكِبَرُكُمْ﴾ أي: رئيسكم وأسحركم وأستاذكم ومعلمكم.

﴿مِنْ خَلْفٍ﴾ هو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، لأنّ كل واحد من العضوين يخالف الآخر بشيئين: بأنّ هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال. و﴿مِنْ﴾ لا ابتداء الغاية، لأنّ القطع مبتدأ من مخالفة العضو العضو، والجار والمجرور في موضع الحال، أي: لأقطعتها مختلفات.

﴿فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ شبه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء في وعائه فهذا معنى (في).

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ﴾ أيها السحرة ﴿إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا﴾ يريد الملعون نفسه وموسى عليه السلام، بدليل قوله: ﴿ءَامَنَّا لَهُ﴾، واللام مع الإيذان لغير الله في القرآن كقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقيل: يريد الله تعالى.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا﴾ أتانا ﴿مِنْ﴾ المعجزات وعلى ﴿الَّذِي فَطَرَنَا﴾ أي: خلقنا، أو هو قسم أي: والله الذي فطرنا.

(١) الدر المنثور ج ٤: ٣٠٣.

(٢) التوبة: ٦١.

﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانعه فإننا لا نرجع عن الإيمان، أو فاحكم ما أنت حاكمه.

﴿هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ منصوبة على الظرف.

﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾ روي: إنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً، ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر، فإن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى فرعون إلا أن يعملوا، فذلك إكراههم^(١).

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ لنا منك وثوابه ﴿أَبْقَى﴾ لنا من ثوابك.

والآيات الثلاث بعد حكاية قولهم، وقيل: هي خبر من الله عز وجل.

﴿مُجْرِمًا﴾ أي: كافراً.

و﴿الْعَلَى﴾ جمع العليا تأتيث الأعلى.

و﴿تَزَكَّى﴾ تطهر من أدناس الذنوب، وعن ابن عباس: (قال: لا إله إلا الله)^(٢).

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي
الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ
فَغَشَّيَهُمْ مِنْ آلَمٍ مَا غَشَّيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾
يَبْقَى إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا
تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى
﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾

(١) عن عبد العزيز بن أبان. معالم التنزيل ج ٣: ١٨.

(٢) الكشف ج ٣: ٧٧.

وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَنْتَرَى
وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ
وَأَضَلُّهُمْ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ
يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفُطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ
أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر، فاجعل ﴿لَهُمْ طَرِيقًا فِي
الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: يابساً، من قولهم: ضرب له في ماله سهماً، أو ضرب اللبن أي:
عمله، وأصل اليبس مصدر.

﴿لَا تَخَفْ﴾ حال من الضمير في ﴿فَأَضْرِبْ﴾، وقرئ: لا تخف، على
الجواب.

﴿دَرْكًا﴾ هو اسم من الإدراك، أي: لا يدركك فرعون وجنوده ولا
يلحقونك. وإذا قرئ: لا تخف - بالجزم - ففي ﴿لَا تَخْشَى﴾ وجهان: أن يكون
مقطوعاً من الأول أي: وأنت لا تخشى، وأن يكون الألف للإطلاق من أجل
الفاصلة كقوله: ﴿فَأَضْلُوا السَّبِيلَ﴾^(١).

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ من جوامع الكلم المستقلة بالمعاني الكثيرة مع قلتها، وفيه
تفخيم للأمر.

و﴿مَا هَدَى﴾ تهكم به لقوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٢).
﴿يَبْقَىٰ إِتْرَكَيلَ﴾ خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون، أي:

(١) الأحزاب: ٦٧.

(٢) غافر: ٢٩.

قلنا لبني إسرائيل أو للذين كانوا في عهد نبيّنا ﷺ من الله عليهم بما فعل بأسلافهم. وقرئ: أنجيتكم، وواعدتكم، ورزقتكم. وقرئ: وعدناكم. ذكرهم النعمة في إنجائهم وإهلاك عدوهم وفيما وعد موسى ﷺ من المناجاة بجانب ﴿الطُّورِ﴾ وكتب التوراة في الألواح، ونسب المواعدة إليهم حيث كانت لنبيّهم ولقبائهم، وإليهم رجعت منافعها التي بها قوام دينهم.

﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ أي: لا تعدوا حدود الله تعالى.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أي: فيجب عليكم عقوبتي، من حلّ الدين يحلّ: إذا وجب أداؤه، وقرئ: فيحلّ - بضم الحاء - أي: فينزل، لأنّ الغضب بمعنى العقوبة ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ﴾ بالضم والكسر.

﴿فَقَدْ هَوَى﴾ أي: هلك، وأصله: أن يسقط من جبل، كما قيل:

هَوَى مِنْ رَأْسٍ مَرْقَبَةٍ فَفُتَّتْ تَحْتَهَا كَبِدُهُ^(١)

أي سقط سقوطاً لا نهوض بعده.

﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ أي: استقام واستمر عليه حتى يموت. وعن الباقر ﷺ: ((ثم

اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت))^(٢).

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ أي شيء عجل بك عنهم؟ وكان قد مضى مع النقباء إلى

الطور، ثم تقدّمهم شوقاً إلى كلام ربّه.

﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ ﴿هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ يدركونني عن قريب، وسبقتهم

إليك حرصاً على تحصيل رضاك.

(١) لم أعثر على قائله في المصادر المتوفرة.

(٢) تفسير فوات: ٢٥٧، شواهد التنزيل ج ١: ٣٥٧.

﴿فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ يريد الذين خلفهم مع هارون، أضاف سبحانه الفتنة إلى نفسه والضلال إلى السامري، ليدل على أن الفتنة غير الإضلال، أي: امتحانهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال وأوقعهم فيه بقوله: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾. والمراد بالفتنة: تشديد التكليف عليهم بما حدث فيهم من أمر العجل، ليظهر المؤمن المخلص من المنافق.

والوعد الحسن: هو أن وعدهم إعطاء التوراة التي فيها هدى ونور. و﴿الْعَهْدُ﴾: الزمان، يريد مدة مفارقتهم، يقال: طال عهدي بك أي: طال زماني بسبب مفارقتك، وهم وعدوه أن يقيموا على ما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا مواعده بعبادتهم العجل.

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَّا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُومُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْزُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُكَ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾

﴿بِمَلِكِنَا﴾ قرئ بالحركات الثلاث، أي: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ بأن ملكنا أمرنا، أي: لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه، ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده.

والمعنى: حملنا أحمالاً ﴿مَنْ﴾ حلي القبط التي استعرتها مناهمهم ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي. وقرئ: ﴿حَمَلْنَا﴾ أي: جعلنا نحمل أوزار القوم.

﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أراهم أنه يلقي حلياً في يده، وإنما ألقى التربة التي أخذها من موطئ فرس جبرئيل.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ من الحفرة ﴿عِجْلاً جَسَداً﴾.

﴿فَنَسِيَ﴾ أي: فَنسي موسى أن يطلبه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور ويكون من قول السامري، أو فَنسي السامري أي: ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر.

﴿الَّذِي رَجَعَ﴾ من رفعه فعل أن (أن) هي المخففة من الثقيلة، ومن نصبه فعلى أنها الناصبة للفعل.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يعود موسى إليهم، و(لا) مزيدة، والمعنى: ما منعك أن تتبعني في شدة الزجر عن الكفر وقتال من كفر بمن آمن، أو مالك لم تلحقني؟. وكان موسى عليه السلام شديد الغضب لله ولدينه مجبولاً على الحدة والخشونة في ذات الله، فلم يتمالك حين رأى القوم يعبدون العجل بعد رؤيتهم المعجزات والآيات أن ألقى الألواح لما عرته من الدهشة غضباً لله وحمة، وعنف بأخيه وخليفته على قومه إذ أجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على شعر رأسه ووجهه.

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا، فأردت أن تكون أنت الملاقي لأمرهم بنفسك، وخشيت عتابك على ترك ما أوصيتني به حين قلت: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ﴾^(١).
﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْعِرِي﴾ أي: فما شأنك وما دعاك إلى ما صنعت؟ وهو مصدر خطب الأمر: إذا طلبه، فكأنه قال: ما طلبك؟.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي: رأيت ما لم يروه، أو علمت ما لم يعلموه، من البصيرة، وعن ابن مسعود وأبي الحسن: فقبضت قبضة - بالصاد.. ومعنى الضاد المعجمة: الأخذ بجميع الكف، والصاد المهملة: بأطراف الأصابع. روي: أن موسى ﷺ لما حلّ ميعاد ذهابه إلى الطور أرسل الله تعالى جبرئيل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به، فأبصره السامري فقال: إن لهذا شأنًا، فقبض قبضة من تربة موطئه، فلما سأله موسى عن قصته قال: قبضت من أثر فرس الرسول الذي أرسل إليك فنبذتها في العجل، وكما حدثتك يا موسى^(٢).
﴿سَوَّلَتْ﴾ أي: زينت ﴿لِي نَفْسِي﴾ من أخذ القبضة وإلقائها في صورة العجل.

قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ إِنَّكُمْ إِلٰهُكُمْ إِلٰهُهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٩﴾ مَنْ

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) العرائس: ١٢٤.

أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ (١٠٠) خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ
لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۖ (١٠١) يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ
يَوْمَئِذٍ زُرًّا ۖ (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ (١٠٣) نَحْنُ
أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ (١٠٤)

عوقب السامري في الدنيا بأن منع من مخالطة الناس منعاً كلياً، وحرمت عليهم مكالمته ومبايعته ومجالسته ومؤاكلته، وإذا اتفق أن يماس أحداً، رجلاً كان أو امرأة حتم الماس والممسوس، فكان يهيم في البرية مع الوحش، وإذا لقي أحداً قال: ﴿لَا مَسَاسَ﴾ أي: لا تقربني ولا تمسني. وقيل: إن ذلك بقي في ولده إلى اليوم، إن مس واحد من غيرهم واحداً منهم حتم كلاهما في الوقت^(١).

﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ أي: لن يخلفك الله تعالى مواعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض، ينجزه لك في الآخرة، فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة. وقرئ: لن تخلفه - بكسر اللام - وهو من أخلفت الموعد: إذا وجدته خلفاً، وقرئ: لن نخلفه - بالنون - حكاية لقوله عز وجل.

﴿ظَلَلْتَ﴾ أي: ظللت، حذفت اللام الأولى. وقرئ: لنحرقنه وهي قراءة علي عليه السلام، ومعناه: لنبردته بالمبرد ولنحتته حتاً. ويجوز أن يكون ﴿لَنَحْرِقَنَّهُ﴾ مبالغة في حرق: إذا برد، وهذه القراءة تدل على أنه كان ذهباً وفضة ولم يصير حيواناً.

﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مفعول ﴿وَسِعَ﴾، و﴿عَلَمًا﴾ منصوب على التمييز وهو في المعنى فاعل.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الاقتصاص وهو ما قصصنا عليك من قصة

موسى وفرعون ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ﴾ سائر أخبار الأمم السالفة وأحوالهم تكثيراً في آياتك ومعجزاتك.

والمراد بالذكر: القرآن، لأنّ فيه ذكر كل ما يحتاج إليه من أمور الدين، أي: ﴿ذِكْرًا﴾ مشتملاً على هذه الأقايصص وعلى الأخبار الحقيقة بالتفكر فيها، فمن أقبل عليه سعد ونجا، ومن أعرض عنه فقد شقي وهوى.

والمراد بالوزر: العقوبة لما فيها من الثقل والصعوبة تشبيهاً بالحمل الثقيل الذي يفدح حامله، أو لأنّها جزاء الوزر الذي هو الإثم.

﴿خَلِيلَيْن﴾ حمل على معنى ﴿مَنْ﴾، ووحد الضمير في ﴿أَعْرَضَ﴾ حملاً على اللفظ، ﴿فِيهِ﴾ أي: في ذلك الوزر أو في احتماله ﴿وَسَاءَ﴾ حكمه حكم بئس، وفيه ضمير مبهم يفسره ﴿حِمْلًا﴾، والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر الذي تقدّم ذكره عليه، تقديره: وساء حملاً وزرهم، ونحوه: ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١) أي جهنم. و﴿لَهُمْ﴾ للبيان، مثله في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾^(٢).

وقرأ أبو عمرو: ننفخ - بالنون ..

وقيل في الزرق: أنّ المراد: العمى^(٣)، وقيل: العطاش يظهر في عيونهم كالزرقه^(٤)، وقيل: زرق العيون: سود الوجوه^(٥).

﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ أي: يتسارون ﴿يَنْتَهُم﴾ يقول بعضهم لبعض: ما ﴿لَيْتَنَّا

(١) النساء: ٩٧.

(٢) يوسف: ٢٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ج ٢: ١٩١.

(٤) تهذيب اللغة ج ٨: ٤٢٨.

(٥) عن الضحاك وغيره. تفسير الفخر الرازي ج ٢: ١٤.

إِلَّا ﴿عَشْرَ لَيَالٍ، وَإِنَّمَا يَتَخَفَتُونَ لِمَا اعْتَرَاهُم مِنَ الرَّعْبِ وَالْهُولِ، اسْتَقْصَرُوا مَدَّةَ لَبْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا لَاسْتَطَاعَتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ مَدَّةَ لَبْثِهِمْ فِي الْقُبُورِ.

و﴿أَمَثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أَوْفَرَهُمْ عَقْلاً وَأَصُوبَهُمْ رَأْيًا عِنْدَ نَفْسِهِ، وَنَحْوَهُ: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(١).

وَسَمِعُواكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ، قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي﴾ أي: يجعلها بمنزلة الرمل، ثم يرسل عليها الرياح فتذريها وتفرّقها كما تذري الطعام.

﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: فيذر مقارها ومراكزها، أو يكون الضمير للأرض وإن لم يجر لها ذكر.

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ أي: اعوجاجاً ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ولا نتواً يسيراً، وعن

الحسن: (العوج: ما انخفض من الأرض، والأمت: ما ارتفع من الروابي)^(١). وأضاف اليوم إلى وقت نفس الجبال في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نسفت، ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل من ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿يَتَّبِعُونَ﴾ صوت ﴿الدَّاعِيَ﴾ إلى المحشر، وهو إسرافيل الذي ينفخ في الصور يدعو الناس قائماً على صخرة بيت المقدس، فيقبلون من كل أوب إلى صوته. ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا يعوج له مدعو، بل يستوون إليه من غير انحراف. ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾ أي: خفضت من شدة الفزع وخفت.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وهو الركز الخفي، ومنه الحروف المهموسة، وقيل: هو من هميس الإبل، وهو صوت أخفافها إذا مشت، أي: لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر.

﴿مَنْ﴾ يجوز فيه الرفع والنصب، فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف، أي: لا تنفع الشفاعة إلا ﴿مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، والنصب على المفعولية. ومعنى ﴿أذنَ لَهُ﴾، ﴿وَرَضِيَ لَهُ﴾: لأجله، كاللام في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾^(٢).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما تقدّمهم من الأحوال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما يستقبلونه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾ بمعلوماته ﴿عِلْمًا﴾.

﴿وَعَنَتِ﴾ وجوه العصاة أي: خشعت وذلت إذا عاينت أهوال يوم القيامة، وقيل: المراد بالوجوه: الرؤساء والملوك، أي: صاروا كالعنا وهم الأسارى،

(١) معالم التنزيل ج ٣: ٢١.

(٢) الأحقاف: ١١.

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ وما بعده اعتراض.

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ وهو أن يؤخذ بذنب لم يعمله، أو لا يجزى بعمله، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ وهو أن يكسر من حقه فلا يوفى له، أو يبطل بعض حسناته. وقرئ: فلا يخف على النهي، والمعنى: فليأمن الظلم والهضم.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ عطف على ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ﴾ أي: مثل ذلك الإنزال، وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله.

﴿وَصَرَفْنَا﴾ أي: وكررنا ﴿فِيهِ﴾ آيات ﴿الْوَعِيدِ﴾ وبيناها على ألفاظ مختلفة ليتقوا المعاصي ﴿أَوْ يُحَدِّثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ﴾ شرفاً بإيهاهم به، أو اعتباراً بأن يذكروا به عقاب الله للأمم.

﴿فَلَعَلِّيَ اللَّهُ أَلَمَّاكَ الْحَقُّ﴾ استعظام له سبحانه، ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده، وما يجري عليه أمور ملكوته.

ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: وإذا لقنك جبرئيل الوحي ف﴿لَا تَعْجَلْ﴾ بتلاوته قبل أن يفرغ من قراءته، ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته، ونحوه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١)، وقيل: معناه: لا تقرأه أصحابك حتى يبين لك ما كان مجملًا^(٢)، واستزد من الله سبحانه علماً إلى علمك ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ إلى علم.

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٦﴾ فَقُلْنَا
يَسْأَدُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْوَلِكَ فَلَا تُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ

(١) القيامة: ١٦.

(٢) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ١٦: ١٦٠.

﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا
تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوْا لِلَّهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادَمُ هَلْ أَذْلُكَ
عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا
سَوْءُ ثَمَمَاهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ
فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ
هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾

عطف سبحانه قصة آدم على قوله: ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾،
والمعنى: وأقسم قسماً ﴿لَقَدْ﴾ وصيّنا أباهم بأن لا يقرب الشجرة ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد
ولم يتذكر الوصية، يقال: عهد الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه.

﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ يجوز أن يكون من الوجود الذي هو بمعنى العلم
ومفعولاه ﴿لَهُ عَزْماً﴾، وأن يكون نقيض العدم، كأنه قال: وعدمنا له عزمًا،
وقيل: ﴿فَنَسِيَ﴾ معناه: فترك الأمر^(١).

﴿وَإِذْ﴾ منصوب بمضمر، أي: واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة
إبليس ووسوسته إليه، وتزيينه له الأكل من الشجرة.

﴿إِنِّي﴾ جملة مستأنفة كأنه جواب قائل يقول: لم لم يسجد؟ والوجه: أن لا
يقدر له مفعول وهو السجود، وأن يكون معناه: أظهر الإباء وتوقف.
وقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ﴾ معناه: فلا يكونن سبباً لإخراجكما.

﴿فَنَشَقَّقْ﴾ أسند الشقاء إلى آدم دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج، لأنَّ

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٦: ١٦٠.

المراد بالشقاء هنا التعب في طلب القوت ومعاناة العمل وذلك معصوب برأس الرجل، وعن سعيد بن جبير: (إنه أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرق عليه ويرشح العرق من جبينه، فذلك هو الشقاوة)^(١).

وقرئ: ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها، ووجه الفتح: العطف على ﴿أَلَا تَجُوعُ﴾ والتقدير: وإن لك أنك لا تظماً، والكسر: على الاستئناف. والشبع، والري، والكسوة، والكن، هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان، فذكر سبحانه استجماعها له في الجنة، وأنه لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب، كما أن أهل الدنيا يحتاجون إلى ذلك، وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع، والعري، والظماً، والضحي، ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذر منها حتى يتحرز عن السبب الموقع فيها كراهة لها.

﴿فَوَسَّوْا إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ أي: أنهى إليه الوسوسة كما يقال: أسر إليه، وأضاف الشجرة إلى ﴿الْخَلْدِ﴾ وهو الخلود، لأن من أكل ﴿مِنْهَا﴾ خلد بزعمه.

وطفق يفعل كذا مثل: جعل يفعل، وأخذ يفعل، وحكمها حكم (كاد) في أن خبرها الفعل المضارع، وهي للشروع في أول الأمر، وكاد للدنو من الأمر.

﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ أي: يلزقان بسواتهما ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ للتستر، وهو ورق التين.

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ أي: خالف ما أمره به ربه، والمعصية: مخالفة الأمر، سواء كان الأمر واجباً أو ندباً.

﴿فَقَوَّى﴾ أي: فخاب من الثواب الذي كان يستحقه على فعل المأمور به،

أو خاب مما كان يطمع فيه بأكل الشجرة من الخلود، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرُهُ وَمَنْ يَغْوَ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لَائِمًا^(١)
﴿ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ﴾ أي: اصطفاه ربه وقربه إليه، من قولهم: جبي إلى كذا فاجتبته.

﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾ أي: قبل توبته وهداه إلى ذكره، وقيل: وهداه للكلمات التي تلقاها منه^(٢).

ولما كان آدم وحواء أصلي البشر جعللا كائهما البشر، فخطوبا مخاطبتهم ف قيل:
﴿فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ على لفظ الجماعة كما أسند الفعل إلى السبب وهو في الحقيقة للمسبب.

والمراد بالهدى: الكتاب والشرعة. وعن ابن عباس: (ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا قوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾)^(٣).

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٦﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ
بَصِيرًا ﴿١٢٧﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٨﴾
وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ

(١) البيت للمرقش الأصغر. الشعر والشعراء ج ١: ٢١٥، وفيه: ومن يلق... .

(٢) تفسير السمرقندي ج ٢: ٤١٥.

(٣) تفسير الطبري ج ١٦: ١٦٣.

وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ﴾ القرآن، وقيل: عن الدلائل فلم ينظر فيها.

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: عيشاً ضيقاً، والضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث، والمعنى فيه: إنَّ مع الدين القناعة والتوكل على الله والرضا بقسمته، فصاحبه ينفق مما رزق بسهولة وسماح فيكون في رفاهية من عيشه، ومن أعرض عن الدين استولى عليه الحرص والجشع، ويتسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فيعيش في ضنك.

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ البصر، وقيل: أعمى عن الحجة لا يهتدي إليها^(١)، والأوّل أوجه لأنّه الظاهر.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك فعلت أنت، ثمّ فسره بأن آياتنا ﴿أَنَّكَ﴾ واضحة منيرة فلم تنظر إليها بعين المعبر وتركتها وعميت عنها ف﴿كَذَلِكَ﴾ نتركك على عماك، ولا نزيل غطاءه عن عينيك.

ولما توعدّ المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا، وحشره أعمى في الآخرة؛ ختم آيات الوعيد بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ كأنه قال: وللحشر على العمى الذي لا يزول أبداً أشدّ من ضيق العيش المنقضي، أو أراد

ولتركنا إياه في العمى أشدّ وأبقى من تركه لآياتنا.

وفاعل ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ الجملة بعده، والمراد: ألم يهد لهم هذا بمضمونه ومعناه، كما أنّ قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(١) معناه: تركنا عليه هذا الكلام، ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول، ويدلّ عليه القراءة بالنون.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ يريد أنّ قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويعاينون آثار إهلاكهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ لعبراً ودلالات لذوي العقول.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ مثل إهلاكنا عاداً وثموداً لازماً لهؤلاء الكفرة. واللزام: إما مصدر لازم وصف به، وإما فعال بمعنى مفعول كأنّه آلة اللزوم، لفرط لزومه كما قيل: لزاز خصم.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾ أو على الضمير في (كان) أي: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمّى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود.

وقوله: ﴿يَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ في موضع نصب على الحال، أي: وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه، والمراد بالتسبيح: الصلاة، أو هو على الظاهر. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعني: صلاة الفجر.

﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: الظهر والعصر، لأنّها واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: ساعاته، وعن ابن عباس: (هي صلاة الليل كله)^(١)، وقيل: إن قبل غروبها هو صلاة العصر و(أطراف النهار) هو الظهر لأن وقته الزوال وهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني من النهار^(٢).

وقد يؤول أيضاً التسبيح في ﴿ءَانَايَ اللَّيْلِ﴾ بصلاة العتمة، وفي (أطراف النهار) بصلاة الفجر والمغرب، فيكون تكراراً على إرادة الاختصاص كما في قوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٣). ومن حمل التسبيح على الظاهر قال: أراد المداومة على التسبيح والتحميد في عموم الأوقات.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ بالشفاعة والدرجة الرفيعة. وقرئ بفتح التاء كما في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٤).

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ يَأْتِينَا نَبَأُهُ مِنَ رَبِّهِ أَوَّلَمَ نَأْتِيهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُرْتَبَضٍ فَتَرَبَّصُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

(١) تفسير الطبري ج ١٦: ١٦٨.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ١٦: ١٦٨.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

(٤) الضحى: ٥.

أي: ﴿لَا تُمَدِّنْ﴾ نظر ﴿عَيْنِكَ﴾، ومدّ النظر تطويله وأن لا يكاد يردّه، استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به، وتمتياً أن يكون ذلك له. وقد قال بعض الزهاد: ويجب غض الطرف عن أبنية الظلمة وملابسهم المحرّمة، لأنهم اتخذوا ذلك لعيون الناظرة، فالناظر إليها محصل لغرضهم وكأنّه يحملهم على اتخاذها.

﴿أَزْوَجًا مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفرة، ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير، والفعل واقع على ﴿مِنْهُمْ﴾، كأنه قال: إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناساً منهم.

وفي انتصاب ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ﴾ وجوه: أن ينتصب على الذم وهو النصب على الاختصاص، وعلى تضمين ﴿مَتَعْنَا﴾ معنى أعطينا وخولنا، وكونه مفعولاً ثانياً له، وعلى إبداله من محلّ الجار والمجرور، وعلى إبداله من ﴿أَزْوَجًا﴾ على تقدير: ذوي زهرة، والزهرة: الزينة والبهجة. وقرئ بفتح الهاء فيكون لغة في الزهرة كما جاء في الجهرة: الجهرة، أو يكون جمع زاهر وصفاً لهم بأنهم زاهرو الدنيا، لتهلل وجوههم وصفاء ألوانهم مما يتعمون.

﴿لَفَتْنَهُمْ﴾ لنبلوهم، أو لنعدّهم في الآخرة بسببه.

﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ﴾ المدخر لك في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ منه وأدوم، أو ما رزقت من نعمة النبوة خير مما متعناهم به.

﴿وَأَمْرَ أَهْلِكَ﴾ أي: أهل بيتك ﴿يَا صَلَوْتُ﴾ واستعينوا بها على خصاصتكم ﴿وَأَصْطَرَّ عَلَيْنَا﴾ واصبر على فعلها والأمر بها، ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة، فإن رزقك مكفي من عندنا ﴿لَا تَسْأَلْكَ﴾ أن ترزق نفسك ولا أهلك. وعن أبي سعيد الخدري: لما نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة وعليّ عليه السلام تسعة أشهر وقت كل صلاة فيقول: ((الصلاة رحيم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرَّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا^(١) ((١)). وعن بكر بن عبد الله المزني^(٢): (٣): أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَصَابَ أَهْلَهُ خِصَاصَةٌ قَالَ: قَوْمُوا فَصَلُّوا، بهذا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ^(٤).

﴿وَالْعَقِيبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلنَّقَوِيِّ﴾ أي: لأهل التقوى.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ﴾ اقترحوا على عاداتهم في التعنت آية على النبوة، فقليل لهم: ﴿أَوَلَمْ﴾ تأتكم آية هي أصل الآيات وأجلها في باب الإعجاز؟ يعني: القرآن، وذلك أَنَّ القرآن به يستدلُّ على صحَّة سائر الكتب المنزلة، وجميعها مفتقرة إلى شهادته على صحَّة ما فيها كما يحتاج المحتج عليه إلى شهادة الحجَّة، لأنَّه معجز وتلك الكتب ليست بمعجزات.

وذكر الضمير الراجع إلى البيِّنة في ﴿مَنْ قَبْلِهِ﴾ لأنَّها في معنى الدليل والبرهان.

﴿كُلُّ﴾ أي: كل واحد منا ومنكم ﴿مُتَرَيِّصٌ﴾ منتظر للعاقبة، فنحن نتظر وعد الله لنا فيكم، وأنتم تترَبِّصون بنا الدوائر.

و﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾: الدين المستقيم.

وفي قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ... الْآيَةَ﴾ دلالة على وجوب اللطف، وأنَّه إنَّما بعث الرسول لكونه لطفاً، ولو لم يبعثه لكان للخلق الحجَّة عليه سبحانه وتعالى.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) شواهد التنزيل ج ٢: ٢٩ باختلاف سير، وينظر: تفسير الحبري: ٢٩٧-٣٠٩.

(٣) بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري، من الرواة المشهورين، مات سنة ١٠٦ هـ. ينظر: معجم رجال الحديث ج ٣: ٣٧٢. تقريب التهذيب ج ١: ١٣٥.

(٤) الكشف والبيان ج ٦: ٢٦٧.

سورة الأنبياء

مكية، وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي، وإحدى عشرة آية غيرهم، عدّ الكوفي ﴿لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة الأنبياء) حاسبه الله حساباً يسيراً، وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن))^(١)، وقال أبو عبد الله عليه السلام: ((من قرأها حباً لها كان ممن رافق النبيين في جنات النعيم، وكان مهيباً في أعين الناس في الدنيا))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ
مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾
لَأَيُّهَا قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ
يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ
قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ
كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

(١) الكشف والبيان ج ٦: ٢٦٨.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ لتوكيد معنى إضافة الحساب إلى الناس، والأصل: اقترَبَ حساب الناس، ثم اقترَبَ للناس الحساب، ثم ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ والمراد: اقتراب القيامة، وإذا اقتربت فقد اقترَبَ ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك، وإنَّما وصفت بالقرب لأنَّ كلَّ آتٍ وإن طالَّت مدة ترقُّبه قريب، وإنَّما البعيد هو الذي وجد وانقرض. وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنَّ الدنيا ولَّتْ حَذَاءً^(١)، ولم يبقَ منها إلاَّ صِباة كصِباة الإِناء))^(٢).

وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى: أنَّهم غافلون عن حسابهم، ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم، وإذا نَبَّهوا عن سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات أَعْرَضُوا عن التفكير فيها والتدبر لها والإيمان بها.

ثم قرر سبحانه إعراضهم عن تنبيه المتنبه بأنَّ الله يجدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً، ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليتعظوا، فما يزيدهم استماع الآي والسور إلاَّ لعباً وتلهياً.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَأَهِيةٍ قُلُوبُهُمْ﴾ حالان مترادفتان أو متداخلتان. وأبدل ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من واو ﴿وَأَسْرُوا﴾ إيذاناً بأنَّهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به، أو يكون على لغة من قال: أكلوني البراغيث، أو هو مبتدأ وخبره ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ قَدَم عليه، والمعنى: وهؤلاء ﴿أَسْرُوا النَّجْوَى﴾ بالغوا في إخفاتها، فوضع الظاهر موضع المضمَر تسجيلاً على فعلهم بأنَّه ظلم.

﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ وَأنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ هذا الكلام كله في محلِّ النصب بدلاً من ﴿النَّجْوَى﴾ أي: وأسروا هذا الحديث، ويجوز

(١) ولَّتْ حَذَاءً: أدبرت بسرعة. (الصحاح: مادة حذذ)

(٢) نهج البلاغة: ١٠٠.

أن يتعلّق بقالوا مضمرأ.

اعتقدوا أنّ الرسول من الله لا يكون إلا ملكاً، وأنّ كل من ادّعى الرسالة من البشر وأتى بالمعجز فهو ساحر، وما أتى به فهو سحر، فلذلك قالوا: أفتأتون السحر وأنتم تعابنون أنّه سحر؟.

وقرئ: ﴿قَالَ رَبِّي﴾ على الخبر عن الرسول ﷺ، ولم يقل: يعلم السرّ، لأنّ القول عام يشمل السرّ والجهر، فكان في العلم به العلم بالسرّ وزيادته، ثمّ بين ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ السَّعِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: العالم لذاته لا تخفى عليه خافية.

ثمّ أضربوا عن قولهم: هو سحر، إلى أنّه تخاليط ﴿أَحْلَمَ﴾، ثمّ إلى أنّه كلام مفترى من عنده، ثمّ إلى أنّه قول شاعر؛ لأنّ (الباطل للجلج)^(١)، والمبطل متحير لا يثبت على قول واحد.

وصحّة التشبيه في قوله: ﴿كَمَّا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾ من حيث أنّه في معنى: كما أتى الأولون بالآيات، لأنّ إرسال الرسل متضمّن للإتيان بالآيات، فلا فرق بين أن يقول: أرسل محمد، وبين قولك: أتى محمد بالمعجز.

مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرَيْبٍ أَهْلَكْتَهُمْ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾
وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ
وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

في قوله: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ دلالة على أنهم أعتى من الأمم التي اقترحت على أنبيائها الآيات ووعدهم أن يؤمنوا عندها، فلما جاءتهم خالفوا وأخلفوا الوعد فأهلكهم الله، أي: فلو أعطيناهم ما اقترحوا لكانوا أنكث منهم.

واختلف في أهل ﴿الذِّكْرِ﴾ فقيل: هم أهل الكتاب^(١)، وقيل: هم أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم^(٢). وعن علي عليه السلام: ((نحن أهل الذكر))^(٣).

﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صفة الجسد، والمعنى: وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، كأنه قال: ذوي ضرب من الأجساد، وهذا رد لقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾^(٤).

﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ أي: ما أخرجناهم عن حد البشرية بأن أوحينا إليهم. ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ أي: في الوعد، فهو مثل قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾^(٥) أي: من قومه. ومنه قولهم: (صدقني سن بكره)^(٦)، وصدقوهم القتال. ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ﴾ من أعدائهم وأنجينا ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾ من المؤمنين بهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ وهم المشركون، أسرفوا على أنفسهم بتكذيبهم الأنبياء. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم وصيتكم، كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٧: ٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٣٨٥.

(٣) تفسير الطبري ج ١٧: ٥، بصائر الدرجات: ٤٠ عن الباقر عليه السلام، الكافي ج ١: ٢١٠ عن الصادق عليه السلام.

(٤) الفرقان: ٧.

(٥) الأعراف: ١٥٥.

(٦) مجمع الأمثال ج ٢: ٢١٢.

وَلَقَوْمِكَ^(١)، أو موعظتكم، أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الشاء وحسن الذكر، كالسخاء وأداء الأمانة والوفاء وحسن الجوار وصدق الحديث وأشباهها من محاسن الأفعال.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيحٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَآ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا
تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُلُونَ
﴿١٣﴾ قَالُوا يَبُولْنَا إِنْآ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ
حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِيبٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوَآ لَا تَخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا
إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ آلُؤْلُ مِنَّا نِصْفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ
﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴿٢٠﴾

هذا كلام وارد عن غضب شديد، لأنَّ القصم أفضع الكسر، بخلاف القصم، وهو سبحانه قاصم الجبارين، وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم، والمعنى: أهلكنا قوماً وأنشأنا قوماً آخرين، وعن ابن عباس: (أنها حضور، وهي وسحول قريتان باليمن، تنسب إليهما الثياب)^(٢). وفي الحديث: ((كفن رسول الله ﷺ في ثوبين سحوليين))^(٣).

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) معالم التنزيل ج ٣: ٢٤.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج ١٨: ٢٣١.

ويروى: ((حضورين))^(١). بعث الله إليهم نبياً اسمه حنظلة فقتلوه، فسَلَطَ عليهم بخت نصر كما سَلَطَ على أهل بيت المقدس فاستأصلهم. فظاهر الآية على الكثرة، ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية.

فلما علموا شدة بطشنا بأجسامهم وشاهدوا عذابنا ركضوا من ديارهم، والركض: ضرب الدابة بالرجل، أي: هربوا وانهمزوا من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، فقبل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ والقول محذوف، ويحتمل أن يكون القائل بعض الملائكة، أو من هناك من المؤمنين ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من العيش الرفاه والحال الناعمة، والإتراف: إبطار النعمة، وهي الترفه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تهكم بهم، أي: ارجعوا إلى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسألون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا واجلسوا في مجالسكم ومراتبكم كما كنتم كذلك حتى تسألكم حشمكم ومن تملكون أمره ويقولوا لكم: بم تأمرون؟ وماذا ترسمون؟ كعادة المنعمين، أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاونة في الخطوب النازلة، ويستشفون بآرائكم في المهمات الكارثة.

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ﴿يَتَوَلَّوْا﴾.

والدعوى بمعنى الدعوة، أي: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾ الدعوى ﴿دَعْوَاهُمْ﴾، ولأنها سُميت دعوى، لأن المولود كأنه يدعو الوليل فيقول: تعال يا ويل فهذا وقتك.

والحصيد: الزرع المحصود، أي: جعلناهم مثل الحصيد، شبههم به في استئصالهم، أي: جعلناهم جامعين لمائلة الحصيد والخمود، كما يقال: جعلته حلواً حامضاً أي: جامعاً للطعمين.

وما جعلنا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع ﴿وَمَا يَبْنِيهَا﴾ من أنواع الخلائق للهو واللعب، وإنّا سويناها للفوائد الدينية والحكم الإلهية.
﴿لَا تَخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: من جهة قدرتنا، واللهو: الولد، وقيل: المرأة^(١)، وقيل: ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: من الملائكة لا من الإنس^(٢)، وهو ردّ لولادة المسيح وعزير.

﴿بَلْ﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو، كأنه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب، [بل من موجب حكمتنا أن تغلب اللهو]^(٣) بالجد وندحض الباطل ﴿بِالْحَقِّ﴾.
واستعار لذلك القذف والدفع تصويراً لإبطاله به ومحقه، فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه، ثم قال: ﴿وَلَكُمْ أَلْوِيلٌ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ به مما لا يجوز عليه.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ هم الملائكة، يعني: أنهم منزّلون منه منزلة المقرّبين عند الملوك، لشرفهم على الخلق وكرامتهم عليه.
﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يعيون ولا يملون.
﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي: ينزهون الله تعالى عما لا يليق بصفاته على الدوام في الليل والنهار﴾ لا يضعفون عنه.

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً

(١) عن الحسن. تفسير الطبري ج ١٧: ٨.

(٢) عن السدي. الدر المنثور ج ٤: ٣١٥.

(٣) ساقطة من ج.

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

﴿أَمْرٌ﴾ هذه منقطعة بمعنى (بل) والهمزة، وقد دلت على الإضراب عما قبلها، والإنكار لما بعدها، وهو أن يتخذوا ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ آلهة ﴿يُنْشِرُونَ﴾ الموتى، ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموات الأموات، وإذا ادعوا لها الإلهية لزمهم أن يدعوا لها الإنشار، لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور.

وقوله: ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ من نحو قولك: فلان من الكوفة، تريد أنه كوفي، فيه إيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض، أو يريد آلهة من جنس الأرض، لأنها إما أن تنحت من بعض حجارة الأرض، أو تعمل من بعض جواهرها.

وقرئ: ينشرون، ويقال: أنشر الله الموتى ونشرها، وهما لغتان.

ثم دلّ سبحانه على توحيده فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي: في السماء والأرض ﴿إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وصفت الآلهة بـ ﴿إِلَّا﴾ كما توصف بـ (غير)، كما لو قيل: آلهة غير الله، ولا يجوز أن يكون بدلاً، لأنّ البديل لا يسوغ إلا في غير الموجب،

كقوله: ﴿وَلَا يَلْتَمِثُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾^(١) وذلك أَنَّ أعم العام يصحّ فيه ولا يصحّ إيجابه. والمعنى: لو كان يدبّر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو منشئهما ومحدثهما ﴿لَفَسَدَتَا﴾ ولم ينتظم أمرهما. وفي هذا دليل التنازع الذي بنى عليه المتكلمون مسألة التوحيد.

﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنّ أفعاله كلها حكمة وصواب، ولا يجوز عليه فعل القبيح ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لأنهم مملوكون مستعبدون، يقع منهم الحسن والقبيح، فهم جدراء بأن يقال لهم: لم فعلتم؟ في كل شيء فعلوه.

وكرر ﴿أَمِرَاتُخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةٌ﴾ استعظاماً لكفرهم.

﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك من جهة العقل أو من جهة الوحي، فإنكم لا تجدون كتاباً من كتب الأولين إلا وفيه الدعاء إلى التوحيد والنهي عن الشرك.

﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ أي: عظة الذين معي، يعني: أمته ﴿وَذِكْرٌ﴾ الذين ﴿قَبْلِي﴾ من أمم الأنبياء من نجا بالإيمان، أو هلك بالكفر. وعن الصادق عليه السلام: ((يعني بذكر ﴿مَنْ مَعِيَ﴾ من معه وما هو كائن، ويذكر ﴿مَنْ قَبْلِي﴾ ما قد كان))^(٢). ثم ذمهم سبحانه بالجهل في قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن التأمل والنظر.

وقرئ: ﴿نُوحِي﴾ ويوحى. وهذه الآية مقررة لما قبلها من آي التوحيد.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ هم خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله.

(١) هود: ٨١.

(٢) بصائر الدرجات: ١٣٠.

﴿سُبْحَنَهُ﴾ نزه ذاته عن ذلك، ثم أخبر عنهم بأنهم ﴿عِبَادٌ﴾، والعبودية تنافي الولادة.

﴿مُكْرَمُونَ﴾ أكرمهم الله وقربهم.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ يعني: يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله، وكما أنّ قولهم تابع لقوله فعملهم أيضاً كذلك مبني على أمره، لا يعملون عملاً لم يأمرهم به، وجميع ما يأتون ويذرون مما قدّموا وأخروا بعين الله، يحيط علماً بما عملوا وما هم عاملون، ولا يجترئون أن يشفعوا ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الله دينه، أو ارتضى أن يشفع فيه وأهله للشفاعة وهم المؤمنون، ثم إتهم مع هذا كله ﴿مِن﴾ خشية الله ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون وجلون من التقصير في عبادته.

ثم أوعد بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل، تقطيعاً لأمر الشرك، كما قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

وقرئ: ألم ير - بغير واو - والمعنى: إنّ السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما، أو كانت ﴿السَّمَكُوتِ﴾ متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينهما، ففتقها الله وفرج بينهما. وقيل: ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة^(٢) وهو المروي عنهم عليه السلام^(٣).

وإنما قال: ﴿كَانَنَا﴾ ولم يقل: كن، لأنّ المراد جماعة السماوات وجماعة

(١) الأنعام: ٨٨.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٤: ٣١٧.

(٣) تفسير القمي ج ٢: ٧٠، التبيان ج ٧: ٢٤٢.

الأرض، كما قيل: لقاحان سوداوان أي: جماعتان، فعل في المضمر مثل ما فعل في المظهر.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين، فإن كان الأول فالمعنى: خلقنا ﴿وَمِنَ الْمَاءِ كُلِّ﴾ حيوان كقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾^(١)، أو كانتا خلقناه من الماء لحاجته إليه وقلة صبره عنه كقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٢). وإن كان الثاني فالمعنى: صبرنا ﴿كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ بسبب ﴿وَمِنَ الْمَاءِ﴾ لا بد له منه، ويكون (من) هنا كما في قوله ﷺ: ((ما أنا من دد ولا الدد مني))^(٣).

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا
سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا
وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ
قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿رَوَاسِيَ﴾ أي: جبال ثوابت، أي: كراهة ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ وتضطرب، أو لأن لا تميد بهم، فحذف (لا) واللام، وإتيا حذف (لا) لعدم الالتباس، كما زيد لذلك في نحو قوله: ﴿لِتَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾^(٤) وهذا مذهب الكوفيين.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرواسي ﴿فِجَاجًا﴾ أي: طرقاً واسعة بينها، جمع

(١) النور: ٤٥.

(٢) الأنبياء: ٣٧.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج ١٩: ٣٤٤، أمالي السيد المرتضى ج ١: ٢٥.

(٤) الحديد: ٢٩.

فج، وهي صفة لـ (سبل)، فلما تقدّمت عليها جعلت حالاً منها.

﴿سَقَفًا مَحْفُوظًا﴾ من أن يسقط إلى الأرض ويتزلزل، أو محفوظاً بالشهب عن أن يتسمع الشياطين على سكانه من الملائكة.

﴿وَهُمْ عَنْ عَائِنِهَا﴾ أي: عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر الكواكب ومسائرها على الحساب القويم والترتيب المستقيم الدال على الحكمة البالغة، فمن أعرض عن الاستدلال بها على عظم شأن من أوجدها وبديع حكمته فلا جهل أعظم من جهله.

﴿كُلُّ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه، أي: كلهم ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، والضمير للشمس والقمر، والمراد: جنس الطوالع كل يوم وليلة، ولذلك جعلت متكاثرة لتكاثر مطالعها، وهو السبب في جمعها بالشموس والأقمار وإن كانت الشمس واحدة والقمر واحداً، وإنّما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة.

كانوا قد تمّنوا موته ﷺ ليشتموا بذلك نفى الله عنه الشّامة بهذا، أي: قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشراً، فإن ﴿وَمِتَّ﴾ أنت أبقى هؤلاء!.

و﴿فِتْنَةً﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿تَبْلُوكُمْ﴾ من غير لفظه، أي: نخبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا، وبما يجب فيه الشكر من العطايا، ﴿وَالِيتَنَا﴾ مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر.

وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا بِتَّخَذُوا لَكُمْ هُزُؤًا
أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ
كَفَرُوا ﴿٣٨﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ

فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُوا مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾

الذكر يكون بالخير وبالشّر، فإذا دلّت الحال على أحدهما أطلق، تقول للرجل: سمعت فلاناً يذكرك، فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء، وإن كان عدواً فهو ذم، ومنه قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ وقوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾^(١). والمعنى: إثمهم يذكرون آلهتهم بما يجب أن لا تذكر به ككونهم شفعاء وشهداء، ويسوؤهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك.

و﴿هُمْ كَفَرُونَ﴾ بما يجب أن يذكر الله به من الوجدانية لا يصدقون به، فهم أحق بأن يتخذوا ﴿هُزُؤاً﴾ منك لأنهم مبطلون وأنت محق. والجملة في موضع [النصب على البدل من] الهزاء وهو الكفر بالله، ويجوز أن يكون في موضع الحال على حذف القول، أي: قائلين: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾.

كانوا يستعجلون عذاب الله ويقولون: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾، فأراد الله سبحانه نهيهم عن الاستعجال فقدم أولاً ذم الإنسان على العجلة وأنه مطبوع عليها، ثم نهاهم وزجرهم، فكأنه قال: ليس بيدع منكم أن تستعجلوا، فإنكم مجبولون على ذلك وهو سجيبتكم، وعن ابن عباس: (إنه أراد بالإنسان آدم، إنه لما بلغ الروح

(١) الأنبياء: ٦٠.

(٢) ساقطة من ب، ط.

صدره أراد أن يقوم^(١)، والظاهر أن المراد به الجنس، وقيل: العجل: الطين بلغة حمير^(٢) واستشهد بقول شاعرهم:

وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ^(٣)

وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف [أي: لو علموا لما قاموا على الكفر ولما استعجلوا]^(٤)، و﴿حِينَ﴾ مفعول ﴿يَعْلَمُ﴾، أي: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم: متى هذا الوعد، وهو وقت صعب تحيط بهم فيه النار من ورائهم وقدامهم، فلا يقدرّون على دفعها من نفوسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم، لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء. ويجوز أن يكون ﴿يَعْلَمُ﴾ متروكاً بلا تعدية بمعنى: لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين، ويكون ﴿حِينَ﴾ منصوباً بمضمر، أي: ﴿حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارُ﴾ يعلمون أنهم كانوا على الباطل.

﴿بَلْ﴾ تفجأهم الساعة أو النار التي وعدوا بها فتغلبهم، ويقال لمن غلب في الحجاج: مبهور، وفي قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ تذكير بإنظاره وإمهاله إياهم، أي: لا يمهلون بعد طول الإمهال.

وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ قُلْ مَن يَكْلَأُكُم بَالِيلٍ وَالنَّهَارِ

(١) الكشف ج ٣: ١١٧.

(٢) عن أبي عبيد. الكشف والبيان ج ٦: ٢٧٦.

(٣) البيت للشماخ. تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢: ٣٧٣ وفيه: والنبع منبته بالصخر... وهو غير موجود في ديوانه.

(٤) ساقطة من ب، ج.

مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ
 إِلَهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ
 وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى
 طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ
 أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ
 وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾

ثم سلى سبحانه نبيه ﷺ عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء قبله أسوة، وأنه يحل بهم وبال استهزائهم كما حل بأولئك.

﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ أي: من بأس الرحمن وعذابه، والكلاءة: الحفظ، بل هم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن ذكر ربهم لا يخطرونه ببلهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه، والمراد أنه أمر بسؤالهم عن الكالي، ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك، لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم. ثم أضرَب عن ذلك بما في (أم) من معنى (بل)، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ﴾ العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا، ثم استأنف فيبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها، ولا بمصحوب من الله بالنصر كيف يمنع غيره وينصره؟!

ثم قال: ﴿بَلْ﴾ ما هم فيه من الكلاءة إنما هو منا، أمهلناهم ومتعناهم بالحياة الدنيا كما متعنا ﴿ءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ﴾ الأمد، فظنوا أنهم لا ينزع عنهم ثوب الأمن والطمأنينة.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا﴾ نقص أرض الكفر بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم

على أهلها، وقيل: تنقصها بموت العلماء^(١). وعلى القول الأول ففي قوله: ﴿أَنَا نَاقِي الْأَرْضِ نَقْصُهَا﴾ تصوير لما كان يجريه الله على أيدي المسلمين من الغلبة على ديار المشركين، والنقص من أطرافها.

وقرئ: لَا تُسْمِعُ الصَّمَّ - على الخطاب للنبي ﷺ ..

وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُنَاقِبِ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾

أي: وإن مسهم مما أُنذروا به أدنى شيء لذلّوا وأقروا بالظلم على أنفسهم، وفي النفحة معنى القلة لبناء المرة، ولقولهم: نفحته الدابة وهو ريح يسير، ونفحه بعبطية إذا رضح.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ ذوات القسط فحذف المضاف، ووصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة، كأنها في أنفسها قسط لأهل ﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي: لأجلهم، أو هو كاللام في قولك: لخمس ليال خلون من الشهر، ومنه قول النابغة:

تَوَسَّمْتُ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَغْوَامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِعُ^(٢)

(١) عن الضحاك وغيره. تفسير الماوردي ج ٣: ٤٤٩.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٧٩، وفيه: توهمت.

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ لا ينقص من إحسان محسن، ولا يزداد في إساءة

مسيء.

﴿وَأِنْ كَانَ﴾ الظلامه ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها

للمجازاة. ويجوز أن يؤنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة، كما يقال: ذهب بعض أصابعه، وقرأ الصادق عليه السلام وابن عباس ومجاهد: آتينا بها - بالمد، وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى: المجازاة والمكافاة، لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء.

و﴿الْفُرْقَانِ﴾: التوراة، و﴿ضِيَاءٍ﴾ أي: وآتيناها به ضياء ﴿وَذِكْرُ اللَّامِزَاتِ﴾

والمعنى: إنه في نفسه ضياء وذكرى، أو يريد آتيناها بها فيه من الشرائع ضياء وذكرى، وقيل: ﴿الْفُرْقَانِ﴾ فلق البحر^(١)، وقيل: المخرج من الشبهات^(٢).

ومحلّ ﴿الَّذِينَ﴾ جر على الوصف، أو نصب على المدح، أو رفع عليه.

﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ وبركته: خيره ومنافعه، ودوام ذلك إلى

يوم القيامة.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا فَا لَهَا عِيدٌ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَثِيرًا مِمَّنْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ

(١) عن الضحاك. الكشف ج ٣: ١٢١.

(٢) عن محمد بن كعب. الكشف ج ٣: ١٢١.

﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾

الرشد: الاهتداء لوجوه الصلاح، ومعنى إضافته إليه: أنه رشد مثله، وأنه رشد له شأن، وقيل: هو الحجج الموصلة إلى التوحيد^(١)، وقيل: النبوة^(٢).

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى وهارون.

﴿وَكُنَّا بِهِ﴾ أي: بصفاته الرضية وأسراره ﴿عَلِيمِينَ﴾ حتى أهلناه لخلتنا. ﴿إِذْ﴾ يتعلق بـ ﴿ءَاثِنَا﴾ أو بـ ﴿رُشْدَهُ﴾، وقوله: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ تصغير لشأن آلهتهم، وتحقير لها، ولم ينو للعاكفين مفعولاً وأجراه مجرى ما لا يتعدى، أي: فاعلون للعكوف لها، ولو قصد التعدية لقال: ﴿عَكَفُونُ﴾ عليها. وروي عن الأصمغ بن نباتة أنه قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بقوم يلعبون الشطرنج فقال: ((ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟! لقد عصيتم الله ورسوله))^(٣).

اعترفوا بتقليد الآباء حين لم يجدوا حجة في عبادتها، وكفى أهل التقليد عاراً وسبة أن عابدي الأوثان منهم.

﴿أَنْتُمْ﴾ من التوكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به، لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل لا يجوز، أي: أنتم ومن قلّدتهم قد انخرطتم في سلك ضلال ظاهر غير خاف.

﴿قَالُوا﴾ له: هذا الذي ﴿جَعَلْنَا﴾ به أجده هو وحقّ ﴿أَمْرُ﴾ هزل ولعب! إذ

(١) التبيان ج ٧: ٢٥٥.

(٢) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج ٣: ٤٥٠.

(٣) مجمع البيان ج ٧-٨: ٥٢ عن العياشي، سنن البيهقي الكبرى ج ١٠: ٢١٢.

تعجبوا من تضليله إياهم، واستبعدوا أن يكونوا على ضلال.

والضمير في ﴿فَطَرَهُمْ﴾ للسماوات والأرض، أو للتمثيل.

﴿وَتَأَلَّوْا﴾ التأ فيهما بدل من الواو المبدلة من الباء، وفي التأ زيادة معنى وهو التعجب، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه، لصعوبته وتعذره في زمن نمرود مع فرط عتوه واستكباره، وعن قتادة: (قال ذلك سرّاً من قومه)^(١).

وروي: إنهم خرجوا في يوم عيد لهم، فجعل إبراهيم أصنامهم جذاً أي: قطعاً، من الجذ وهو القطع، كثرها كلها بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الكبير علّق الفأس في عنقه^(٢). وقرئ: جذاً جمع جذيد، وإنها استبقى الكبير، لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا ﴿إِلَيْهِ﴾، لما كانوا يسمعون من إنكاره لدينهم وسبه لأهلهم، فأراد أن يكتهم بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾. وعن الكلبي: ﴿﴿إِلَيْهِ﴾﴾ أي: إلى (كبيرهم) كما يرجع إلى العالم في حلّ المشكلات^(٣)، فيقولون له: ما هؤلاء مكسورة وما لك صحيحاً والفأس على عاتقك؟ فتبين لهم أنه عاجز لا ينفع ولا يضر، وأنهم في عبادته على غاية الجهل.

﴿إِنَّهُمْ لَمِنَ الْفَٰلِغِينَ﴾ أي: من فعل هذا الكسر والحطم إنه لشديد الظلم، لجرأته على إلهتنا.

﴿وَابْرَاهِيمُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو منادى، والأوجه أن يكون فاعل ﴿يُقَالُ﴾، لأن المراد الاسم لا المسمى.

(١) تفسير الطبري ج ١٧: ٢٨.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج ١٧: ٢٨.

(٣) الكشف ج ٣: ١٢٣.

قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ
فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهِنَا يَا بُرْهِيمُ ﴿١٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
فَتَشْكُرُهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا
إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ تَوَكَّسُوا عَلَى رؤسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا
هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٦﴾ أَفِي لَكُمُ وَلِيمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ ﴿١٨﴾ قُلْنَا يَنْزِلُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ
كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٠﴾

أي: فجيئوا ﴿به﴾ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ﴿أي: معينا مشاهدا بمرأى من الناس
ومنظر، فهو في موضع الحال ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه بما فعله، أو يحضرون
عقوبتنا له.

﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ من معاريض الكلام، ولم يكن قصداً من
إبراهيم عليه السلام إلى أن ينسب الفعل إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه على هذا
الأسلوب تبكيتاً لهم، كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رائق وأنت
مشهور بحسن الخط: أنت كتبت هذا؟ وصاحبك أُمي لا يحسن الكتابة، فقلت
له: بل كتبه أنت، وقصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك
وإثباته لصاحبك الأُمي.

وقيل: إِنَّ تقديره: بل فعله كبيرهم إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فاسألوهم، فعلق
الكلام بشرط لا يوجد^(١).

(١) عن القتيبي. الكشف والبيان ج ٦: ٢٨٠، تنزيه الأنبياء: ٢٩.

وقيل: إِنَّ التقدير: ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ من فعله ويوقف عليه، ويبدأ فيقرأ ﴿كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطُقُونَ﴾^(١).

فلما ألقمهم الحجر ﴿رَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

ونكست الشيء: قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وانتكس: انقلب، والمعنى: انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم وصاروا مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق، أو يريد قلبوا على ﴿رَبُّهُمْ﴾ لفرط إطراقهم، خجلًا بما بهتهم به إبراهيم، فما أجابوا جواباً إلا ما هو حجة عليهم.

﴿أَفِ﴾ صوت يعلم به أَنَّ صاحبه متضجر، تأفف بهم إذ أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد وضوح الحق وانقطاع العذر، واللام لبيان المتأفف به، أي: ﴿لَكُمْ﴾ ولأهتكم هذا التأفف.

ولما غلبوا أزمعوا على إهلاكه وتحريقه، فجمعوا الحطب حتى أَنَّ الرجل ليمرض فيوصي بماله يشتري به حطب لإبراهيم! ثم أشعلوا ناراً عظيماً كادت الطير تحترق في الجو من وهجها، ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فرموا به فيها، وذكر أَنَّ جبرائيل قال له حين رمي به: هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: فاسأل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي^(٢). وعن الصادق عليه السلام: ((أَنَّهُ قَالَ: يَا اللَّهُ يَا وَاحِدًا يَا أَحَدًا يَا صَمَدًا يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَحَسَرَتِ النَّارُ عَنْهُ، وَأَنَّهُ لَمَحْتَبِي وَمَعَهُ جِبْرَائِيلُ وَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ فِي رَوْضَةِ خَضْرَاءٍ))^(٣).

(١) عن الكسائي. الكشف والبيان ج ٦: ٢٨٠.

(٢) الكشف والبيان ج ٦: ٢٨١.

(٣) تفسير القمي ج ٢: ٧٣. الكافي ج ٨: ٣٦٩ باختلاف يسير.

﴿كُونِي بِرْدًا وَسَلَامًا﴾ يعني: ذات برد وسلام، فبولغ في ذلك، كأن ذاتها برد وسلام، والمراد: ابردي فيسلم منك إبراهيم، وابردي برداً غير ضار، وعن ابن عباس: (لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها)^(١). نزع الله عن النار طبعها من الحر والإحراق وأبقاها على الإنارة والإشراق كما كانت، والتحقيق: أن النار من جهة مطاوعتها فعل الله تعالى وإرادته كانت كما مور أمر بشيء فامتثله.

﴿وَأَرَادُوا﴾ أن يكيدوه فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين.

وَجَعَلْنَاهُ لُولُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ
 وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدَ ﴿٧٣﴾
 وَلُولُوطًا إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَكَمًا عَليًّا وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
 تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي
 رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

أي: نجينا إبراهيم ولوطاً - وهو ابن أخيه - من نمرود وكيد من كوئي^(٢) ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام. وبركاتها الواصلة إلى العالمين: أن أكثر الأنبياء بعثوا فيها فانتشرت في العالمين شرائعهم، وقيل: إنها بلاد خصب تكثر أشجارها وثمارها ويطيب العيش فيها، روي: أنه نزل بفلسطين، ولوط بالموتفكة،

(١) الدر المنثور ج ٤: ٣٢٣.

(٢) كوئي: هي ناحية من أرض بابل كان فيها مولد إبراهيم الخليل عليه السلام، وبها طرح في النار. ينظر: معجم البلدان ج ٤: ٤٨٧.

وبينهما مسيرة يوم وليلة^(١).

والنافلة: ولد الولد، قيل: إنه سأل الولد فأعطي ﴿إِسْحَاقَ﴾ وأعطى ﴿يَعْقُوبَ﴾ نافلة ﴿أي: زيادة وفضلاً من غير سؤال^(٢)، أي: ﴿صَلِّحِينَ﴾ للنبوة والرسالة. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ يقتدى بهم في دين الله.

﴿يَهْدُونَ﴾ إلى طريق الحق والدين القويم ﴿بِأَمْرِنَا﴾ وكل من صلح أن يكون قدوة للخلق، فالهداية محتومة عليه، مأمور هو بها من جهة الله تعالى، وأولها أن يهتدي بنفسه ليعم الانتفاع بهداه، وتسكن النفوس إلى الاقتداء به. و﴿لَوْطًا﴾ منصوب بفعل مضمر.

﴿ءَاثِنُهُ﴾ يفسره ﴿حُكْمًا﴾ أي: حكمة وهو ما يجب فعله، أو فصلاً بين الخصوم، وقيل: هو النبوة^(٣). و﴿الْقَرْيَةَ﴾ سدوم. ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: في أهل رحمتنا، أو في الجنة.

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَاهِلَةً
مِّنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾
وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ
الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ
وَكَلَّمَآءَآئِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ

(١) تاريخ الطبري ج ١: ١٥١.

(٢) عن ابن زيد وغيره. تفسير الطبري ج ١٧: ٣٦.

(٣) تفسير السمرقندي ج ٢: ٤٣٣.

يُسَبِّحَنَّ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٦﴾ وَعَلَّقْنَاهُ صَنْعَةً
لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخَصِّنْكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾
أي: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ هؤلاء المذكورين.

﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: جعلناه منتصراً منهم، من: نصرته فانتصر.
و﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه.
واذكر ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾، و﴿إِذْ﴾ بدل منهما. والنفش: الانتشار بالليل.
﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ جمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما.

والضمير في ﴿فَهَمَّنَاهَا﴾ للحكومة أو للفتوى، حكم داود عليه السلام بالغنم
لصاحب الحرث، فقال سليمان عليه السلام - وهو ابن إحدى عشرة سنة -: غير هذا يا نبي
الله، أرفق بالفريقين، فقال: وما ذاك؟ قال: يدفع الغنم إلى صاحب الحرث فينتفع
بها، والحرث إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، فقال: القضاء ما
قضيت، وأمضى الحكم بذلك^(١). والصحيح: أنها جميعاً حكماً بالوحي، إلا أن
حكومة سليمان نسخت حكومة داود، لأن الأنبياء لا يجوز أن يحكموا بالظن
والاجتهاد، ولهم طريق إلى العلم.

وفي قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دلالة على أن كليهما كان مضيئاً.
﴿يُسَبِّحَنَّ﴾ حال بمعنى: مسبّحات، ويجوز أن يكون على الاستئناف، كأن
قائلاً قال: كيف سخرهن؟ فقال: يسبحن.

و﴿الطَّيْرَ﴾ إما معطوف على ﴿الْجِبَالَ﴾ وإما مفعول معه، وكانت الجبال
تجاوبه بالتسبيح، وكانت الطير تسبح معه بالغداة والعشي.

﴿وَكُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجباً عندكم، وقيل: وكنا نفعل مثل ذلك بالأنبياء^(١).

واللبوس: اللباس، والمراد هنا الدرع، وأوّل من صنع الدرع داود، وإنّما كانت صفائح فسردها^(٢) وحلّقها فجمعت الخفة والتحصين.

وقرئ: ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ بالنون والتاء والياء، فالنون لله عزّ وجل، والياء لداود أو للبوس، والتاء للصنعة. والبأس: المراد به الحرب والقتال.

وَلِسْتِمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَفْضُوتُ
لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾
وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾
وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

﴿الرِّيحَ﴾ عطف على ﴿الْجِبَالَ﴾. كانت الريح مطيعة لسليمان إذا أراد أن تعصف عصفت، وإذا أراد أن ترخي أرخت، وذلك قوله: ﴿رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾^(٣)، وكان هبوبها على حسب ما يريد ويحكمكم آية إلى آية.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾: تجري الأشياء على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا.

(١) تفسير ابن عباس ج ٣: ٢٧٢.

(٢) السرد: الثقب ونسج الدروع. (الصحاح: مادة سرد)

(٣) ص: ٣٦.

﴿يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في البحار فيستخرجون الجواهر ﴿وَيَعْمَلُونَ﴾ له أعمالاً سواء من بناء المدائن والقصور، واختراع الصنائع العجيبة، والله جل اسمه يحفظهم من أن يمتنعوا عليه أو يزيغوا عن أمره، أو يكون منهم فساد فيها عملوه. ناداه بـ ﴿أَنِّي مَسْفِي الضُّرِّ﴾ والضَّر - بالضم -: الضرر في النفس من مرض وهزال، وبالفتح: الضرر في كل شيء.

ألطف في السؤال حيث ذكر عن نفسه ما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة وكنى عن المطلوب.

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنَ﴾ الأوجاع والأمراض، وكان أيوب كثير الأولاد والأموال، فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله، وبالمرض في بدنه ثلاث عشرة سنة أو سبع سنين وسبعة أشهر، فلما كشف الله ضره أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم.

﴿رَحْمَةً﴾ منا، أي: لرحمتنا العابدين وذكرنا إيتاهم بالإحسان لا ننسأهم، أو ﴿رَحْمَةً﴾ منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أتيب في الدنيا والآخرة.

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ قيل: هو إلياس، وقيل: هو اليسع، وقيل: إنه نبي كان بعد سليمان، يقضي بين الناس كقضاء داود، ولم يغضب قط إلا لله عز وجل^(١).

وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ

وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَّرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ،
رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا
لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ
كَانُوا يَسْتَعِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿الْأُون﴾ الحوت، وصاحبه يونس بن متى، برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم
يذكروا وأقاموا على كفرهم، فراغمهم فظن أن ذلك سائغ حيث لم يفعله إلا غضباً
لله وأنفة لدينه وبغضاً للكفر وأهله، وقد كان الأولى به أن يصابر وينتظر الإذن من
الله جل اسمه في مهاجرتهم فابتلي ببطن الحوت.

ومعنى مغاضبته لقومه: أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم
عندها. وسأل معاوية ابن عباس كيف يظن نبي الله أن لا يقدر عليه؟ فقال: هو
من القدر لا من القدرة^(١)، يعني: أن لن نصيق عليه كما في قوله: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ
رِزْقُهُ﴾^(٢). وقيل: إنه استفهام تقديره: أفظن أن لن نقدر عليه؟ فحذف الهمزة^(٣)،
وقيل: معناه: فظن أن لم تعمل فيه قدرتنا^(٤).

﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في الظلمة الشديدة في البحر في بطن الحوت، أي: بأنه
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾، أو هو بمعنى: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: من الذين
يقع منهم الظلم. وقرئ: ننجي، وننجي، بنون واحدة وبتشديد الجيم.

(١) الكشف ج ٣: ١٣٢.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١٧: ٦٣.

(٤) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٢٠٩ باختلاف.

والنون لا تدغم في الجيم، وربما أخفيت فحذفت في الكتابة وهي في اللفظ ثابتة، فظن الراوي ذلك إدغاماً.

سأل الله تعالى زكريا أن يرزقه وارثاً، ولا يدعه ﴿فَكَرَدَا﴾ بلا ولد، ثم رد الأمر إلى الله واستسلم فقال: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ يعني: إن لم ترزقني ولداً يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث.

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ أي: وجعلناها صالحة لأن تلد بعد أن كانت عاقراً. وقيل: معناه: جعلناها حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق^(١). وقيل: ردناها عليها شبابها.

﴿إِنَّهُمْ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين، أي: استحقوا الإجابة منا لمسارعتهم ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ومبادرتهم إلى الطاعات.

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: راغبين وراهبين كقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ﴾^(٢).

﴿خَشِيعَةً﴾ أي: ذللاً لأمر الله، وقيل: متواضعين لأمر الله تعالى^(٣)، وعن مجاهد: (الخشوع: الخوف الدائم في القلب)^(٤).

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي ﴿١٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ

(١) عن عطاء بن أبي رباح وغيره. الدر المنثور ج ٤: ٣٣٤.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) عن مجاهد. الدر المنثور ج ٤: ٣٣٤.

(٤) معالم التنزيل ج ٣: ٣٩.

كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ ﴿١٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿١٤﴾ وَحَرَامٌ
عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٦﴾
وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا
يَتَوَلَّوْنَ أَفْئِدَتَهُمْ غِلَظًا مِنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾

﴿أَحْصَيْتَ قَرْيَتَهَا﴾ إحصائاً كلياً من الحلال والحرام جميعاً، كقولها: ﴿وَلَمْ
يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾^(١).

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا وهو
جبرائيل عليه السلام، لأنه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها. وإن جعلت نفخ
الروح بمعنى الإحياء كما في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٢) أي: أحييته،
فالمنى: فنفخنا الروح في عيسى فيها أي: أحييناه في جوفها، كما يقول الزامر:
نفخت في بيت فلان، أي: نفخت في المزمار في بيته.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ لم يقل: آيتين، لأن حالهما آية
واحدة وهي ولادتها إياه من غير فعل.

والمراد بالآمة: ملة الإسلام، يعني: إن ملة الإسلام ملتكم التي يجب أن
تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، يشار إليها ملة ﴿وَرَحْدَةً﴾ غير مختلفة ﴿وَأَنَّا﴾
إلهمكم إله واحد فاعبدوني.

(١) مريم: ٢٠.

(٢) الحجر: ٢٩.

الأصل: وتقطعتم، إلا أنَّ الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه يقبح عندهم فعلهم ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله؟ والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتقسم الجماعة الشيء فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب، تمثيلاً لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى يتبرأ بعضهم من بعض، ثم أوعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فيجازيهم بما عملوا.

الكفران: مثل في حرمان الثواب، كما أنَّ الشكر مثل في الإثابة إذا قيل: الله شكور، أي: لا يكفر سعيه.

﴿وَلِنَّا لَهُ كَنْبُوتٌ﴾^(١) أي: نحن كاتبون ذلك السعي، نثبته في صحيفة عمله.

﴿وَحَرَامٌ﴾ مستعار للممتنع وجوده، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢) أي: منعهما منهم، وأبى أن يكونا لهم، وقرئ: وحرم، ومعناه: ممتنع من ﴿قَرِيَّةٍ﴾ قدرنا إهلاكها وغير متصور رجوعهم من الكفر إلى الإسلام، و﴿لَا﴾ مزيدة. وقال الزجاج: (تقديره: حرام على قرية أهلكتها أن يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون)^(٣). وعلى هذا فيكون ﴿حَرَامٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف. ويجوز أن يكون التقدير: وحرام عليها ذلك المذكور في الآية المتقدمة من السعي المشكور غير المكفور، لأنهم لا يرجعون عن الكفر.

وتعلقت ﴿حَقَّقَ﴾ بـ ﴿حَرَامٌ﴾ وهي غاية له، لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى يوم القيامة، و﴿حَقَّقَ﴾ هذه هي التي يحكى بعدها الكلام، والجملة

(١) الأعراف: ٥٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٤٠٥.

الشرطية هنا هي الكلام المحكي بعد ﴿حَقَّقْ﴾ أعني: ﴿إِذَا﴾ وما في حيزها.
 أي: فتح سد ﴿وَأَجُوجٌ وَمَأْجُوجٌ﴾ فحذف المضاف، وقرئ: فُتِّحَتْ - بالتشديد..
 والحدب: النشر من الأرض، والنسلان والعسلان: الإسراع.
 و﴿إِذَا﴾ هي ظرف المفاجأة وتسدّ في الجزاء مسدّ الفاء، فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، ولو قيل: إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة لجاز، وهي ضمير مبهم يفسره الإيصار.
 و﴿يَتَوَلَّيْنَا﴾ تعلق بمحذوف، والتقدير: يقولون: ﴿يَتَوَلَّيْنَا﴾ وهو في موضع الحال من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
 أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا
 وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا
 لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ
 أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ
 فِي مَا أُشْتَمِتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَخَزْنُهُمُ الْفَزَعُ
 الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي
 كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ
 لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا
 كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ
 أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: وقودها وحطبها.

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يحتمل الأوثان والشياطين، لأنهم بطاعتهم لهم

في حكم عبدتهم، والفائدة في مقارنتهم بألهتهم: أنهم قدّروا أنهم يشفعون لهم عند الله، فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدّروه لم يكن شيء أبغض إليهم منهم.

﴿الْحُسْنُ﴾: الخصلة المفضلة في الحسن، وهي السعادة أو البشارة بالثواب أو التوفيق للطاعة.

والحسيس: الصوت الذي يحس، والشهوة: طلب النفس اللذة يقال: اشتهى شهوة.

وقرئ: لا يَخْزُنُهُمْ. و﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: النفخة الأخيرة، كقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) وعن الحسن: (حين يؤمر بهم إلى النار)^(٢)، وعن الضحاك^(٣): (حين يطبق على النار)^(٤)، وقيل: حين يذبح الموت على صورة كبش أملح وينادي: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت^(٥).

﴿وَنَلْقَاهُمْ أَلَمًا يَكْثُ﴾ أي: تستقبلهم على أبواب الجنة بالتهنئة، يقولون: ﴿هَذَا﴾ وقت ثوابكم ﴿الَّذِي﴾ وعدكم ربكم قد حلّ. و﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾ منصوب بـ ﴿لَا يَخْزُنُهُمْ﴾ أو بـ ﴿تَلْقَاهُمْ﴾، وقرئ: يوم تطوى السماء - على البناء للمفعول ..

(١) النمل: ٨٧.

(٢) تفسير الطبري ج ١٧: ٧٨.

(٣) أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني المفسر، من الطبقة الخامسة، مات بعد المائة. ينظر: طبقات المفسرين ج ١: ٢١٦.

(٤) معالم التنزيل ج ٣: ٤١.

(٥) عن ابن جريج. تفسير الطبري ج ١٧: ٧٨.

و﴿الْيَسْجِلِ﴾ الصحيفة، أي: كما يطوى الطومار للكتابة، أي: ليكتب فيه، أو لما يكتب فيه، لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء، ثم يوقع على المكتوب. وقرئ: ﴿لَلْكَتُبِ﴾ والمراد بذلك المكتوبات أي: لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة. قيل: السجل: ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه^(١)، وقيل: هو اسم كاتب للنبي ﷺ^(٢)، وعلى هذا فالكتاب: اسم للصحيفة المكتوب فيها.

﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ مفعول نعيد الذي يفسره ﴿نُعِيدُهُ﴾، و(ما) كافة للكاف، والمعنى: نعيد أول الخلق كما بدأناه، تشبيهاً للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء. وأول الخلق: إيجاده من عدم، أي: فكما أوجدناه أولاً من عدم نعيده ثانياً، وقوله: ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ كقولك: هو أول رجل جاني، تريد: أول الرجال، ولكنك نكرته ووحّدته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً، وكذلك معنى ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾: أول الخلق، بمعنى: أول الخلاق، لأن الخلق مصدر لا يجمع.

ويجوز فيه وجه آخر: وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره ﴿نُعِيدُهُ﴾، و(ما) موصولة، أي: نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، و﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ ظرف ل﴿بَدَأْنَا﴾ أي: أول ما خلق، أو حال من الهاء المحذوف من الصلة.

﴿وَعَدًا﴾ مصدر مؤكد، لأن قوله: ﴿نُعِيدُهُ﴾ عدة للإعادة.

﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل ذلك.

قيل: ﴿الزُّبُرِ﴾ اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب، و﴿الذِّكْرِ﴾: أم

(١) عن السدي وغيره. الدر المنثور ج ٤: ٣٤٠.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٧: ٨٢.

الكتاب يعني: اللوح^(١)، وقيل: زبور داود، والذكر: التوراة^(٢).

أي: ﴿يُرِثُهَا﴾ المؤمنون، كقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ...
الآية﴾^(٣). وعن الباقر^(عليه السلام): ((هم أصحاب المهدي في آخر الزمان))^(٤). وقيل:
الأرض هي أرض الجنة^(٥).

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ
وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ
يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ
أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَنِّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ
وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى المذكور في السورة من الأخبار والمواظ.

﴿لَبَلَاغًا﴾ أي: كفاية موصلة إلى البغية.

كان صلوات الله عليه وآله ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ كافة، إذ جاء بها يسعدهم إن
اتبعوه، ومن لم يتبعه فقد أتى من عند نفسه، وقيل: إن الوجه في كونه ﴿رَحْمَةً﴾

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ١٧ : ٨١.

(٢) عن الشعبي. تفسير الطبري ج ١٧ : ٨١.

(٣) الأعراف: ١٣٧.

(٤) تفسير القمي ج ٢ : ٧٧.

(٥) عن سعيد بن جبیر وغيره. تفسير الطبري ج ١٧ : ٨٢.

للكافرين: أَنَّ عقابهم آخر بسببه، وأمنوا به عذاب الاستئصال^(١).

﴿إِنَّمَا﴾ لقصر الحكم على شيء، كما يقال: إِنَّمَا زيد قائم، أو لقصر الشيء على حكم، كقولك: إِنَّمَا يقوم زيد، وقد اجتمع كلاهما في الآية، لَأَنَّ ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ مع فاعله بمنزلة: إِنَّمَا يقوم زيد، و﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ بمنزلة: إِنَّمَا زيد قائم، وفائدة اجتماعهما: الدلالة على أَنَّ الوحي إلى رسوله مقصور على أَنَّ الله عزَّ اسمه استأثر بالوحدانية.

وفي قوله: ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ أَنَّ الوحي الوارد على هذه الطريقة موجب أن تخلصوا التوحيد لله. ويجوز أن يكون (ما) موصولة، فيكون معناه: أَنَّ الذي يوحى إليّ.

ومعنى ﴿ءَاذَنُكُمُ﴾ : أعلمتكم، ولكنه كثر استعماله في معنى الإنذار، ومنه قول ابن حلّزة:

أَذَنَّا بَيْنَهُمَا أَسْمَاءُ^(٢)

والمعنى: إِنِّي بعد إعراضكم عن قبول توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد، كرجل بين وبين أعدائه هدنة، فنبذ إليهم العهد وأذنهم جميعاً بذلك.

﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: مستوين في الإعلام به لم يطوه عن أحد منهم.

و﴿مَّا تَوْعَدُونَ﴾ من غلبة المسلمين عليكم أو القيامة، كائن لا محالة إلا أَنَّ الله تعالى لم يطلعني عليه.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ﴾ سبحانه ﴿يَعْلَمُ﴾ السرّ والعلانية منكم، وهو مجازيكم على

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٧: ٨٣.

(٢) ديوان الحارث بن حلزة الشكري: ٦٦، وبقية: ربّ ثاو يملّ منه الثواء.

ذلك.

وما ﴿أَذْرَيْتَ﴾ لعل تأخير هذا الموعد امتحان ﴿لَكُمْ﴾ لينظر كيف تعملون، أو تمتيع لكم ﴿إِلَىٰ جِئِنٍ﴾ ليكون ذلك حجة عليكم.

وقرئ: ﴿قُلْ﴾ على حكاية قول النبي ﷺ، و﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ على الاكتفاء بالكسرة، ورب احكم - على الضم - وربِّي أحكم - على أفعل التفضيل ..

أمر ﷺ باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر. ومعنى قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾: لاتحابهم، وافعل بهم ما يستحقونه.

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من الحال التي تجري على خلاف ما تظنون، وقد نصر رسوله ﷺ عليهم، وخذهم وختب ظنونهم.

فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

٥	سورة هود
٥٦	سورة يوسف
١٠٦	سورة الرعد
١٣٠	سورة إبراهيم
١٥٤	سورة الحجر
١٧٤	سورة النحل
٢٢٠	سورة الإسراء
٢٦٥	سورة الكهف
٣٠٥	سورة مريم
٣٣٥	سورة طه
٣٧٣	سورة الأنبياء
٤٠٩	فهرس المحتويات